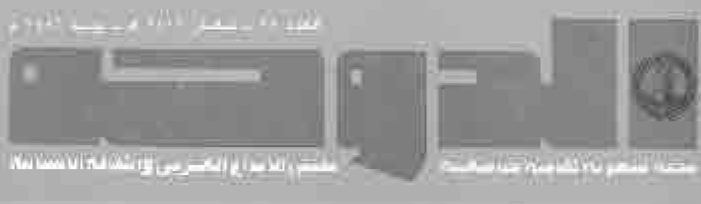
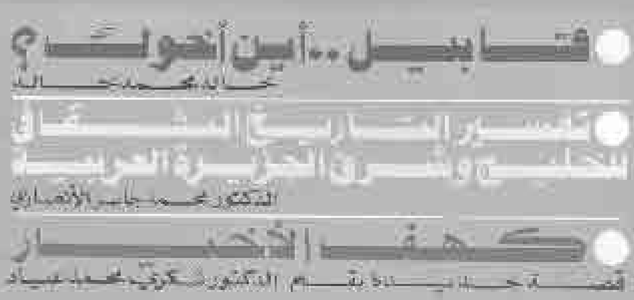












جوائز السينما من يستحقها وكيف؟

لماذا نقتل الشعراء ؟!

حديث صريح حول محنة "الموهبة" في الوطن العربي

بقلم : رجاء النقاش

هذا حديث ارجو ان اكون فيه صريحا الى ابعد حد ، فمثل هذا الحديث لا ينفع فيه ان نجامل انفسنا ، ولا ان نخفي جراحنا تحت ثوب ناعم من الكلمات ، وقد تبدو المشكلة التي اثيرها في هذا المقال محدودة وبعيدة عن همومنا السياسية والاقتصادية ، ولكننا لو نظرنا إليها بشيء من الدقة والعمق لوجدناها متصلة باعمق مانعانيه ونواجهه من المشاكل الكبيرة الصعبة .

والمشكلة هي « الطريقة العربية » في معاملة « اصحاب المواهب » ، وساقتصر في حديثي اليوم على اصحاب المواهب الشعرية ، ولكن ما ينطبق على الشعراء العرب ، ينطبق على اصحاب المواهب في مختلف المجالات ، والحقيقة الواضحة في تراثنا القديم وتراث غيرنا من الشعوب ، أن الحضارة لا تزدهر ، ولا تنمو في اتجاه صحيح يرتفع بالفرد والمجتمع معاً ، إلا إذا كان هناك عناية واهتمام باصحاب المواهب ، فالموهبة في اي مجتمع هي ثروة كاملة مثل « البترول » و « الذهب » وسائر الثروات المادية المعروفة في تاريخ الانسان ، بل ان الموهبة هي اثمن من كل هذه الثروات المادية ، إنها « ثروة الثروات » جميعا ، وبدونها تصبح الامم فقيرة ، حتى لو كانت غنية بكل الخيرات التي عرفها الانسان .



هل دنقل شاعر وفنان كبير يتعرض الآن لمحنة لا يقف فيها إلى جانبه سوى بعض الأقلام التى لا تملك له نفعا ولا ضرا



حافظ ابراهيم ـ لم تمنعه وطنيته المعروفة عنه من اتهام المجتمع العربى بسوء التقدير للمواهب وسوء المعاملة لها



بو القاسم الشابى كتب شعرا مليئا بالغضب بسبب احساسه بان الموهبة العربية ضائعة ومسحوقة



عبد الحميد الديب كان شاعرا نابغا ولكنه عاش غارقا فى البؤس حتى مات فاقيمت له اعظم الاحتفالات

وليأذن لى القارىء الكريم ان استطرد حول هذا المعنى قليلا ، رغم انه معنى بديهى ومعروف ، ومع ذلك فانا احس ان العرب قد اصبحوا ، من شدة ما اختلطت عليهم الامور ، بحاجة ماسة إلى تاكيد بعض البديهات الأساسية التى تتصل بالحضارة والانسان ، ومن هذه البديهات : رعاية الموهبة والحرص عليها وعدم التفريط فيها او تعريضها للضـــــياع والدمار .

شيكسبير والمستعمرات

وفى هذا المجال نذكر ما كان يقوله الزعيم الانجليزى تشرشل من « ان بريطانيا مستعدة للتنازل عن جميع مستعمراتها وليست مستعدة للتنــــــازل عن ادب شيكسبير » ، وكان تشرشل بهذه العبارة يتكلم بروح « المنفعة » ، قبل ان ينطلق بروح « المبادىء والمثل العليا » ، ذلك لان بريطانيا من الناحية الواقعية قد عجزت عن الاحتفاظ بمستعمراتها ، امام حركات الاستقلال والتحرر التى انتشرت فى انحاء العالم كله بعد الحرب العالمية الثانية ، ولكن بريطانيا لم تخسر نفوذها المادى فى العالم ، بسبب انتشار لغتها وثقافتها . فاللغة الانجليزية الآن هى اللغة العالمية الاولى ، والذين يقفون وراء انتشار هذه اللغة ليسوا قادة الأسطول الانجليزى ولا قادة الطيران ولا التجار واصحاب الأموال ، وإنما يقف وراء انتشار اللغة الانجليزية والثقافة الانجليزية ادباء فى مقدمتهم « شيكسبير » ومسرحياته التى يدرسها كل مثقف فى العالم ، وكل معهد وكل جامعة ، وحتى « الاتحاد السوفيتى » الذى « يعارض » بريطانيا ، ويعاديهــــا سياسيا واقتصاديا ، يحرص على تقديم طبعات « شيكسبير » ـ الانجليزية ـ بارخص الأسعار ، حتى ينشرها فى بلاده وخارج بلاده طلبا للسمعة الثقافية الحسنة ، كما يحرص على ترجمة هذه المسرحيات ، إلى اللغة الروسية ، وقد نال « باسترناك » الاديب الروسى المعروف ، شهرته ومكانته الكبيرة ، على اساس انه مترجم « شيكسبير » إلى الروسية ، وذلك قبل ان يتقدم إلى العالم بروايته المعروفة « دكتور زيفاجو » ... وهى الرواية التى اغضبت الروس وأطربت الغربيين ، فمنحوه جائزة نوبل .

أهل الفن فى المقدمة

وعندما جاء « نابليون » إلى مصر غازيا سنة ١٧٩٨ ، لم يجعل حملته مكونة من الاسلحة ، وجنود البحر والبر فقط ، بل صحب معه ـ فى المقدمة ـ مائة وستة واربعين اديبا وعالما وفنانا من انبغ ابناء فرنسا وأكثرهم موهبة ، وكون من هؤلاء ما اسماه بعد ذلك باسم « المجمع العلمى المصرى » او « مجمع العلوم والفنون » كمـــا كان يسمى فى بعض المصادر ، وكان بين هؤلاء النوابغ الموسيقار « فيلوتو » ، وقــد قام بدراسة الموسيقى الشرقية الحديثة والقديمة ، وقدم حولها ابحاثا بالغة الأهمية والقيمة كما كان بين اعضاء مجمع العلوم والفنون رسامون من امثال «ريجو» وهو الذى عهد إليه نابليون ـ كما يقول الرافعى ـ « باقامة اقواس النصر والاعمدة فى ميدان الأزبكية ، ورسم الرسوم الفنية

على قواعدها . وعهد إليه نابليون أيضاً برسم رجالات مصر فى ذلك العصر على اختلاف مراكزهم وازيائهم » وكان بينهم رسام نابغ اخر هو » دوترتر » الذى قدم رسوما بديعة للشخصيات وللآثار المصرية القديمة . وكان هناك عدد اخر من الادباء البارزين الذين درسوا اللغة العربية والأدب العربى وثقافة الشرق .

وهكذا فان نابليون لم يهتم بالجانب العسكرى لحملته فقط ، بل وضع عينه وعقله وقلبه على جماعـــــة من اكبر الموهوبين فى فرنسا ، واعتبرهم قوة له ولبلاده وللهدف الذى من اجله جاء إلى مصر .

وما اكثر النماذج التى يمكن ان نعود إليها فى صفحات التاريخ ، المعاصر والقديم ... العربى والأوروبى ، والتى تدلنا على مدى ما تحتله » الموهبة » من مكان فى التاريخ ، وفى تحقيق اهداف الشعوب ، سواء وافقنا على هذه الأهداف ، أو رفضناها مثلما نرفض اهداف الحملة الفرنسية على مصر ، دون ان ينفى ذلك اعترافنا بما فيها من تخطيط ذكى ، وتقدير اساسى لدور الموهبة ومكانتها والاهتمام بها ورعايتها الى ابعد الحدود ... وهذا ما جعل » نابليون » يحتل مكانته العظمى فى تاريخ العالم وما جعل » فرنسا » تنهض وتصبح فى مقدمة بلاد الحضارة والثقافة والفن والعمران .

تجاهل عربى للمواهب

نعود بعد ذلك إلى جوهر موضوعنا الذى يدور حول الواقع العربى المعاصر . ففى هذا الواقع نوع واضح من »التجاهل» لدور » الموهبة » ، والتفريط فيها ، وعدم الاهتمام برسالتها فى بناء حياتنـــــا ، ومساهمتها فى إقامة أساس حضارى راسخ للمجتمع العربى ، ولا شك ان هذه الظاهرة تعتبر علة اساسية من العلل التى يعانى منها المجتمع العربى ، وهى إحدى الظواهر المؤلمـــة التى تصنع ما نسميه باســـم » التخلف » فى مجتمعنا الراهن .

إن المجتمع الذى يبدد ثروته من الموهبة مثل المجتمع الذى يبدد ثروته المادية فى الزراعة او الصناعة او ما يقدمه باطن الأرض من خيرات ، بل إن الذى يفرط فى ثروة المواهب اخطر بكثير من الذى يفرط فى الثروة المادية .

فاين يقف المجتمع العربى من هـــذه القضية ؟! إذا اردنا ان نكون صرحاء وصادقين ، وان نبتعد عن ذلك المرض الذى يجعلنا نفقد الرؤية الصحيحة ، فان الحقيقة التى تواجهنا بعنف هى اننا نسىء استخدام المواهب التى تظهر فى وطننا ، بل ونسىء إليها فى نفس الوقت اشد الاساءة ، مما يؤدى فى نهاية الامر إلى ان تكون هذه المواهب قوة عديمة النفع والتاثير ، فهى مواهب تذوى وتذبل مع الأيام ، مثل الزهور فى ارض قاحلة جرداء لا خصب فيها ولا ماء .. ولن أعود إلى التاريخ القريب او البعيد بل ساتحدث عن الواقع الراهن .

فها هى الصحف العربية تاتى إلينا بالانباء المختلفة عن مرض الشاعر » امل دنقل » ، والانباء التى تاتينا لا تخفى ابدا خطورة المرض فهو نوع من انواع »الاورام» الخطيرة التى تسرى فى خلايا الجسم فتهدد حياة الانسان . ومع هذه الأنباء ، يكتب يوسف ادريس صرخة فى جريدة الأهرام يقول فيها » لقد اقام امل دنقل فى حجرة بمعهد الاورام تكاليفها ثلاثون جنيها فى اليوم الواحد ، وقد تجمع عليه الآن مالا يقل عن الثلاثة الاف جنيه » ويوجه يوسف إدريس نداء إلى رئيس وزراء مصر للمساهمة فى علاج الشاعر وإنقاذه من محنته الصحية ومحنتـــــه المادية .

والحقيقة الواضحة والمؤلمة من خـــلال هذا كله هى ان » امل دنقل » فى خطر ، وان حياته كلها مهددة بالضياع ، وان قدرته المادية الخاصة ، لا يمكن ان تفى ابدا بمطالب العلاج الذى يحتاج إليه .. ان امل دنقل فى بساطة ، هو موهبة حقيقية تتعرض لموقف تصطدم فيـــه بامراض مجتمعنا العربى اشد الاصطدام .

دنقل والسياب

و » امل دنقل » يتعرض لمحنـــة لا تقل عن محنة الشاعر الكبير بدر شاكر السياب هذا الشاعر الذى ظل سنوات طويلة – فى اواخر الخمسينات واوائل الستينات – فريسة لمرض لا يساعده احد على علاجه ، ولم يلتفت احد إلى ماساته إلا فى اللحظات الاخيرة ، حيث لم يكن هناك جدوى من اى علاج او رعاية . صحيح ، ان السياب وجد بعد رحيله ، اهتماما واسعا بتراثه الأدبى وباسرته ، فهل ننتظر ان يحدث لامل دنقل ما حدث للسياب حتى نهتم به ، ونرعى تراثه الادبى ، ونعطيه الجوائز ، ونتجـــه بعنايتنا إلى ما بقى من اسرته واهله ؟!

إننا ندعو لامل دنقل بالشفاء ، ونقول صادقين مع يوسف إدريس » بالله يا امل لا تمت فكلنا فداؤك » ، ونعود لنفتح ابواب الذاكرة فى المجتمع العربى فنقول :

» امل دنقل » هو واحد من اعظم الشعراء العرب المعاصرين ، وانتاجه الشعرى يمثل ضوءا باهرا يمتد إلى عيوننا وقلوبنا من خلال الظلام المعتم الذى تعيش فيه حركة الشعر العربى فى هذه المرحلة فقد سقط الشعر العربى المعاصر تحت سيطرة الغموض والتعقيد والسخف ، ولم يبق من فرسانه الحقيقيين إلا عدد قليل ، يقف فى مقدمتهم امل دنقل ، ولن نجد – على سبيل المثال – فى صفحة الشعر العربى المعاصر حول » نكسة ١٩٦٧ » المؤلمة ، أصدق مما كتبه أمل دنقل ، فى التعبير عن هـــذه الهزيمة القاسية ، وفى كشف خفاياها ، والتنبيه إلى منابع الداء العربى ، بفهم وأمانة وإحساس عميق،كل ذلك فى هندسة فنية سليمة مبدعة ، خالية من الصراخ والعويل ، وبعيدة عن الصياغة الصحفية المباشرة والتى وقع فيها كثير من الشعراء العرب حين عبروا عن هذه الماساة تعبيرا يمس الهامش ولا ينطلق من اعماقها الحقيقية الصحيحة .

و » أمل دنقل » شاعر جارح بكل معنى الكلمة ، فكلماته » تمزق » الجسد العربى

كأنها السكين أو الخنجر ، ذلك أنه لا يخفى ـ فى قصائده ـ حقائق المأساة ، ولا يدور حولها ، ولا يوشيها بألوان حريرية زاهية ، تستر ما فيها من آلام وأحزان ، و « أمل » هو واحد من الشعراء القلائل الذين رأوا المأساة العربية رؤية صحيحة ، واجتمع فى دواوينه الخمسة التى تحت يـــدى « ولا أدرى فى فوضى حركة النشر العربية إن كانت له دواوين أخرى أو أن هـــذه الدواوين الخمسة هى كل ما طبع له ». أقول إن دواوين أمل دنقل الخمسة قــد اجتمع فيها بصدق وعمق وفن رفيع ما يرسم أمام العربى صورة واضحة لكل ما يعانيه من الآم ولكل ما يعوق حركة حياته من مصاعب ، ولكل ما يواجه مستقبله من تعاسات ، إن شعر أمل دنقل وثيقة كاملة ، لا تخفى شيئا ، ولا تكذب عليــنـــا ولا تجاملنا ، ولا تحسب حساباً لما قد نخجـل منه أو نحاول إخفاءه . ولذلك فهناك ظاهرة غريبة حول شعر أمل دنقل ، هذه الظاهرة هى أن الشاعر نفسه مشهور ومعروف عند كل قراء الشعر فى الوطن العربى ، أما شعره فهو أشبه بالكتابات السرية ، يقرأها الناس فى لحظات خاصة ، ولا ترددها الإذاعات أو الصحف أو أى جهاز من أجهزة الإعلام ، لأن الشاعر فى قصائده يصفع ، ويصدم ويواجه ويغرس كلماته فى أعمق الجراح ، دون أن يتحرج أو يحاول المداراة والاخفاء ، وبقدر ما نجد فى شعر « أمل دنقل » من الصور الفنيــة العميقـــــة ، والهندسة الشعرية الناضجة فى بناء قصائده ، والسيطرة الدقيقة على كلماته وموسيقاه الشعرية ... بقدر ما نجد هذه الخصائص الفنية الرفيعة فى شعره ، فان شعره من ناحية أخرى لا يتسم أبداً بالغموض ، ولا يخفى رؤية الشاعر الموضوعية ، للمأساة العربية كما يتصورها وللمحنة التى يعيشها الانسان فى مجتمعنا كما يدركها هذا الشاعر الفـــذ ببصيرته النفاذة وعينه الفنية الجريئة ، ومن هنا جاء شعر أمل دنقل فى مجموعه تصويرا كاملا للداء الذى تعانيه نحن العرب ، وتصويرا أكمل وأجرأ لما ينبغى علينا أن نفعل للنجاة بالمجتمع والانسان والحضارة فى الوطن العربى ، ولا يمكن لأحد أن يخرج من قراءته لقصائد أمل دنقل إلا بالاحساس الواضح بأن الشاعر غاضب غضبا روحيا عاصفا ، ولكن غضبه ، ليس أعمى ، بل هو غضب مبصر شديد الوعى عميق الرؤية والادراك .

وحيد فى محنته

فكيف نترك هذا الشاعر يتعرض لمحنته وحيداً ؟! .. كيف نترك هذه الموهبة النادرة تغرق فى الألم دون أن نعمل على انقاذها لا من أجل أمل دنقل ، ولكن من أجل مجتمعنا الذى يحتاج إلى مثل هذه الموهبة النادرة فى تبصيره بمصيره والعمل على تنويره وتغييره إلى ما هو أفضل وأكرم وأقوى ، حتى يواجه الحاضر والمستقبل بقدرة حقيقية على رد المخاطر ومواجهة المحن .

هل هو قرار غير معلن منا جميعاً بأن « نعاقب » الشاعر على فنه وصدقه وموهبته ؟ هل هو قرار بقتل الشعراء الذين يقلقوننا بأغانيهم الصريحـــة الجارحة ؟ كيف ينام المجتمع العربى راضى الضمير مستريح النفس ، ومثل هذه الموهبة تضيع أمامنا وتتبدد ، ونحن قادرون على انقاذها ، ولكننا نختار ـ على العكس ـ موقف المتفرجين تمهيداً لأن نبكى غـــــدا ، ونحتفل ونقيم المهرجـــانات فى كل موقـــــع ثقــــافى وأدبى على امتداد الأرض العربية من الخليج إلى المحيط ، من أجل أمل دنقل ، بعد أن نكون قد أضعناه وفرطنا فيه ، وألقينا به إلى التهلكة بأيدينا نحن لا بأيدى الغرباء والأعداء .

أين وزارات الثقافة العربية ؟ وأين اتحادات الكتاب والأدباء والفنانين ؟ وأين كل هذه القوى الموجودة على الساحة الثقافية والوطنية .. أين هذه المؤسسات كلهـــا ومـــاذا تفعـــل عندما يسقط هذا الشاعر الموهوب ضائعا فى إحــــدى المستشفيات ، ولا تمتد إليه يد ، ولا يحنو عليه قلب ، ولا يصرخ ضمير ؟!

إننى أكتب هذه الكلمات وليست بينى وبين الشاعر صداقة أو شبه صداقة ، بل على العكس ، فاننى لم أنجح فى يوم من الأيام فى إقامة جسور للصداقة الحقيقية بينى وبين هذا الشاعر ، فهو من «أصعب» الشخصيات التى عرفتها فى الجيل الأدبى المعاصر ، ولكن صداقتى مع أدبه قائمة وممتدة ، منذ اليوم الأول الذى استمعت فيه إلى قصائده ، مع الشاعرين الكبيرين صلاح عبد الصبور وأحمد حجازى ، عندما كنا نعمل معاً ، وفى حجرة واحدة ، فى مجلة روز اليوسف سنة ١٩٦٠ ، وجاءنا أمل دنقل من الصعيد زائراً يقرأ علينا

نابليون صحب معه إلى مصر ١٤٦ أديبا ورساما وموسيقيا وعالما .



تشرشل .. بريطانيا مستعدة للتنازل عن مستعمراتها وليست مستعدة للتنازل عن شيكسبير .

شعره العنيف المتمرد .. منذ هذا اليوم وانا قابع امل دنقل واحرص على قراءة كل قصيدة جديدة له ، وقد ضقت احيانا ببعض شعره الجميل ، لشدة قسوته وصراحته وعنف ما كان يوجهه إلى المجتمع العربى والانسان العربى من نقد ، ولكننى لم افقد احترامى للشاعر وموهبته الرفيعة فى يوم من الايام ، حتى بالنسبة لتلك القصائد الجارحة التى اقلقتنى ودفعتنى إلى نقد الشاعر لاحساسى بانه كان أقسى مما ينبغى علينا ... والحقيقة اننى اخطأت فى نقد الشاعر حينذاك وكان الشاعر من الصادقين .

واليوم وهو يعانى – وحيدا – الاما قاسية عنيفة ، لا اجد ما افسر به محنته غير ضعف فهم المجتمع العربى لقيمة الموهبة ، وضعف تقديره لها ، وقلة حرصه على هذا النوع من الثروة الانسانية ، وهذه الثروة هى عندى اغلى ما يملك مجتمعنا من الثروات ، وهى وحدها التى يمكن ان تدفعه وتقوده فى مسيرته الحضارية ، حيث يستطيع ان يشق طريقه وسط المصاعب والمشكلات الدقيقة التى يواجهها مجتمعنا فى هذه المرحلة .

من يقتل الأطفال ؟

هل نترك الشاعر يواجهنا بهذه الكلمات القاسية فى إحدى قصائده :

لا تسالى النيلَ ان يعطى وان يلِدَا
لا تسالى ... ابدا
إنى لافتحُ (عينى حينَ افتحُها !)
على كثيرٍ .. ولكنْ لا ارى احدا

او نتركه يؤلمنا ويجرحنا ، ومعه كل الحق والصدق ، بهذه الابيات من قصيدة اخرى :

اه .. من يوقِفُ فى رأسى الطواحينَ .؟
ومن ينزِعُ من قلبى السكاكينَ .؟
ومن يقتلُ اطفالى المساكينَ
لئلا يكبروا فى الشقَقِ المفروشَةِ خدَّامينَ
من يقتل اطفالى المساكينَ .؟
لكيلا يصبحوا – فى الغد – شحاذينَ
يستجدونَ اصحابَ الدكاكينِ
وأبوابَ المرابينَ

او نتركه ينادى امته فى مثل هذه الأبيات بهذا النداء الأليم :

ناديتُ .. ماردّتْ
صرختُ .. ما ارتَدَّتْ
وظل صوتى يتلاشَى .. فى تلاشيها
وراء الموجة المنكسره

هل ننتظر ، والمستشفى تطالب امل دنقل بثلاثة الاف جنيه ، لا يملكها ، ان نقرا قوله فى إحدى قصائده :

هذا قدر المهزوم :
لا ارضَ .. ولا مالَ ..
ولا بيتَ يرد البابَ فيه ..
دون ان يطرقَه جابٍ ..

... او يقول هذه الكلمات القاسية الجارحة :

انظرى امتَك الاولى العظيمَةْ
اصبَحَتْ : شِرْذِمَةً من جثَثِ القتلى
وشحاذين يستجدون عطفَ السيفِ
والمالَ الذى ينثرِد الغــازى
فيهوِى ما تعفّنَ من رجــالٍ
وارومَةْ

... او يقول من قلب محتقه :
كل يوم
افتح الصنبورَ فى إرهاقْ
مغتسلا فى مائِهِ الرقراقْ
فيسقط الماءُ على يدى .. دمًا
......
وعندمَا ..
اجلسُ للطعامِ ... مرغمًا :
ابصرُ فى دوائرِ الاطباقْ
جماجما
جماجما
مفغورةَ الأفواهِ والاحداقْ

او قوله :
فاجأنى الخريفُ فى نيسانْ
وطائرُ السمانْ ..
حط على شواطىء البحر الشمالية
طلبت مَنْ تُحبّه نفسى ... قُبيلَ النومْ
فلم أَجِدْ ... إلا عذابَ الصّومْ
طلبت من تحبه نفسى
(فى الظلِّ والشمسِ)
فلم اجِدْ ... نفسِى
....

وها انا خلف النوافذ الزجاجيهْ
ارقبُ عند المغرب الشاحبْ :
طائرىَ الغائبْ !

والطائر الغائب هنا هو « مصير » هذا الشاعر الموهوب ومصير اى شاعر مثله يعانى ويتألم ، ويتعرض للمحنة دون ان يجد يدا تدفع عنه الأذى وترد المرض ، وتحفظ عليه ما يستحقه من الكرامة كفنان وإنسان .

نماذج عديدة

إن ما يحدث لهذا الشاعر ليس النموذج الوحيد فى الوطن العربى ، فما اكثر الذين تعرضوا للموت والغربة وسائر الوان المحنة فى تاريخنا المعاصر ، وليس هناك باب فى الشعر العربى اكبر ولا اكثر ثراء من باب « الشكوى » من « الزمان والناس » او هو – كما نقول – فى المصطلحات الادبية الحديثة باب « الاحساس بالاغتراب » فى العالم والوطن والمجتمع ، فمكانة «الشاعر» فى الوطن العربى لا تتجاوز احد أمرين : إما ان يكون اداة إعلامية مباشرة ورخيصة وهنا قد يجد الشاعر مكانه ويحصل على فرصة مناسبة للحياة ، وإما ان يكون الشاعر « اداة حضارية » فى مجتمعه إذا صح التعبير ، فيقود ويحرك ويكتب فى صدق وغضب وتمرد حقيقى تصويرا لمعاناة الانسان فى وطنه وهمومه وجراحه ، وفى هذه الحالة يتعرض الشاعر لظروف صعبة قاسية اليمة ، و يتحول شعره إلى صرخات من الشكوى والسخط .

لقد كتب الشاعر الكبير «حافظ ابراهيم» قصيدته الشهيرة : « كسرت اليراع فلا تعجبى » سنة ١٩٠٤ وهى القصيدة التى يقول فيها » والقصيدة منشورة فى ديوانه ، و « مصر » فى هذه القصيدة هى رمز للوطن العربى كله :

وكَمْ فيكِ يا مصرُ من كــاتبٍ
أقال الـــيَرَاعَ ولَمْ يكتُــبِ
فلا تَعْــذِلينى لهذا السكوتِ
فقد ضَاقَ بى منكِ ما ضَاقَ بى
وقد غَضِبَ النــاسُ من قبلنا
لِسلْبِ الحقوقِ ولَمْ تَغْضَــبى

وقد كتب « حافظ ابراهيم » قصيدته هذه وكان شاعرا وطنيا لا شبهة فى وطنيته .. ومنذ ظهور هذه القصيدة ، وهناك سلسلة

متصلة من شعر الشكوى والغضب فى الوطن العربى كله ، تدل على ان وضع الشاعر فى مجتمعنا الحديث ، هو وضع بالغ السوء والمرارة ، وان ما يتعرض له الشعراء الصادقون ، هو نوع من القتل المعنوى ، إن لم يكن قتلا ماديا مباشرا ، فابو القاسم الشابى يكتب فى الثلاثينات مخاطبا شعبه بهذا الصراخ المتالم العميق فيقول :

انت فى الكون قوةٌ لَمْ تَسُسْــها
فكرةٌ عبقــريةٌ ، ذاتُ بــأْسِ
انت فى الكــون قــوة ، كبلتهـا
ظلماتُ العصُورِ ، من امسِ امسِ
والشقىُّ الشقىُّ من كـان مثـلى
فى حسَاسِـيَّتى ورقَّةِ نَفْسِـى

ضحية اخرى

ولعلنا نذكر « عبد الحميد الديب » ذلك الشاعر العبقرى الذى عاش فى مصر فى الثلاثينات واوائل الاربعينات ، والذى اطلق عليه الباحثون والنقاد المعاصرون وصف « الشاعر البائس » ... لقد عاش هذا الشاعر ، رغم موهبته ، حياة مؤلمة ، وكان اشبه بالمتسول الذى يمد يده للناس ليجد ما ياكله او يرتديه ، او ليجد ماوى يقضى فيه ليله بعيدا عن الشوارع والمقاهى والارصفة ، ومع ذلك ظلت الحياة الادبية العربية تردد شعره وصرخاته الفنية ، دون ان يجد الشاعر من يمد إليه يده او يرعاه ويعينه ويعطيه بعض حقه فى الحياة . ولقد كان بكاء عبد الحميد الديب لونا من الغناء الذى يطرب الآخرين ، فيستمتعون به ثم يتركونه بعد ذلك لبؤسه وشقائه ، وكأن هدفهم قد تحقق بالاستماع إلى الشاعر او بقراءة شعره ، وكأن البؤس والضياع هما الوضع الطبيعى للشاعر المسكين ، الذى وصل به الامر إلى حــد الحديث المباشر الجارح فى إحدى قصائده وهو حديث يدين عصر الشاعر بكل من فيه من الادباء والمثقفين والمسئولين عن المجتمع :

لقد كنتُ ارجو غرفةً فأصبتُها
بناءً قديمُ العهدِ اضيقُ من جَـدِّى
فأهدأُ انفاسِى تَـكادُ تهدّهـا
وايسرُ لمشْى فى بِنَايتِهــا يُرْدى
أرى النمْل يخشَى النّاسَ إلا بأرضِها
فارجلُهُ أمضَى من الصارمِ الهِنْدى
تُساكنُنى فيها الأفاعِى جرِيئَـةً
وفى جوِّها الامراضُ تقتلُ او تُعْدى
ترانى بها كلُّ الأثاثِ فَمِعْطفى
فراشٌ لنومى او وِقَـاءٌ من البَرْد
واما وسـاداتى بها فجرائـدٌ
تُجَدَّدُ إذْ تبلى على حجَرٍ صَـلْدِ
تعلّمْتُ فيها صبرَ « ايوبَ » فى الضنى
وذقتُ هزال الجوعِ اكثرَ من « غندى »
جــوارُكَ يا ربى لمثلىَ رحمــةٌ
فخذنى إلى النيرانِ او جنةِ الخلْد

والغريب انه عندما مات « عبد الحميد الديب » سنة ١٩٤٣ ، اقيمت له حفلة كبرى اشترك فيها خطباء وشعراء من كل مدرسة ومذهب ، وحضرها جمهور كبير ، وتلى فيها خطاب ارسله وزير الشئون الاجتماعية وخطاب ارسله وزير الاوقاف ، وكانت الحفلة كما قيل عنها مظاهرة ادبية كبيرة . وقد علق الدكتور زكى مبارك بقلمه العنيف اللاذع على هذه المظاهرة الضخمة والكاذبة فى آن واحد بقوله :

إن عبد الحميد الديب لم يقتل نفسه عامدا متعمدا ، انتم خذلتموه وضللتموه وفرضتم عليه ان يستغيث بمعروفكم يا اسخياء .

تقول العبارة المصرية « يقتل القتيل ويمشى فى جنازته » وانتم القتلة لذلك المخلوق الذي وثق بكم ، وانتم حملة المصاحف او القماقم بجنازته العجفاء ، فما قيمة براعتكم فى الرثاء - ؟

إن دموعكم ياقاتليه لن تنجيكم من غضبتى عليكم .

فاسمعوا هذه الكلمة ، واعلموا ان بكاءكم في هذا الاحتفال سيمر بلا ثواب ، وقد يكون مجلبة للعقاب ، لانكم تزينون لسامعيكم حياة لا ترضونها لانفسكم إلا مكرهين .

ولقد كان زكي مبارك فى منتهى الصدق والشجاعة ، عندما علق بهذه الطريقة على الاحتفال بعبد الحميد الديب بعد موته ... او بالاصح بعد قتله .

وكل هذه الصور الاليمة تدفع إلى ذهني بصورة اخرى لا يمكن ان انساها هي صورة الشاعر الفنان نجيب سرور فى عامه الاخير ، حين كان يتمزق الما وضياعا واستسلاما للمرض والموت القادم إليه حيث كانت يد المـوت تمتد الى جزء من جسـده كل يوم ، حتى انتهى كالشمعة التى ذابت قطرة بعد قطرة

وكان الشاعر الفنان نجيب سرور يعيش وكانه محكوم عليه بالاعدام وليس امامه إلا ان ينتظر التنفيذ ، وهو يعرف التوقيت بدقة ووضوح ... وقــد تعرض لذلك كله - ولفترة طويلة - دون حماية او رعاية من احــد .

اقوى من المحنة

واعود إلى شاعرنا العبقري « امل دنقل » ، فاؤكد انني لا اقارنه بغيره من الشعراء السابقين الذين مروا بظروف صعبة قاسية ، وذلك لان « امل » في ايام صحته وعافيته كان من القوة بحيث استطاع ان يعيش حياة طبيعية كريمة عن طريق قلمه وموهبته دون الحاجة إلى العون من احد ، حيث كان شعره مطلوبا ومقروءا ومحبوبا في كل مكان . ولكن محنة امل دنقل ، تاتيه اليوم بسبب مرضه ، واضطراره للبقاء المستمر في المستشفى ، حتى يعود إلى وضعه الطبيعي بعد الشفاء ، وفي هذه المحنة ، ينبغي ان يستيقظ الضمير في مجتمعنا العربي ، ويتنبه إلى قسوة ما يفعله بالنسبة للشعراء الموهوبين الذين يزيدون ثراء هذا المجتمع ويجعلون منه مجتمعا حيا متحضرا ، وينيرون امامه الطريق برؤيتهم الصافية النقية الصادقة ، وكل ما نرجوه الا يكون « امل دنقل » « ضحية جديدة » تؤكد ان المجتمع العربي لا يطيق صوت الشعر ، وانه مجتمع يقتل الشعراء ...إن امل دنقل يتحمل محنته بشجاعة ورجولة وكرامة لا تهتز ، فهو ابعد الناس عن ان يكون موضعا للشفقة ، او طالب للعطف والاحسان ... ولكن كلماتي هذه - إلى جانب ما كتبه غيري - لا تهدف فقط إلى انقاذ « امل » بقدر ما تهدف إلى إنقاذ مجتمعنا العربى من هذا الاسلوب غير الحضاري في معاملة المواهب والموهوبين وهو اسلوب سوف يعود علينا باسوا النتائج وابلغ الأضرار ، ومثل هذا الاسلوب سوف يقضي على اغلى واثمن ما نملكه وهو موهبة الانسان ولن يجدي البكاء ، بعد فوات الاوان .

هل ننتظر حتى يقول عنا التاريخ : لقد كان العرب فى القرن العشرين يقتلون الشعراء ويبيعون الفن فى سوق الكساد ويتركون ابناءهم الموهوبين فى مستشفيات الدرجة الثانية يهددهم الموت وهم فى عمر الزهور وفى سن الابداع الصــادق الجميل ؟ ..

رجاء النقاش

رؤية شاملة عن الموضوع تضع الجزئيات المتوفرة لدينا فى مواضعها ومراتبها ، وتحدد لنا المواضع التى مازالت تحتاج إلى بحث وتدقيق والى مزيد من الدراسات الفرعية على طريق إغناء رؤيتنا الشمولية المنشودة .

وهذه العلاقة العضوية الوثيقة بين الخاص والعام ، بين الجزئي والشمولي تنبع مما قرره ارسطو وعلماء المنطق الآخرون من الصلة التى لا تنفصم بين عملية الاستقراء – اي دراسة الجزئيات وتبويبها واستخراج معانيها – وعملية الاستنباط اي الحدس بالرؤية الشاملة اثناء عملية الاستقراء وخلال مراحلها مرحلة بعد اخرى حتى نهايتها حيث يكون الاستنباط عندئذ مستنداً إلى اساس وثيق من الادلة والشواهد الاستقرائية ..

هذه الادلة والشواهد التى تبقى كما مهملا وتراكما غير مثمر إذا لم تتوج بعملية الاستنباط والاستنتاج العام واستخراج القوانين الشاملة للظواهر .

وليس هناك حدود ثابتة جامدة بين عمليتى الاستقراء والاستنباط فى العقل الانساني . فانت تبدا دراستك لجزئيات موضوعك على ضوء فرضية عامة افترضتها فى بداية البحث حيث يستحيل التعامل مع الجزئيات المتفرقة المتباعدة دون قاعدة مبدئية واولية يعتمدها الباحث فى بداية بحثه . هذه الفرضية المبدئية تتعدل بالتدريج على ضوء الجزئيات والشواهد التى تتكشف من سياق البحث ، وهذا التعديل فى الفرضية يتطلب تكييفا جديدا للبحث من اجل الكشف عن المزيد من المعلومات المطلوبة فى جوانب اخرى من الموضوع او القضية .. وهكذا إلى ان تكتمل التفاصيل وعلى ضوئها تتاكد الفرضية ، أو تتغير أو تنقض للبحث عن فرضية أخرى .. أما فى حالة تاكيدها فان الفرضية تصبح نظرية مقبولة متداولة او قانونا من القوانين المعترف بها علميا .

● ●

أردت من هذه التقدمة فى منطق البحث العلمى ان اصل الى بعض الاستنتاجات الاستنباطية حول الظاهرات والقوانين العامة التى اثرت فى حياة الفكر والأدب على المدى التاريخى بمنطقة شرق الجزيرة العربية والخليج العربى وهى ملاحظات وخلاصات اخذت تتجمع لدى وانا اقوم بابحاثى التفصيلية حول التاريخ الثقافي لهذه المنطقة خلال الخمس عشرة سنة الماضية ، أو اتابع واطلع على ابحاث ودراسات زملائي الاخرين فى هذا الموضوع وهى قد اصبحت كثيرة وواعدة فى السنوات الاخيرة بعد ان كنا قلة قليلة فى بداية الأمر .

المسالة التى اود طرحها تتعلق باستمرارية او عدم استمرارية تقليد ادبي وفكرى متواصل فى تاريخ الخليج وشرق الجزيرة .

والسؤال بالتحديد : هل سمحت عوامل الصراع والتجزئة فى تاريخ المنطقة بنشوء حياة ادبية وفكرية مستمرة ومتصلة الحلقات فى تاريخها ام ان حياة الادب والفكر كانت عبارة عن جذوات تشتعل وتخبو حسب الظروف التاريخية دون تطور مستمر ؟

وفى الحالتين ، حالة الاستمرار او حالة الحركات الادبية المتقطعة ، هل هناك قوانين ومعان حضارية وخصائص فكرية متميزة ومتكررة فى ثقافة المنطقة ونتاجها الفكرى والادبى ؟ وما هى هذه القوانين والمعانى والخصائص والميزات إن وجدت ؟

هذه الاسئلة التى تطمح الى الخروج بنظريات عامة عن التاريخ الثقافى لهذه المنطقة ، اى تطمح للقيام بعملية استنباط شمولية لهذا الموضوع ، تعيدنا الى وجهها الآخر وهو الجانب الاستقرائى .. اى توفر المصادر والوثائق والدراسات التفصيلية حول مختلف اجزاء الموضوع .. هل اصبحت على درجة من الوفرة تسمح لنا بالانتقال من التدرج الاستقرائى الى الكشف الاستنباطى والاستخلاص والتعميم ؟

لا نزعم ان هذه الشواهد الاستقرائية قد بلغت مرحة الكمال ، او مرحلة الاطمئنان التام الى ما ترفدنا به من احكام ونظرات .. ولكن هنا ياتى دور الاستنباط فى البحث العلمى ليرشد عملية البحوث الاستقرائية ويعطيها وجهتها المتطورة ويلقى الضوء على الآفاق الجديدة التى لابد لها أن تتطلع نحوها إن هى ارادت تحقيق غاية النهضة الفكرية من جهود البحث العلمى .

إذن .. على ضوء ما توفر لدينا حتى الآن من شواهد سنحاول او بالاحرى سنغامر باعطاء مخطط أولى للاجابة ، وما سنقوله هو استنباط وفرضيات تتعدل وتتبدل حسب ما نكتشفه مستقبلا من وثائق وادلة . وبعض ما سنقولة وسنطرحه فى صيغة سؤال حتى لا يتخذ صفة الجزم والقطع .

اولا : هذه التنقيبات والاكتشافات الجديدة المتواترة عن حضارة دلمون فى المنطقة ، الم يظهر ما يدل منها على حياة ادبية وفكرية فى العصر الدلمونى بالاضافة الى ما تم الكشف عنه من حياة دينية وتجارية ، وهل ينفصل الشعر عن الدين فى تلك الحقبة الميثولوجية من التاريخ القديم؟

وإذا كانت ارض دلمون قد اوحت للشاعر او الكاهن السومرى المعاصر لها أن يقول شعرا دينيا رائعا فيها .. قصدت القصيدة المشهورة : « ارض دلمون ارض مقدسة طهور، فى أرض دلمون لاينعب الغراب ولا يزار الأسد .. الخ » .

اقول نتيجة ذلك التفاعل الخصب بين سومر ودلمون الم يظهر بالمقابل شعر وأدب دلمونى ؟

هذه مسالة يمكن ان يعيننا على جلائها المختصون فى حضارتى سومر ودلمون . ولكن لنا ان نفترض مؤقتا ان الحضارة الدلمونية التى كانت صلة التفاعل بين سومر وأرض السند لايمكن ان تكون بدون تراث أدبى متصل بالدين او منفصل عنه .. بل إن الدين الدلمونى نفسه لايمكن قطعا أن يكون دون مبادىء مقررة ونصوص وصلوات وأدعية تمثل الادب الدينى لتلك الحضارة .

ولنا أن نتصور ايضا ان هذا التراث الأدبى والدينى كان تراث انفتاح وتسامح وتفاعل لأن دلمون نفسها كمنطقة بحرية منفتحة كانت محطة انفتاح وتفاعل بين حضارتين كبيرتين هما حضارة سومر ، وحضارة وادى السند .

اذا امسكنا هذا الخيط على رقته وسحبناه معنا فى رحلتنا التاريخية الثقافية هذه من العصر الدلمونى الى العصر الجاهلى .. فماذا نجد ؟

نلاحظ أن منطقة الخليج وشرق الجزيرة كانت منطقة تجاور وتعايش وتفاعل بين

مختلف الديانات القائمة حينئذ ، اى انها واصلت تقليدها المنفتح منذ دلمون ، وان ذلك التعايش لابد ان يكون قد ولد تيارات فكرية وحياة ثقافية خصبة . ومن الوثائق النادرة ولكن الدالة على تلك المعاناة الفكرية واكاد اقول الفلسفية ، معلقة طرفة ابن العبد الذى عاش فى هذه المنطقة هو وقبيلته ورهـط من الشعراء قبل ظهور الاسلام ، بما لايقبل الشك .

ولقد لاحظ دارسون عديدون من مستشرقين وعرب من بينهم الدكتور طه حسين إن هذه المعلقة تشمل نظرات وجودية سابقة لأوانها ، وتأملات فى الكون والحياة والموت لايمكن أن تنبت من فراغ فكرى وجميع المعلقات السبع او العشر الأخرى لا تبلغ مرتبتها من الناحية الفلسفية ، ففى الوقت الذى ركز فيه امرؤ القيس على الصيد والقنص والمغامرات النسائية ، وانفعل عمرو بن كلثوم بعنعنات الجاهلية والمزايدات القبلية من نوع « الا لا يجهلن احد علينا » و « ملأنا البر حتى ضاق عنا » .. كان « طرفة » يتساءل بهدوء وألم عن معنى الحياة ، وعن الموت الذى يوجد فى التراب بين الغنى والفقير والصغير والكبير ، وكأنه بهذه الأسئلة يعبر عن شوق النفس العربية الى إيمان جديد كانت تهفو اليه قبل الدعوة ، ويعبر عن تساؤلات العقل العربى قبل ان يروى ظمأه الاسلام .

ويمكن فهم هذا التميز على ضوء الموقع الجغرافى .. الحضارى ، فكلما تم الاقتراب من البحر المنفتح على حضارات العالم كان الموقف الذهنى اقرب الى التجديد والتحرر وكلما تم الايغال فى الداخل البعيد والمنعزل عن المؤثرات الحضارية ، كان الموقف اكثر تمسكا بالمحافظة وبتقاليد العشيرة . وهى مفارقة نلمسها فى اطراف الخليج ذاته قديما وحديثا . فما كان من تلك الأطراف أكثر تأثرا بحياة الصحراء كان اقرب الى المحافظة وما كان منها اكثر تأثرا بحياة البحر كان أميل الى التغيير . وذلك طبيعى . فامواج البحر حركة ، وصخور الصحراء ثبات . وتاريخ الادب فى الخليج هو نتيجة لجدلية البحر المنفتح والصحراء الثابته ، اى لجدلية التغيير والمحافظة .

وهذه الظاهرة ذاتها نجد مصداقا لها فى مصر ، فاهل الوجه البحرى أكثر انفتاحا وتحررا من اهل الوجه القبلى المشهورين بالمحافظة والتمسك الشديد بتقاليدهم المتوارثة ، وما ذلك إلا لأن الوجه البحرى أكثر تعرضا للمؤثرات الحضارية القادمة إليه من البحر ، بينما الوجه القبلى محاط بسياج عزلته الساكنه ، خاصة فى الحقب الماضية قبل انتشار وسائل الاتصالات الحديثة ، ورغم انتشار هذه الوسائل الان فان الروح المحافظة التى تكونت عبر العصور ما زالت متمسكة بثوابتها ، شديدة الحذر من مؤثرات التغيير .

وهذا القانون ينطبق ايضا الى حد كبير على مناطق الجزيرة والخليج ، مرجحا ميل التغيير لدى أهل البحر والمطلين عليه ، مغلبا ميل المحافظة لدى اهل البوادى الداخلية والجبال المنيعة .

ولكن يجب الا نستبق الأمور فى صياغة تفسيرنا النظرى المنشود ولنعد من الاستنباط الى الاستقراء من جديد ؟

قلنا ان معلقة « طرفة بن العبد » ابرز وثيقة جاهلية دالة على نوع الحياة الفكرية والادبية فى هذه المنطقة ، ولم يكن طرفة الشاعر الوحيد المنسوب اليها .

ففى المعجم الوجيز لرجال الثقافة فى تاريخ الخليج الذى الحقته بكتـــابى «لمحات من الخليج العربى » احصيت سبعة وثلاثين شاعرا من العصر الجاهلى وحده ، نسبتهم المصادر الادبية القديمة الى قبائل شرق الجزيرة كبكر بن وائل ، وبنى عبد القيس ، ومن ابرز اولئك الشعراء : سعد بن مالك جد طرفة ، والمتلمس ، والمرقشان الاكبر والاصغر ، وعدة شعراء عبديين اخرين .. مما يؤكد ان طرفة لم يبرز من فراغ .

بعد ان اعتنقت هذه المنطقة الاسلام ، واجتازت ازمة الردة التى مرت بها بعض اطرافهـــا ، نجـــدها تستقر .. من عهـــد الراشدين والأمويين الى العصر العباسى الاول .. على صيغة سياسية وفكرية ابرز ما يميزها صفة : « التعددية » اى تعدد وتنوع الاتجاهات والاجتهادات . فبسبب بعد هذه المنطقة حينئذ عن مراكز الخلافة وعن سلطة القوة المركزية ، لجات اليها واستوطنتها الفرق المعارضة للامويين والعباسيين ، ولعلها قد وجدت فى تقاليد الانفتاح المتوارث فى هذه الاطراف ما وفر لها جو التسامح الذى افتقدته فى اماكن اخرى . ومن هذا الواقع نسمع عن قطرى ابن الفجاءة الفارس والشاعر المنسوب للخوارج ، وعن عيسى الخطى ورشيد الهجرى من رجال الأدب المعارضين للخلافة الاموية .

عاشت هذه الاجتهادات المتعددة بسلام وابداع فى عصر القوة والازدهار . فلما بدأ الاضطراب فى العصر العباسى الثانى وتلاشت السلطة المركزية تحولت هـــذه الاجتهادات الى مظاهر للصراع ، فظهرت حركة الزنج فى شمال الخليج ، وحركة القرامطة فى وسطه ، ولم تستطع هذه الاجتهادات العنيفة تحقيق وعدها فى العدالة والرخاء ، وصارت مظهرا للاضطراب اكثر مما هى وسيلة للاصلاح ، فكان لابد من قوة تمثل إرادة الجماعة ووحدة الأمة لحماية المنطقة من الانقسام .

ولكن قبل الانتقال للبحث فى هذه القوة الموحدة ، لابد من أن يتوقف الدارسون عند المظاهر الشعرية والخطابية والفكرية التى خلفها دعاة الزنج والقرامطة ، فهذه الحركات التاريخية على خطورتها لا يمكن أن تكون دون شعر وادب ، ودعاة وفكر . فمن يبحث عن المصادر والمظان ، ثم من يحلل ويقيم ؟ .. سيكون هذا دون شك فصلا ممتعا من تاريخ الخليج الثقافى ، يكشف عن الصوت الآخر من التراث ، وهذا الصوت يمثل استمرارا للخيط الذى نمسك به فى عصر دلمون الذى انعكس انفتاحه الحضارى فى حيوية الأفكار فى عصر « طرفة » ، ثم فى تعددية الاجتهادات فى صدر الاسلام ، ثم فى تعددية الظاهرات السياسية ـ الاجتماعية فى العصر العباسي الثانى .

ولكن عند هذا المنعطف يجب ان نعود إلى القانون الآخر فى تاريخ الخليـــج ، القانون الذى يوازى قانون « التعددية »

ويضبط اختلاله ويحتوى اثاره . ونعني به قانون « الجدلية المستمرة بين البحر المتغير والصحراء الثابتة » . فعندما يعلو الموج على رمال الساحل ويتعدى حده تواجهه صخور الصحراء فترده الى مستقره . وعليه ، فان الاضطراب الذى جاءت به الموجة القرمطية على الجزر والسواحل . قد واجهته القوة العيونية المحافظة المنطلقة من الداخل ، وحدثت المواجهة القرمطية ـ العيونية الحاسمة التى لابد ان يلتفت اليها والى آثارها الفكرية ـ فضلا عن التاريخية ـ جميع المهتمين بخلفية المنطقة . فهذه المجابهة كانت نقطة فاصلة فى تاريخ الخليج . وانتصار العيونيين على القرامطة نقل الخليج من وضع التعددية والتباين المتطرف إلى وضع المحافظة والالتزام بالاصول وبخط الجماعة الواحد ورفض التعارض المؤدى الى تعددية الاتجاهات . يصح هذا فى الاجتماع والسياسة ، كما يصح فى الفكر والفقه والأدب ومجالات الثقافة والحياة بعامة . وهذا التحول هو ما يعنيه الانتصار العيونى وقيام الدولة العيونية وسيادتها فى المنطقة لثلاثة قرون، ومعظم الدول التى قامت فيما بعد هى استمرار بشكل او بآخر للدولة العيونية فى نظمها واتجاهاتها وموقفها فى تلك المجالات

ولقد كان الشعر حاضرا حومة تلك المواجهة الفاصلة وشاهدا عليها !

سل القرامط من شظى جماجمهم ؟

اطلقها مفتخرا ابن المقرب العيونى شاعر الخليج الأكبر فى العصور الاسلامية والذى تم تحقيق ديوانه ، وظهرت عنه دراسات جيدة مؤخرا ، لحسن الحظ .

وكما ان « طرفة » لم يبرز من فراغ ، فان ابن المقرب لم يبرز من فراغ ايضا . ولابد ان ذلك الجهد السياسي والحربي الذى صفى القرامطة قد صاحبه صراع عقيدي فكرى بين اتجاه القرامطة واتجاه السنة والجماعة الذى تمثل فى الدولة العيونية .

وهنا اترك ثلاثة موضوعات تاريخية وأدبية وفكرية للباحثين :

● اولا : الصراع العيونى ـ القرمطى وابعاده فى الفكر والادب .

● ثانيا : تاريخ الدولة العيونية التى حكمت هذه المنطقة لثلاثة قرون تقريبا ، اين هو ؟ وماذا فعل العيونيون خلال ذلك ؟ وكيف نجهل دولة كان لها الدور الحاسم فى مصير منطقتنا فضلا عن استمرارها لمدة طويلة فى حكمها وكونها الامارة النموذج لما تلاها من تشكلات تاريخية واجتماعية ممتدة حتى وقتنا الحاضر .

● ثالثا : الحركة الأدبية التي كان محورها ابن المقرب العيونى كيف نعيد اكتشافها ورسمها ؟

● ●

بعد العيونيين يستمر جانب المحافظة فى تاريخ الخليج إلى ان تأتى تحديات الغزو الأوربى ، السياسي والحضاري .. اى الى ان يأتى البحر بمتغيرات جديدة غير معهودة تبدأ بتحريك الثوابت الصحراوية . وطلائع هذا الغزو فى الخليج كان البرتغاليون . والغزو البرتغالى يثير لدى كباحث فى تاريخ الادب والفكر سؤالا محيرا !

ـ كيف اثار الغزو الفرنسي على يد نابليون لمصر حركة فكرية وحضارية جديدة ولم يثر الغزو البرتغالى للخليج مثل هذه الحركة ؟

او انه اثار حركة اجهضت فيما بعد ؟ او انه لم يكن بالمستوى القادر على الاخصاب : فالبرتغاليون فى القرن السادس عشر اقل تمدنا من فرنسيي القرن الثامن عشر ، ام ان المنطقة ذاتها لم تكن مهيأة ذاتيا لمثل هذه النهضة الباكرة ؟

اسئلة اتمنى لو شاركني باحثون اخرون عبء حملها ، ثم متابعة ما تلا هذه الفترة من تطورات .

● ●

ختاما لعل هذه الرحلة ـ بنظرة الطائر ـ بين العصر الدلموني والعهد العيوني ، تعيننا على استخلاص بعض النتائج الخاصة بجوهر التاريخ الثقافى للمنطقة :

اولا : يتصف هذا التاريخ بانفتاح وتسامح فكرى بحكم التفاعل مع الحضارات الانسانية المختلفة عن طريق البحر ..

ثانيا : تنتج عن هذا التفاعل المنفتح تعددية فى الاجتهادات وحيوية فى الافكار تتعايش وتتفاعل فى عصور التوازن والاستقرار وتبقى ضمن الاطار الواحد المتنوع والخصب للحضارة الاسلامية العربية .

ثالثا : عندما يختل قانون التعددية ويفقد توازنه ويضطرب ، يبرز قانون الجدلية المتوازنة بين البحر والصحراء (الجدلية البرمائية) ، وتقدم الصحراء بروحها المحافظة على الأصول والقيم ، مقومات الصمود والثبات والتوحيد لموازنة المتغيرات البحرية وضبطها لحماية وحدة المنطقة واستقرارها ، والحفاظ على متانة النسيج الاجتماعي .

رابعا : هذه الجدلية المتوازنة بين العنصرين (الثابت والمتحول) هى التى مكنت المنطقة وتمكنها الآن من استيعاب الجديد وقبول المؤثرات الحضارية دون ان يؤدى ذلك إلى فقدانها اصالتها واستقرارها ووحدتها .

هذا التوازن المستمر ، والخلاق ، والضروري بين الثابت والمتحول ، بين الباقى والمتغير ، وبين الصحراء والبحر هو ما يجب ان نحافظ عليه ، ونفهم طبيعته وجوهره لانه جوهر الاستمرارية الحضارية فى الماضى والمستقبل ، وهو « المعنى » العميق لتاريخنا الثقافى .

وبعد .. فهذه الخطرات لا تطمح لأن تكون نظرية نهائية فى تفسير التاريخ الثقافى لهذه المنطقة العربية ، ولكنها محاولات اولية نحو التفسير والفهم ، كي لا تبقى الابحاث والدراسات الخليجية فى مستوى الكم ،وكي ترتفع الى مستوى التركيب الفكرى الضرورى لاية نهضة .

د . محمد جابر الأنصارى



شهريات

يوسف إدريس



ورشة القصة في نيودلهي

استغربت للدعوة، فهى ليست قادمة من موسكو ولا جامعة هارفارد او المدرسة العليا للدراسات الشرقية بجامعة لندن، انها قادمة من الهند وبالتحديد من المجلس القومى للثقافة هناك. استغربت لأن الدعوة كانت لما اسماه الخطاب بعقد « ورشة » للقصة القصيرة على المستوى الآسيوى الأفريقى بشكل خاص وعلى مستوى العالم الثالث والعالم بشكل عام. وتعبير « ورشة » لم يكن جديداً على فقد سبق وتلقيت دعوة لحضور « ورشة » عن الفن المسرحى تقام فى جامعة ابادان فى نيجيريا، ويبدو انها تسمية غربية يفضلون اطلاقها على الندوات او المؤتمرات التى يكون معظم المدعوين لها من مؤلفى هذا الفن او ذاك، باعتبار أن كلمة مؤتمر او ندوة يعقدها « المراقبون » و « النقـــاد » وتناقش المسائل من الخارج، بينما تعبير ورشة يعنى ان المجتمعين سيكونون من المنتجين والمؤلفين وصناع هذا الفن او ذاك وسيناقشونه من الداخل، ومعه سوف يناقشون مشاكل التاليف او الانتـــاج والعوائق التى تحول دون المبدع وعملية الابداع.

اقول استغربت لأن عقد ورشـــة لفن « القصة القصيرة » بالذات مسالة لا يمكن أن تتم الا فى بلد وصل بثقافته حد الترف الثقافى فالبلاد الأوربية رغم ثقافتهـــا المتقدمة جداً، لم تقم بعقد ورشة لهذا الفن بالذات باعتباره احدث انواع الفنون المكتوبة، اذ ان عمر القصة القصيرة المكتوبة بشكلها الموجودة به الآن فى العالم لا يتعدى ـ عند الغرب على وجه التحديد ـ أكثر من اربعمائة عام او ربما اقل، اذ هو مرتبط الى حد كبير بظهور الصحافة وبداية نشرها للقصص القصيرة.

ولهذا فان تقوم بلد مثل الهند ـ نعرف ونسمع جميعا عن ظروف الحياة الصعبة فيها ـ بعقد مؤتمر للقصة القصيرة، ترسل فيه دعوات وتتحمل مصاريف السفر والاقامة لمدة خمسة عشر يوما لما لا يقل عن اربعين كاتبا من مختلف انحاء العالم مسالة لابد أن يرتفع لها الحاجب دهشة مقرونة باعجاب شديد، فها هى ذى واحدة من افقر دول العالم الثالث تقوم بعقد مؤتمر مكلف لنوع من ارقى انواع الفنون المكتوبة لابـــد اذن انها دولة وان كانت ماديا فقيرة إلا انها لابد أن تكون غنية جداً بالفكر والفن والثقافة.

ولهذا لم اتردد، ارسلت بموافقتى فى نفس اليوم.

كان محدداً لعقد الندوة أو « الورشة » الفترة من ٨ ـ ٢١ مارس الماضى. وكنت قد اعددت العدة تماما للسفر، ولكن وقع لى على المستوى الشخصى وبالتحديد يوم ٦ مارس حادث جلل، فقد كان ابنى (١٧ سنة) ضحية حادث سيارة انفجرت له عينه اليمنى. ولن اتحدث هنا عن هول الصدمة والألم، لن اتحدث عن أبشع ما يمكن ان يحدث للرجل، ابشع شىء فى

الدنيا ، ان يحدث لابنه او لابنته حادث يهدده ويهددها بعاهة . انها لتجربة فى حد ذاتها جديرة بان تكتب وحتما ستكتب ، فقط حين يندمل الجرح الذى لا يزال مغورا " فى نفسى رغم ان الله سبحانه قدر ولطف فقد اتيح لنا ان نسعف (بهاء) بالعلاج ، وقدر المولى له طبيب عيون مصرى عبقرى لمكنه ان ينقذ العين ويخيط الجرح الشارخ لكرة العين بطول اربعة عشر ملليمترا مع ضياع لعدسة العين وتهتك بالحدقة . باناملە الدقيقة لملم جراح العيون مكونات العين المبعثرة ، او هكذا قالوا لى ، إذ انى لم احتمل ابدا مشهد الطبيب ان يخرج من غرفة العمليات ليقول لى : انا اسف ولكن كان لابد من استئصالها ، ولهذا ، ولكى لا أصاب بنوبة قلبية أدخلونى غرفة العناية المركزة بمستشفى مجـــــاور واستعملوا كل ما لديهم من مهدئات وعقاقير تخدير ليجبرونى ان افقد الوعى خلال الفترة الحرجة ، وفعلا لم افتح عينى إلا على هزة من طبيب العيون يوقظنى ويقول : مبروك لقد بدات العين تمتلىء بسائلها او بالأصح (تعبى) وهو ما يعنى انها انقذت ولم تصفى . وكان الخوف الأكبر التالى ان يصاب الجرح بتلوث ويحدث فيها التهاب او (ايريتس) وهو كارثة اخرى لابد لاشفائها من استئصال العين .

وما كاد بهاء يقف على شاطىء الامان ويخلف وراءه كل المراحل الحرجة حتى امرنى طبيبى بان اركب الطائرة فورا واذهب إلى مؤتمرى فى الهند اذ ان خوفه الاكبر كان ان ابقى بجوار بهاء ويهدد قلبى تماما ذلك التوتر الذى يعيشه الآباء والأمهات والقلق المرعب الذى يجتاحهم ، وقال لى : انا لست خائفا عليك فقط ولكن متاكد انك لو حدث لك شيء فستنهار مقاومة ابنك لادراكه انه السبب فى تعبك ولأنه متعلق بك تماما فحتما سيصاب بمضاعفات تهدد عينه ان لم يكن حياته .

ومرغما ركبت الطائرة وقلبى وعقلى وكل ما املك من قدرة على الامل والرجاء تركتها بجوار فراش (بهاء) .

مرغما لهذا السبب الخاص ، ولسبب اخر نقلوه لى وهو ان المؤتمر قرر ـ بعد ما سمع اعضاؤه بالخبر ـ ان يؤجلوا افتتاحه ثلاثة ايام لكى يتاح لى فرصة حضوره . كيف لا اكون كريما مع هؤلاء الأوفياء . متقدما خمس ساعات فى اتجاه الشمس والشرق . وصلت نيودلهى وانا مضعضع تماما فقد طلع على صبح لم يسبقه ليل إذ اكل نصفه اتجاه الطائرة الى شرق اكثر .

ومضعضعا حضرت الجلسة الأولى ، وكانت عين بهاء موضوع أول استفسار عام من اعضاء الورشة ، وحين وزعوا البرنامج والدوسيهات اكتشفت كارثة مضحكة تماما فقد اكتشفت انى فى ارتباكى المهول ، نسيت نظارة القراءة فى الطائرة اليابانية ، وهكذا قدر على ان امضى كل ايام المؤتمر الأولى « سماعى » .

● ●

ولكن ..

احداث الحياة دائما قادرة على انتزاع المرء من اسوا حالاته .

وبعد ساعة كنت قد اندمجت تماما فى اعمال « الورشة » وقد اجبرت مشاكلى الخاصة ان تغوص بعيدا فى اعماقى ، إلى حين على الأقل .

كانت المواضيع التى ستتناولها الندوة هى : القصة القصيرة كشكل ادبى خالص ، والتاريخ والقصة القصيرة ، والقصة القصيرة والتليفزيون والسينما ، والقصة القصيرة والحرب والجنس والعنف ، والقصة القصيرة والصحافة الجديدة ، والقصة القصيرة والتغيرات الاجتماعية .

كانت المواضيع قد ارسلت لى فى القاهرة لأختار منها ما اشاء من موضوعات كى احضر ورقة عن ايها ليناقشها المؤتمر ، ولكن كعادتنا نحن العرب ، حين القيت عليها نظرة فاحصة وجدت انها كلها ليست غريبة على وانه ستكفينى رحلة الطائرة لكى ادون وجهة نظرى عنها جميعا وبالتحديد عن موضوع : القصة القصيرة كفن ادبى خالص ، ذلك انه موضوع لم تتضح ابعاده تماما ولى فيه راى كنت شديد الشغف لأطرحه على اناس جمعتهم هنا فى نيودلهى وحدانية ذلك الفن ، اناقش معهم وقد أصل إلى يقين وقد اتعلم الجديد وقد أخرج وإياهم بمفهوم مختلف لم يطرأ لاينا على بال .

كانت الورشة منعقدة فى مبنى رائع فى تصميمه يسمى « بيت الهند العالمى » ، وهو هدية من اليونسكو للهند ، فيه فندق لاقامة المنتدبين والأدباء والفنانين ، وفيه مكتبة ضخمة وقاعة للاجتماعات ، وحديقة باهرة الروعة تتخلل مبانيه وتحيطه من كل جانب .

وكانت منضدة الاجتماع تتحلقها وجوه جاءت لتمثل جنوب شرقى اسيا والصين وافريقيا والمشرق العربى كله الذى كنت تشرف بتمثيله، وكان هناك مراقبون من اوربا ومدعوون جاءوا على نفقتهم من تايلاند والفلبين ، وتونس ، ونيجيريا ، وكينيا ، وماليزيا ، وباكستان ، وبنجلادش ، وسرى لانكا ، وغينيا ، وغانا ، وبـــــلاد لا اذكرها على وجه التحديد الآن . اذ كان المجلس الثقافى الهندى قد ارسل دعوات إلى شخصيات بعينها لتحضر وتكون ضيفة عليه ولكنه ايضا ارسل دعوات إلى ٦٢ دولة كثير منها لبى الدعوة وحضر على نفقته او نفقة دولته إدراكا لاهمية الاجتماع وحتمية حضوره مثلما فعل الدكتور محمد بلعيد من تونس وهو كاتب من اروع كتاب القصة القصيرة التونسية وزميلة كاتبة تونسية شابة تعمل بوزارة الثقافة والسياحة هناك .

الحق انى فى اول جلسة ، تلك التى اتخذت فيها الاجراءات التقليدية لبداية اى مؤتمر او (SEMINAR) لم ار فى القاعة كلها رغم ازدحام الوجوه وتنوعها وكثرتها إلا من اسميتها بينى وبين نفسى « قارة افريقيا » . سيدة افريقية فارعة الطول ، ولطولها يصنع نصفها الاعلى مع ساقيها السامقين زاوية حتى لتكاد تشبه خريطة افريقيا ، وجهها يلمع بالسمرة وكانما بالعنبر مدهون ومضمخ ، شعرها هالة تاجية سوداء مجعدة ذلك النوع المنمنم من التجعيدات ، عيناها فعلا عيون مها ، واسعتان ، عميقتان تقدحان جمالا وحشيا . زرافة افريقية تتوه العيون فى تضاريسها ويكاد العقل يطير لها شعاعا ، امراة لا تملك إلا ان تظل تحدق فيها وتضيع وكانما تبتلعك احراش افريقيا وغاباتها . وتخاف . اجل تخاف . ذلك الخوف الذى طالما حاول الغربيون بافلامهم وقصصهم عن افريقيا ان يشعروا ويشعروننا به تجاه هذه القارة السوداء كما يسمونها ، وانسانها الذى يدق بطبول الحرب ويرقص حول الضحايا البيض رقصات الموت .

وكم خدعتنا تلك القصص والاساطير عن افريقيا ، خدعت حتى نحن الأفريقيين فى الشمال ، فحين بدات السيدة جريس

اوكيني اوجوت تتكلم واثناء الاستراحات بدانا نتعارف ونتحادث احسست انى امام واحدة من أرق وأطيب وانصع نساء العالم قاطبة . جريس وهي الرشاقة والاناقة والقلب الكبير العظيم الابيض ، بالضبط افريقيا السوداء فقط من الخارج، الناصعة القلب الابيض من الداخل . انها اكبر كاتبات كينيا والجيل ، إنها جاءت بصحبة ابنها وهو ايضا كاتب ، هى فى الاربعين وهو فى العشرين وقد صدرت له ثلاث روايات ، ما كان اروعها وهى تحدثنا وتعرفنا بكينيا ولغات كينيا ومشاكل القصة فى كينيا . لقد حسدتها على تلك الكم من الحب الذى تكنه ليس فقط لبلدها كينيا وانما للمنطقة التى ولدت وتعيش فيها . حسدتها لاننا في بلادنا العربية يبدو اننا ليس فقط لا نحبها ولكن ازعم اننا فى قرارة انفسنا نكرهها ، طبيعة وبشرا . هذا اللقاء في نيودلهى علمني كيف يعشق الناس بلادهم إلى حد الوله ، هؤلاء الطيبو القلب الموهوبون من اسيا وافريقيا كم يبدون بسيطين غير معقدين طيبين ، انهم فطريو الموهبة وايضا عميقو الاخلاص . لا ينظرون إلى هيمنجواي لكي يصبحوه ولا يزعم كل منهم او منهن انه شكسبير زمانه او برونتي عصرها ، إد هم يتمتعون بما هو اروع حقا ، حبهم المدله لبلادهم وطقوسهم وشعوبهم ورغبتهم العارمة في التعبير عن امال شعوبهم والامهم . كم كان عظيما ذلك الكاتب الصيني الطويل جدا ، الطيب جدا ، الرفيق ليجيا من الصين وهو يبدأ محاضرته عن الادب في الصين بقوله عن علاقة القصة القصيرة بالصحافة : في الصين ينقسم الادب إلى شعر ونثر ، وتقع القصة القصيرة في فنون النثر ، ونحن نعتبر ان الريبورتاج الصحفي من فنون النثر . وقد يضحك بعضنا نحن الكتاب العرب او الهنود على حكاية ان الادب ينقسم إلى شعر ونثر ، إذ كيف في مؤتمر عالمي كهذا نقول زرع ... حصد ... ضرب .. ولكني اعتقد اننا لو ادركنا حقيقة عمق ان الادب ينقسم إلى شعر ونثر ، ادركناها بعمق وزاولناها فعلا ، لوفرنا على ادبنا العربي كثيراً من (العك) الذي لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ولا هو اي شيء بالمرة وانما هو محاولات صبيانية لاثبات الذات الادبية دون ادنى احساس او محاولة للتعبير عن الذات الجماعية الكبرى وهو ما ابتكر الانسان الادب بشعره ونثره من اجله .

●●

لن احدثكم بالتفصيل عن كل المواضيع التي طرحت في ورشة القصة إذ ربما يكون هذا في حلقات قادمة ، ولكن ساحدثكم بالتفصيل هنا عن افة الآفات في اية اجتماعات او لقاءات او مؤتمرات يكون على الكاتب فيها ان يمثل بلده او مجموعة بلدان وعلى وجه التدقيق تلك المؤتمرات التي تقام بناء على التقسيم السياسي للبلاد . ففى مؤتمرات الطب مثلا حين تقام ندوات لجراحة القلب او التقدم الجديد في علاج السرطان ، هنا ينسى الكل هويتهم ويتفرغون تماما لبحث (الموضوع) والخروج بنتائج علمية واقرار طرق علاج ، مؤتمرات ولقاءات تخدم البشرية فعلا ، وتحقق التقدم . تعال إلى مؤتمراتنا التي نعقدها ككتاب او كادباء ، حينئذ ستجد ان اخر ما سيناقشه المؤتمر هو الموضوع الذي عقد من اجله . فكل عضو فيه يخلع عنه هويته الشخصية ويرتدي عباءة المذهب الذي يمثله او يؤمن به او على وجه التحديد ما يؤمن به الحزب الحاكم في بلده او النظام الذي تتبعه دولته .

وكنت اعتقد اننا في هذه الندوة عن القصة القصيرة ستتفرغ تماما وقد قطعنا تلك المسافات الطويلة لنلتقي . ستتفرغ لبحث (فن) القصة القصيرة كأحدث فنون الكتابة ، وستتحول الندوة حقيقة إلى (ورشة) يدلي كل منا فيها بدلوه وبرايه وبوجهات نظره الخاصة حيال فن عظيم كفن القصة القصيرة . ولكن ما حدث هو اننا امضينا ثلاثة ارباع الوقت وكل قادم يقرا تقريرا مكتوبا عن الادب في بلده ويثبت فيه ان الادب عندهم قد ظهر قبل الميلاد بالاف السنين ، حتى ان احدهم ذكر ان فن القصة القصيرة المكتوبة قد ظهر في بلاده منذ اكثر من ثلاثمائة عام في حين انى اراهن ان احدا في بلاده لم يكن قد قرا بل ان يكون قد كتب قصة قصيرة منذ خمسين عاما فقط ، وحتما في امثال تلك المؤتمرات لابد ان ينشا الصراع الذي لا معنى له بالمرة ، وهل الفن للفن ام الفن للجماهير ، وهل الكاتب يعبر عن نفسه ام هو لابد ان يعبر عن قصة بلاده ، وهنا ابدا لا يدور نقاش ، انما يكتفي كل منهم بقراءة المانيفستو الذي يتابطه ويخرج من المؤتمر او القاعة كما دخل سعيدا تماما وكانما أرضى ضميره حتى ولو لم يكن قد استفاد من اللقاء حرفا او اخطات كلمة او فكرة وتسربت إلى سامعه .

وظللت أستمع ثلاثة ايام وانا استعين بصبر ايوب على قضاء هذا الوقت التعس في الاستماع الى جداول محفوظة كم صادفتها عشرات المرات من مؤتمرات الأدباء العرب والمؤتمرات الافريقية الآسيوية ثم كان علي ان اراس المؤتمر وهو يناقش قضية القصة القصيرة والحرب والعنف والجنس . وكان ان تنازلت عن الرئاسة ، وقلت لهم لقد امتلات اذانى باراء كثيرة عما (يجب) ان تكون عليه القصة وعما (يجب) ان يكون عليه مضمون القصة ، وما (يجب) ان يفعله الكاتب ليختار ابطاله . وإنى لاتساءل : لمن نوجه هذه (اليجبات) كلها ، الانفسنا ، ام لانفسنا ولغيرنا من مواطنينا الكتاب المعروفين والجدد . اذا كان هذا هو ما نريد ان نفعله فاؤكد لكم ان احدا لن ياخذ (بـ ... يجب) واحدة مما ذكرنا ، فالكتاب لا يكتبون باليجبات ، وهم ابدا ليسوا كتبة وحتى هذا العنوان التفصيلى لعلاقة القصة القصيرة بالعنف والحرب والجنس تخصيص مصطنع ، فما هذه كلها إلا ظروف من بعض ما يحدث للانسان فى عالم اليوم ولا يمكن مناقشتها بشكل منفصل ، انما القصة (كل) ، وموضوع القصة دائما (كل) وابدا لا يتجزا ، والا ترون معى ان نغير الطريقة ونحيل الورشة إلى ورشة تطبيقية فعلا ، استاذنكم اذن ان اقول رايى على هيئة قصة .

ورحبوا بالفكرة وقرات لهم قصة من مجموعة صدرت بالانجليزية . ولاننى كنت اعرف ان معظمهم على الاقل فنانون يقولون ما (يجب) عليهم ان يقولوه ، فقد تحولت الجلسة إلى ورشة قصة فعلا ورحنا نناقش فن القصة فى العالم الثالث ، من اين بدا وما علاقته بالقصة المحلية ، وما ملامح قصص العالم الثالث ودرجة الاصالة فيها ، وهل القصة فن قومى ام ان لها شكلا عالميا لا علاقة له بكنه المجتمع الصادرة عنه والموجهة إليه .

وهكذا بدات المتعة . والى العدد القادم إن شاء الله .

د . يوسف ادريس

الحُمَّى

شعر الدكتور
غازي عبد الرحمن القصيبي

الأديب والشاعر العربى السعودى الكبير الدكتور غازى عبد الرحمن القصيبى أصدر هذا الإسبوع ديوانه الشعرى الجديد « الحمى » هذه هى القصيدة الأولى فى الديوان :

أحسُّ بالرَّعشَةِ تَعْترِينى
والموْتُ يسترْسِلُ فى وَتِينى
وموجَةُ الإغْمَاءِ تَحْتَوِينِى
فَقرِّبِي مِنيِّ وَلاَ مِسِينى
مُرِّي بِكفَّيْكِ عَلَى جَبِينِي
وَقبْلَ أنْ أرْقُدَ حَدِّثِينِي




● ●

قُصِّي عَلَيَّ قِصَّةَ السِّنينِ
حِكَايَةَ المُشَرَّدِ المِسْكينِ
طَوَّفَ عَبْرَ قَفْرِهِ الضَّنِينِ
يَشْرَبُ مِنْ سَرَابِهِ الخَؤُونِ
وَيَشْتكِي النُّجُودَ لِلْحُزُونِ
وَجَرَّبَ الغُرْبَةَ في السَّفِينِ
وَهَامَ في مَرَافِىءِ الجُنُونِ
كَسِنْدِبَادٍ أحْمَقٍ مَأفُونِ
وَعَادَ بالحُمَّى وبالشُّجُونِ
مُحَمَّلاً بِصَفْقَةِ المَغْبُونِ

● ●

هَاتي كِتَابَ الشِّعْرِ أنشِدِيني
قصيدةً رائعَةَ الرَّنِينِ
كَتَبْتُهَا في زَمَنِ الفُتُونِ
أيَّامَ كُنْتُ سَاذَجَ العُيُونِ
قَبْلَ انْتِحَارِ الوَهْمِ في اليَقِينِ
وَغَضْبَةِ الكَهْلِ عَلَى الجَنِينِ
وَصَحْوَتِي في الوَاقِعِ الحَزِينِ
هَلْ تذْكُرِينَ الآنَ ؟ .. ذَكِّرِيني
بَرَاعَتِي في سَالِفِ القُرُونِ
قَبْلَ قُدُومِ الزَّمَنِ المَلْعُونِ
يَبيعُني حِيناً .. وَيشْتَرِيني
يَمْنَحُنِي المَالَ .. وَلا يُغْنِيني
يَسْكُبُ لِي المَاءَ .وَلا يُرْوِيني
وَيَجْعَلُ الأغْلاَلَ في يَمِيني
وَيَزْدَرِي شِعْرِي .وَيَزْدَرِيني
يَالَشَقَاءِ البُلْبُلِ السَّجِينِ
في القَفَصِ المُذَهَّبِ الثَّمِينِ
يُنْشِدُ مَا يُنْشِدُ مِنْ لُحُونِ
خَافِتَةٍ .. دَافِئَةِ الشُّؤُونِ
مِثْلِ دَمٍ يَسِيلُ مِنْ طَعِينِ

● ●

تَعِبْتُ مِنْ جَدِّى ومن مُجُوني
مِنْ كُلِّ مافي عَالَمِي المشْحُونِ
مِنْ مَسْرحٍ مُحَنَّطِ الفُنُونِ
مَشَاهِدٌ بَاهِتَةُ التَّلْوِينِ
أُغْنِيَةٌ رَدِيئَةُ التَّلْحِينِ
إمرأَةٌ شَابَتْ فَما تُغْرِينى
بَرِمْتُ بالمَسْرَحِ .. أخْرِجِيني
مُرِّي بِكفَّيْكِ عَلى جَبِيني
وَقَبْلَ أنْ أرقُدَ .. وَدِّعِيني

قابيل..
أين أخوك ؟!



بقلم: خالد محمد خالد

لقد قص القرآن الكريم علينا نبأ ابنى آدم « إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لأقتلنك .. قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار . وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » ..

وتُتابع بعض المأثورات الدينية بقية النبأ فتقول : عندما قضى قابيل أيامه على الأرض ومات . ثم وقف بين يدى ربه كان أول سؤال وجهه الله إليه .. بل كان السؤال الوحيد الذى وجه إليه هو : قابيل .. أين أخوك » ؟!

كان قابيل هو القاتل . أما الأخ القتيل فكان هابيل ..

والسؤال هنا ، وبالصيغة التى وجه بها ناصع الدلالة قوى الإدانة حاسم التقريع :

قابيل .. أين أخوك . ؟!

أين أخوك الذى شددت به أزرك وأردت أن يكون كل منكما عونا لأخيه .

أين أخوك الذى جئت وإياه من نفس واحدة ، وتفيأتما معا ظلال الحياة ، ليكون أحدكما للآخر عينه التى يبصر بها وسمعه الذى يسمع به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ، ؟!

أين اخوك الذى لم تفرط فى حق الحفاظ عليه وحسب . بل انبعثت وراء رغبتك الشريرة المحمومة المجرمة فسفكت دمه بغير حق وبغير سلطان .. !! ترى بماذا اجاب قابيل .. ؟ الا إنه لم يحر جوابا وكفت شفتاه المرتجفتان عن الحركة وخرس لسانه عن الكلام ، واستحق ان يمحقه الله فيمن محق من الخاسرين .

بيد ان الله سبحانه أعطانا الـــــــدرس المستفاد من الجريمة حين قال تعقيبا على النبأ الفاجع الاليم : « من قتل نفسا بغير نفس ، او فساد فى الارض ، فكانما قتل الناس جميعا . ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا » ..

اجل .. ومن أحياها فكانما احيا الناس جميعا .. فالحياة إذن كما ارادها الله هى عقد وثيق بين الأحياء جميعا يحمل كل إنسان مسئوليته الجادة تجاهه ، ثم لا تزر وازرة وزر اخرى ..

● ●

ترى هل اسدلت الستارة بعد قابيل على جحود حق الحياة وإهدار قيمتها الثمينة الغالية « ؟ .

كلا ، فقد امتلات الارض على سعتها بالقوابيل فى كل عصر وجيل اولئك الذين جعل الله على قلوبهم اكنة وفى اذانهم وقرا ، ووضع على افئدتهم حجابا مستورا . فلم يروا جمال الحياة ولا رعوا حرمتها ولا اعترفوا بحق ابنائها فيها !!

ودع عنك قوابيل العالم ، فمعنا من الهموم ما يكفينا ولدينا من القوابيل مالا نجد زمانا يكفى لحسابهم إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، فى إهاب كل منـــــا « قابيل » ..نجتر المرارة ، ونلعق الهوان ، ويسلم بعضنا بعضا للجزارين ، ونتهاوى صرعى الأحقاد والطغيان دون أن ينتفض فينا باس الرجال ليحمى وجودنا ، وينقذ حاضرنا ويؤمن لنا المصير .

خذ مثلا ذلك الشعب الحزين ـ شعب فلسطين ـ الذى يرزح داخل بلاده وخارجها تحت نير طائفة من البغاة الذين فاقوا التتار فى نذالتهم وإجرامهم وحقدهم على الحياة ..

● ●

إن الحديث عن شعب فلسطين ليكتسى بغلاف كثيف من الخزى ومن العار لطول ما نُحْنا كالنائحة المستاجرة ، ولكثرة ما نثرنا من الورود الذابلة على جثمان هذا الشعب الشهيد .

إن هذا الشعب شيوخا وشبابا واطفالا ونساء وبنات يعانى امام العالم المتفرج من جرائم خصمه وعدوه ما تتمزق له الجبال ، وتدك من هوله دكا .

ماذا فعل « قابيل » العربى والمسلم لهذا الشعب المطحون المهان « ؟! اصحيح اننا بلغنا من العجز ومن الهوان ومن الضعف ما لم نعد معه بقادرين على دفع النكبة ووقف العدوان « ؟!

اصحيح اننا اصبحنا ارضنا واعراضنا كلأ مباحا لأكثر خلق الله إيغالا فى الجريمة وانتهاكا للحرمات حتى اصبح اى شاب اسرائيلى قادرا على أن يقتحم حمى المسجد الأقصى فى خطوات جريئة ومستهترة فيطلق النار على المصلين حيث يقتل من يشاء ثم يدمر قبة الصخرة فى مجون وقح دون أن يخشى ولو من صفعة هزيلة تصيبه ، او تصيب دولته « ؟! ،

لماذا اسلمنا ـ نحن القوابيل ـ هذا الشعب وخاصة الذين يخضعون لسلطان إسرائيل ـ لماذا اسلمناهم ، وإلى متى ندير ظهورنا لهم . ونظن بانفسنا ظن السوء حين نراها عاجزة عجزا مطلقا عن أن تصنع للمظلوم شيئا ، وترد الظالم إلى الوراء .. ؟!

لقد وجه « بسام الشكعة » نداء عبر مجلة « المجلة » فى عددها رقم ١١٢ فقال : « نحن تحت النار والحديد . وعلى العالم ان يعرف هذا .. نحن رافضون ولكننا نعيش تحت سلطة السلاح .. نحن مذلولون مذبوحون . ونستنجد باخواننا العرب » .

مذلولون مذبحون !! ياحسرة علينا نحن العرب !

إن « بسام الشكعة » هذا واحد من الأبطال الذين تصب الحكومة الاسرائيلية عليهم كل الهول وكل الهوان .

وهو إذا كان يصرخ بان قومه فى الارض المحتلة مذلولون مهانون ، فهى ليست صرخة يائس مهان .. فاحدث مواقفه الباهرة تعطى صورة رجل وثيق . فخلال المؤتمر الشعبى الذى دعت إليه بلدية « نابلس » اخيرا ، والذى تصــــــدى له الاسرائيليون البغاة بالرصاص وقنابل الغاز ، اقترب بعض الجنود من بسام الشكعة وطرحوه ارضا ، فما كان منه إلا أن نهض واقفا وحل أزرار قميصه وفتح صدره للنار ، وصاح فى الجنود الاسرائيليين : « اضربوا يا جبناء .. يافاشيست ، إذا كان يرضيكم ان تسفكوا دماءنا .. انتم غرباء . وستبقون غرباء .. وهـــــــذه ارضنــــا ومنازلنا » .. !!

الا من مغيث يا سادة العرب « ؟ الا من معين .. !!

● ●

وخذ مثلا ما يحدث فى افغانستان حيث يسحق شعب برىء وعريق ، وحيث تداس اقداره بالاحذية الثقيلة لجيش غاز دخيل .

افتعجز ست وثلاثون دولة مسلمة عن ان يكون لها موقف منقذ « ؟! لقد استصرخ السيد هارون المجددى ممثل الثوار الافغان فى مصر وفى جامعة الشعوب العربية والاسلامية على صفحات مجلة « النور » التى تصدر بالقاهرة .. استصرخ بالمسلمين جميعا .. ذاكرا أن معظم المساعدات التى يقدمها المسلمون وحكوماتهم لا تعدو أن تكون كلاما تلوكه الألسن وتتلمظ به الشفاه .. !!

فاين هو « قابيل » المسلمين الذى وإن لم يكن قد بسط يده لاخيه ليقتله ، فقد أسلمه لجلاديه ووقف يتفرج فى خذلان .. !!

● ●

قابيل.. أين أخوك؟!

• •

وخذ مثلا اخر قد يختلف عن الامثلة السالفة فى ان ضحاياه لا يسقطون صرعى القتل والقتال ـ بل صرعى الجوع حينا . والواقع المعيشى السيىء والمتخلف احيانا .. واين يحدث هذا .. ؟ يحدث فى عالم عربى وإسلامى متخم إلى غير حد بكل امكانيات الحياة الوارقة الرافهة الهنيئة

وهنا نلتقى بالسؤال الخالد « قابيل .. اين اخوك » مكتوبا بحروف كبار ومحفورا على ملايين الجباه العليلة الذليلة فى شعوب الاسلام وبلاد الاسلام ..

نحن المسلمين نمثل قوة بشرية هائلة قد لا تقل عن ثمانمائة مليون .. وهذه القوة تشكل ستا وثلاثين دولة .. وتحتل من الكرة الارضية مساحة قدرها ثلاثون مليونا من الكيلومترات . اى انها ستة اضعاف الولايات المتحدة الامريكية ، مدخلين فى هذه المساحة ست جمهوريات سوفياتية واقليم صينى كبير هو إقليم « سيكيانج » .

وَيَنبَثّ هذا العالم الاسلامى خلال عدة مناطق رئيسية ، تشكل كل منها كتلة إقليمية متقاربة .

وأولى هذه المناطق ـ منطقة العالم العربى الغنى جدا ، والثرى جدا ، والذى لا يزخر جوف ارضه بالذهب الأسود فحسب . بل وتتوفر لديه جميع المعادن والخامات التى خلقها الله ما عـــدا « البوكسيت » الذى يستخرج منه الالمونيوم والمطاط .

والمنطقة الثانية جنوب شرقى اسيا ، والثالثة مجموعة اسيا المركزية ، والرابعة مجموعة أفريقيا الغربية، وتستطيع هذه القوى والمجموعات إذا نجت من تفكير « قابيل » واستهتاره ان تقيم فيما بينها تكاملا اقتصاديا وتمتثل لتوجيه الرسول الكريم حين يقول « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » أليس أمرا مفجعا ومفزعا ان يسقط مئات المســلمين فى « بنجلادش » صرعى الجوع .. اقول : الجوع حقيقة لا مجازا . ويبلغ دخل الفرد فيها تسعين دولارا فى العام .. ؟!

هذا . بينما اقطار اخرى تَخُبُّ فى النعيم وترتع

لماذا لا تتجه حكومات العالم الاسلامى إلى إقامة سوق مشتركة ، تجمع الشمل وتنقذ المعوز والمعدم من الامم التى تعيش على الكفاف ..

إن المبررات التى انشات الســـوق الأوربية المشتركة ، والظروف التى مكنت من إقامة هذه الســـوق لاقـــل بكثير من المبررات والظروف التى تدعو وتتيح إقامة سوق اسلامية مشتركة إن لم يكن على مستوى الدول الاسلامية كلها ، فلتكن بادىء ذى بدء على مستوى مجموعاته الاقليمية .

إننا نملك القوة البشرية ، والاتســاع الجغرافى ، والتنوع الكبير فى الموارد الاقتصـــادية مما يمكننا من إحراز خير انماط التنمية التى لا ينتابها الافراط فى التخصص ولا الاختلال فى التوازن على حد تعبير بعض الاقتصاديين

وإذا كنا عاجزين عن تحقيق الوحدة السياسية اليوم . فالوحدة الاقتصادية او التكامل الاقتصادى قريب المنال إذا كرسنا له جهودا مخلصة ونوايا صادقة .

إن تطورنا فى جميع مجالات التقدم سيظل حابيـــا وبطيئـــا مادام نمونـــــا الاقتصادى بطيئا .

وستظل معظم الدول الاسلامية ترزح تحت أعباء التركة المرهقة . التى خلفها لها الاستعمار .

والايدى العـــــامـلة فى معظم هـــذه الدول تعمـــــل فى الزراعة المتخلفة لانها لا تـجد راس المـــال الذى يصنع بلادها . ويتيح لها الصناعات التى تعمل فيها وتكد

ويكفينا مثل واحد لضرورة التكامـــل الاقتصادى بين دول العالم الاسلامى وشعوبه .

فبلد كالسودان تنبسط فى ارجائه مائتان وخمسون مليونا من الافدنة ـ ارضا خصبة معطية بينما يقع على حدودها شعب يتكون من اثنين واربعين مليونا يعيشون على اقل من سبعة ملايين من الأفدنة .. ؟! اولئك هم المصريون .

أليس فقدان التكامل الاقتصادى خطيئة لا يجوز ان يقترفها احد فى العالم العربى والاسلامى .

هنا يجلجل فى أسماع الذين فى اذانهم وقر سؤال الحق : « قابيل .. اين اخوك » فان تعيش دول إسلامية فى قمة الرخاء

والرفاهية . بينما تلهث شعوب اخرى مسلمة وراء الكفاف امر ليس من الاسلام ولا من مروءة الرجال فى شىء .

لقد قرات مرة لأستاذ فاضـــــل مهتم بالاقتصاد الاسلامى يقترح ان تخرج الدول القـــادرة زكاة ثروتهـــا بوصفهــــــا « ركازا » يجب فيه إخراج خمس دخله ، ويسوق راى الامام احمد بن حنبل بان زكاة الركاز واجبة جامدا كان ام سائلا . فلماذا لا تكون هذه القضية موضع تفكيرنا ؟؟

او لماذا لا يبدا أولو العزم من الرجال ببحث قضية السوق الاسلامية المشتركة التى يمكن ان تفيض وتفيء على المسلمين من المتعة والقوة والرخاء ومالا يخطر ببال .

ألسنا اتباع الرسول الذى قال : « المسلم اخو المسلم . لا يظلمه ولا يسلمه . ومن كان فى حاجة اخيه . كان الله فى حاجته . ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا . فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . والله فى عون العبد . مادام العبد فى عون اخيه » .

إن هذا التوجيه المضيء ليس قاصرا على مسلك الفرد المسلم تجاه الفرد المسلم بل هو ينادى ايضا وقبلا الدولة المسلمة والمجتمع المسلم لتتعاضد وتتناصر .. وتصبح كل دولة مسلمة فى حاجة اختها . واخواتها من بقية الدول المسلمة .

• •

إن سوقنا المشتركة وتكاملنا الاقتصادى لن يكونا تقديرا لضرورات اقتصادية ومعيشية فحسب . بل سيكونان ايضا استجابة لروح الاسلام وتحقيقا لهـــذا الروح ..

ســـيكونان تحقيقا لعظمـــة الاسلام المتجسدة فى قول الرسول عليه السلام : « كونوا عباد الله إخوانا ، كما امركم الله تعالى » .

وسيكونان حجر الاساس فى مستقبل وضيء للاسلام كله .. مستقبل لا يعرف الضعف ، ولا الفاقة ، ولا الخذلان .

مستقبل لا يكون فيه قاتل وقتيل .

ولا تتكرر فيه مأساة قابيل وهابيل !!

خالد محمد خالد



بقلم: عبد الله الجفري

ما مقدار المسافة بين الخيال والحقيقة ؟؟.

ما هو مدى ـ القدرة التطبيقية ـ عند الانسان، وهو مريض بالاصطراع ذاتيا.. يود ان يرسو ولو عند شاطىء مهجور، ويطمح ان ينشر قلوعه ويطارد نجمة موصوصة باغراء ؟!

ما ابعاد الاحلام في رؤى الانسان، وابعاد اليقظة الفجائية في عقله.. تلك التي تشبه رنين جرس البيت يقرع في ساعات الليل الأخيرة ؟

هو وحده كان المسكين الذي يتراءى لنفسه !!

هو وحده ـ في يقظة فجائية ـ ارتطمت باديم واقعه:

كان يعدو ـ وهو ملتصق في مقعده ـ كان يقول بحشرجة:

ـ ما دوافع المرء حينما يسمح لتفكيره ان يوغل في التحديق لحظة البعثرة الجوانية بحثا عن الخيال الندى.. هروبا من حقائقه ؟!

هو وحده كان يخاطب الافصاح، والصمم:

ـ ملعونة هذه الصورة التي اختلطت الوانها..

والم.. ذلك الشاعر الذي بنى بالخيال صرحا روحيا في وجدانه، فكان يترنم قائلا: «وعدونا فسبقنا ظلنا»!.. ثم قوض في النهاية ذلك الصرح وهو يئن مرددا.. يصف الصبح بالحريق ؟!».

إنسلاخ «عفوي» من الحقيقة، وفي ذات الوقت نتيجة حتمية مؤهلة للاستقبال.. لترتطم جمجمة الانسان بكل ما فيها !!

وما هي هذه الجمجمة التي يتمتع المرء باحايين هيولية مرتفعة بمحتواها.. ذلك الذي تبلوره. وتصنفه قياسات من الذكاء او الغباء.. من المعرفة او من الجهل ؟!

ما هي ؟!.. سؤال يكون، او صيغة مخاطبة!.. لكن السؤال، او الصيغة لا يؤكدان استنتاجا بدهيا دائما.. فالانسان صياغة كاملة لا تتجزأ من الخيال، والحقيقة.. من العقل، والحلم.. او العاطفة !!

مثلما جرى «اديسون» يوم بدا يفكر في اختراعه ـ في مراحله الاولية ـ كان جريه الى فتاته التي تسكن شارعا مجاورا للشارع الذي يقع فيه منزله، فاشاحت بوجهها عنه غضبى نفورا.. لانه وعدها بالمجيء في موعد قبل ساعة من حضوره، فوقف مبهوتا.. كانت في دماغه حقيقة العلم، وكانت في جوانحه أحلام من خيال المحب الذي يشيد ـ وهو وحده ـ قصوراً واماني يهديها لها على البعد.. فانثنى على عقبيه الى البيت واجما وحاول ان يواصل عمله، ويصغي إلى تفكيره.. فلم يعثر على شيء في جمجمته تلك اللحظة.. كان انتصار الحلم، أو الخيال، او الاماني قوياً طاغيا على كل محتوى راسه !!

من يتوقع ـ حينذاك ـ ان يلتقط «اديسون» قلماً، وقرطاسا، ويحاول ان يكتب لفتاته رسالة يضمنها سؤالا يكون. او صيغة مخاطبة، أو يحاول تذكر قصيدة شعر تذكره باحلامه، او يضع اسطوانة.. يتذكر خلف نغمتها لحظات من الحلم السعيد ؟!

صراع العقل مع بدهيات الانسان، ومع افتراضاته !!

الافتراض هو خيال.. والعقل يتصبب إرهاقا !!

هل يمكن لاديسون ـ الآن ـ أن يكف عن التفكير، أم انه يقدر على التامل.. بحلم عريض ينضج توقعا متفائلا يؤكد له ان فتاته ستاتي، وتطرق بابه، وتقول له:

المسافة بين.. الخيال والحقيقة

– الانتظار مرهق يا « إد » فسامحني ، وسأسامحك !!

إنه يصطرع – إذن – ويغالب فجيعة الخيال ، وصحوة الحقيقة ذات الدوار !!

الخيال ، والحقيقة .. هما في وصل الانسان وجفائه .. كالذي اتى قبل مقدمه ، وكالذي ذهب قبل ان يأتي !!

بعض الافتراضات داخل الانسان كسراب الصحراء ، وبعضها كمغامرة « علي بابا » ، وبعضها كما الغابة التي اتجه اليها «جلجامش» ليصرع الوحش ، ويبقى حيا بالمهادنة مع الفارس الباهر الآخر الذي برز له .. حيا بالدمعة التي سفحتها من اجله « عشتروت » !!

ويلذ لافكارنا ، ولاغراقنا أن يفصلا احيانا بين الحقيقة ، والخيال .. وفي الواقع يبدو ان الحقيقة كانت خيالا ، ثم تمخضت بما أردنا ، أو بما تصرفنا ، أو بكيفية ما سلكنا . ويبدو ان الخيال سينعكس في صورة من الصور الحقيقية تأتي استطرادا ، أو فجاة .. سعدنا بها ، أو شقينا بها !!

إن الحقيقة والخيال قد يتضمنان احساسا ، أو رؤية – ليس بواقع ، أو تفكير فلسفي – وإنما الحاحا يحكيه الامتنان ، أو

يدعو له « الرضا » والقبول بما كان ، أو تلجمه ، وتدفعه الرغبة الماسة .. من اجل غنم واحد فيه انتعاش النبض !

ذلك يطلق عليه في عناوين الكتب الراوية « خطة للحياة » ..

وفي رواية « زوربا اليوناني » – هناك عبارة لبطلها « كازنتزاكي » .. تصرخ بالالحاح الذي يمثل مطلب الحقيقة ، ومتعة الخيال .. فيقول :

– « لقد كففت عن التفكير فيما جرى بالامس ، وكففت عن التساؤل عما سيجري غدا .. ان ما يهمني فقط : ما يجري اليوم .. ماذا تفعل في هذه اللحظة يا زوربا ؟ .. إنني انام .. إذن نم جيدا . ماذا تفعل في هذه اللحظة يا زوربا ؟ .. إنني اشتغل ، إذن اعمل جيدا .. ماذا تفعل في هذه اللحظة يا زوربا ؟ .. اعانق فتاتي ، اذن عانقها جيدا ، وانس كل الباقي يا زوربا ، فليس في العالم شيء الا هي وانت » !

ماذا بقي – هنا – من اصطراع الحقيقة والخيال في ذات الانسان ؟!

لم يتبق شيء مطلقا .. لم تبق حقيقة ، ولم يبق خيال .. وانما نوع من الشعور الذي يطغى فيمحو ما عداه .. يمحوه رغم شدة غموضه .. رغم وضوح ملامح الصورة لاثنين شعرا ان هذه هي الحياة ، أو « خطة الحياة » !

إن انتعاش الحقيقة ، وتضخم الخيال يكتنفان الانسان لحظة ان يكون وحده .. لا يقدر ان يفرق من اي مصدر يأتي القرع الداخلي .. من رأسه .. من بين اضلعه ؟! ماذا .. ما هي .. من يكون .. متى ؟!!

لكن «الامتلاء» كما اسماه – فيكتور هيجو – في رواية البؤساء ، هو اروع اجابة تغني الانسان دائما ، وتمنحه الصمود اكثر ، وتمحق فيه طفيليات قذرة ، فلم يكن « جان فالجان » إنسان الخيال ابدا ، وهو ايضا لم يهتد الى حقيقة مجتمعه الذي حاربه ، ودفعه لسلوك شائن في غرفة ساعات بحثه عن الاود !!

المجتمعات تنادي بالحقائق ، والانسان ترهقه كثير من تلك الحقائق التي تبدو مشوهة بالاعتساف ومن الصعوبة ان يتم الفصل بين المجتمع وفرده . ومن المؤلم ان يحمل الفرد احلامه ، وخيالاته ، ويضطر – غالبا – أن يخلعها مع حذائه الذي يخلعه حينما وضع خطواته الاولى على باب مجتمعه :

● الحياء : في طبيعة الانسان هو اكسدة احلام !

● الطيبة : في أعماق الانسان هي رئة يتنفس بها ، ويستعين على الاختناق ببعض الحقائق !

● المعرفة : في خلق الانسان هي تهذيب لحقائق مجتمعه !

ومع هذا ، فان المرء الحيي الخجل .. يطالبه الناس أن يكون وقحا ، أو سفيها ، أو متمردا بلا قاعدة .. لأن هذا هو الصوت المرتفع !

والمرء الطيب النزعة .. الدافيء الشعور تقتاده كراهية البعض ، واحقادهم الى التخلي عن كثير من احلامه ، وتاملاته ، وخيالاته !

والمعرفة – بعد هذا – لا تجادل اصطراع الحقيقة والخيال .. ان دورها – هنا – ان توائم بينهما .. ان تزاوج .. أن تجعل الحقيقة والخيال مثل زوجين احتفلا بعيد زواجهما الخامس والعشرين (!!) .

●●

إن « احمد فتحي » قضى نحبه بداء اسمه : اصطراع الحقيقة والخيال ، ورغم ما كان يمتاز به من معرفة وثقافة فقد طغى في وجدانه خيال الشاعر واحلامه ، وبقي الناس بعده يرددون تفاؤله الذي لم ينعم به .. في هذين البيتين :

حلم لاح لعين الساهر
وتهادى في خيال عابر
وهفا بين سكون الخاطر
يصل الماضي بيمن الحاضر

وقبل « احمد فتحي » كان هناك شاعر تحدث عن الحقيقة والخيال في دنيا الانسان فقال :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت .. ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله .. قليل الرجاء !

و« الرجاء » هنا – بمعنى الخيال او الحلم – وتغليبه يحتاج الى شجاعة صمود « درامي » .. يبكي الآخرين ، وهو يفكر – بالاستغراق – متى يقدر ان يوقف دموع الآخرين من اجله !!

●●

وحياء التخاطب عند المرء ... يتولد من الخوف ان يقول الانسان ما يريده ، أو ما يحسه ، أو ما يرغب في إتيانه .. يتعثر بحواجز منيعة من التقاليد العريقة التي « تفرض » عليه اقتناعا معينا ، ولا تعطى بديلا له .. مما يتطلب كتأثير تربوي ، أو مسلكي بين جماعات المجتمع !

وذلك « الفرض » هو ما يخضع للحقيقة المجترة ، أو بعوامل ضعف الخيال والاحلام التي ترقرق وتهذب كثيرا من عشوائية وبدائية الآدمي !

إن بعض النقاش في حقائق «فسيلوجية» مثلا يرتطم باشياء مفروضة .. تدعوك ان تحاور نفسك عن تلك الحقائق ، ولا تعرضها للمعرفة

ورؤية الاخرين ! .. وبذلك فانت تتحول كما يقول « كولن ولسون » : الى انسان بلا ظل .. تماما كتحول بطل هذه الرواية « انسان بلا ظل » واسمه « سوم جيرود » الى شىء يرضى بالتجربة الخافتة والمعتمة والمتلحفة ، ويخاف ان يعلن رغبته فى مزيد من الاستمتاع بما جرب !

لقد تحطم « كينتجام » احد ابطال الرواية ، باتجاهه الى الشعوذة والسحر ، والنذالة ، والجريمة ، فاصبح هلاما اكل نفسه ، وطمس صفاءه ، وارتطمت جمجمته !

و « ديانا » : الانثى التى التقطها «سوم» من اصطراع الحقيقة والخيال فى نفس رجلها « كيرستن » .. كادت ان تضيع ، وتدق عنقها بما يشبه : (إنما الميت .. ميت الاحياء) .. فالتقطها اخيرا ، بعد ان زاوج بين الحقيقة والخيال فى داخله ، وعبر محيط نفسه !

و « كولن ولسون » يخضع ذلك لمدى تقبل الانسان للقدرة التطبيقية .. فى لحظة الاصطراع ذاتيا !!

وتنتهى من الرواية ـ كقارىء ـ فتكون حصيلتك بكل صدق .. ان تبحث عن بعض الحقائق ، وعن لحظات من الخيال ، وتجرب مقدرتك فى المزج بينهما .

والمجتمعات التى استطردت مع حضارتها وتقدمها .. اثقلها كثير من الحقائق .. إن بحثها الآن هو عودة خلفية لالتقاط ذوائب احلام ، وخيالات !!

والمجتمعات التى تعدو لتنال اكبر حظ من وجه الحضارة ولا زالت تسحب معها بقايا تخلفها .. هى التى تعيش الاصطراع وفى هذه الرحلة لا ينعدم الأمل فى الحصول على المواءمة !

إن الاختلاف هذا .. قد لا يكون قضية العصر ، بل سمة له !!

تماما كما يتضح فى هذا القيـــــاس التقريبى المنفتح ـ كمثل ـ والمضطرب كحالة !

فقد اصدرت كاتبـــــة فرنسية اسمها « مودساكوار دى بيلروش » كتابا قديماً جعلت عنوانه : « ذكريات امراة فى الاربعين » .. قصت فيه تجاربها الخاصة فى الحياة بصراحة ، وبوضع النقاط على الحروف .. مما يعتبر برأى النقاد فى الوسطالادبى .. أدبا يدعو للقشعريرة !!

« كانت » الكاتبة حلوة الملامح ، وتمتاز برائحة انثوية ملحوظة حتى للدرجة الفكرية ايضا (!) . قالت : انها استطاعت ان تفصل الحقيقة عن الاحلام ، وان تعطى القارىء تلك الاحلام التى سعدت بها وعاشتها وتحولت ـ فيما بعد ـ الى حقائق .. لكنها حقائق جاءت من رحم الحلم والخيالات !!

ويعقب كاتب ناقد ، فيذكر اسم « جنفييف تابوى » المرأة التى قدر انها كانت أقبح وجه أنثى ، او اوحش امرأة فى التاريخ .. تلك المرأة ـ بكل هذه الحقائق المرعبة فيها ـ استطاعت ان تغزل احلاما وخيالات عجيبة ورائعة ، وأن توهم نفسها بمقدار ما اعطت نفسها ـ بيلروش ـ من عملية مزج الحقيقة بالخيال !!

فالقدرة التطبيقية عند الانسان .. هى حوافز « الجيوكندة » ، وتخمة « انثوية » شهر زاد ، ورقة تقاطيع وجه « فلورندا » الاسبانية ، لكن ... هل هذه الميزات فيهن كانت السبب المباشر فى مقدرتهن على مواءمة الحقيقة والخيال فى ذواتهن .؟ !!

لم تكن هذه الميزات سببا رئيسيا وفعالا .. وانما كانت القدرة التطبيقية عند كل واحدة منهن .. هى عامل الاستمرارية المنتعشة بكل اشياء ورغد الحياة !

● فالجيوكندة : كان زوجها هو حقيقتها ، وكان فنانها ، وراسم ملامحها « دافنشى » هو احلامها وخيالها !

● وشهر زاد : كانت دماء بنات جنسها التى أهدرها « شهريار » هى حقيقتها ، وكانت رغبة تطويعها ، ومعالجة ذلك الرجل الذى رضيت بتحديه والحياة معه ، وانقاذ بقية الفتيات هى احلامها وخيالاتها !

● وفلورندا الاسبانية : كانت بلادها التى عبث فيها حاكمها آنذاك ، وحاول ان يعتدى حتى عليها هى .. كانت حقيقتها ، وكان «طارق بن زياد» الذى قدم فاتحا ، وناشراً دينا جديدا ينصف البشر من الظلم ، والموت بالحياة .. كان طارق هو حلمها ، وخيالها !!

واجتمعن كلهن عند القدرة التطبيقية .. وتعنى واقع الالحاح الذى يحكيه الامتنان او يدعو له « الرضا » والقبول بما كان ، او تلجمه الرغبة الماسة من اجل غنم واحد فيه انتعاش النبض ، وواقع الالحاح هذا انصاع له « سوم جيرود » فى رواية « انسان بلا ظل » ،واخذته كله وبشراهة « جنفييف تابوى » اقبح امراة ، وعاشته « بيلروش » الكاتبة الفرنسية !!

●●

وبعد ...

لقد رفع رأسه ذلك الذى كان وحده .. يتراءى لنفسه !!

تحسس جمجمته من جديد ... سفح نظراته على الارض ، وعلقها فى الهواء .. ولملم كل التساؤلات المطروحة تلك ، وقام يخطو ..

مشى إلى شاطىء البحر ، واحس بغبطة .. فالشاطىء خال من الناس ، والبحر صامت ... صامت ، والغروب يلوح بيد مودعة ، والصورة التى اختلطت الوانها مدعاة تأمل ..

لقد كان لحظتها وحده .. يخاطب الافصاح والصمم !!



عبد الله الجفرى

مسافر على الرصيف



بقلم : محمود السعدني

أنور المعداوي ومحنة العصر

يبدو أن المعارك العنيفة التى خاضها جمال عبد الناصر فى بداية حكمه ضد الاعداء فى الداخل وفى الخارج ، لم تدع مجالا للقائد لرعاية الكتاب والادباء !

بالطبع كان هناك ادباء وكتاب يحتلون موقع الصدارة ، ولكن هؤلاء كانوا فى موقع الصدارة دائما . فهم الأدباء والكتاب الرسميون فى كل عهد ، وهم كانوا يتمتعون بنفس الحظوة ايام الملك فاروق ، وظلوا يتمتعون بها أيام جمال عبد الناصر . ولكن غيرهؤلاء الأدباء الرسميين لم يستطع احد اخر ان ينفذ من الحصار المضروب إلا فى النصف الثانى من الستينات . ولكن قبل هذا التغيير النوعى كان معظم الأدباء غير الرسميين قد حلوا ضيوفا على السجون الحربية والمدنية ، وبعضهم ذاق التشرد والفصل من الوظيفة ، وكان أنور المعداوى واحداً من هذا الصنف الاخير ! ولكن ماساة انور المعداوى ستظل فريدة فى تاريخ الماسى لان انور المعداوى لم يكن ضد الثورة ، ولم يكن ضد جمال عبد الناصر ، ولكنه كان ضد نوع من الادباء احتلوا القمة فى الساحة

أنور المعداوي



يوسف السباعي



الادبية ، وهم فى الاصل كانوا ضباطا فى القوات المسلحة ، ثم اعتزلوا السلك العسكرى واحترفوا العمل الادبى ، واصبحوا هم مندوبى القيادة .. فى الشعر والادب والفن ! وكان يوسف السباعى هو عميد هؤلاء الادباء ، فهو لواء بالجيش ، وقائد بسلاح الفرسان ، وهو كان يمارس كتابة القصة قبل الثورة ، وهو كان يمارسها من باب الهواية ولشغل اوقات الفراغ !

ولكن بعد الثورة اندفع فجاة إلى الصدارة ، وصار واحدا من الكتاب الرسميين ، واصبح رئيسا لنادى القصة ، وسكرتيرا عاما للمجلس الاعلى للآداب والفنون ، وسكرتيرا لنادى الادباء !

ولقد تحمل انور المعداوى واتسع صدره لكل هذا الذى حدث . وكان من الممكن ان يتحمل إلى النهاية ، لولا ان يوسف السباعى أصبح فجاة وبقدرة قادر رئيساً لتحرير مجلة « الرسالة » ! ولانور المعداوى علاقات وثيقة وتاريخية وعاطفية بمجلة « الرسالة » القديمة ، فقد كان واحدا من ابرز كتابها ، وكان هو اول من سلط الضوء

فيها على اشعار نزار قبانى ، وكان اول من بشر على صفحاتها بادب نجيب محفوظ !

وكانت مجلة « الرسالة » القديمة التى كان يراس تحريرها الأستاذ احمد حسن الزيات هى اعظم وارقى المجلات الادبية فى الوطن العربى ، وكان لا ينشر فيها غير إنتاج كبار الكتاب والأدباء والشعراء ، واصبحت بمرور الزمن مدرسة تربى فيها جيل كامل من الأدباء من طنجة إلى حلب . ثم اضطرت المجلة إلى الاحتجاب فترة من الزمن .

وعندما عادت « الرسالة » إلى الصدور فى بداية الخمسينات ، كان شكلها وانتاجها يعبر عن التغيير الذى طرا على الحركة الأدبية فى مصر . كانت من حيث الشكل تنافس مجلة « الكواكب » ، ومن حيث المضمون كانت نسخة مكررة من مجلة « اخر ساعة » ، مع فارق بسيط هو ان مجلة « اخر ساعة » يحررها صحفيون محترفون ، بينما مجلة « الرسالة » يتولاها هــواة لا خبرة لهم ولا حيلة . كان يوسف السباعى الضابط السابق يراس تحريرهـــــا ، وعبد العزيز صادق الضابط المتقاعد يشرف على إدارة التحرير ، بينما يتولى تحريرها نفر من اشباه الكتاب الذين حاولت الاجهزة فرضهم على الحركة الأدبية ! وكانت هذه اكبر ضربة وجهت إلى انور المعداوى . هب كالاعصار يهاجم مجلة « الرسالة » . وبالطبع هاجم يوسف السباعى وبطانته . ماجمه كاديب . ولكن يوسف السباعى اعتبر الحملة موجهة ضده كمندوب للقيادة ولما كانت المعركة غير متكافئة بين انور المعداوى وسلاح المدرعات ، فقد اثرت ان تدخل فى الموضوع لاصلاح ما يمكن إصلاحه . وبالفعل رتبت موعداً بين يوسف السباعى وانور المعداوى ، وكان «جروبى» عدلى باشا مكان اللقاء . وابدى يوسف السباعى رغبته فى ان يتولى انور المعداوى إدارة تحرير « الرسالة » بدلا من عبد العزيز صادق . وقبل انور المعداوى ولكن بشروط . ولم يفصح عن هذه الشروط ولكنه وعد بالكشف عنها عند لقائه بيوسف السباعى .

كان اللقاء فى الخامسة بعد الظهر فى « جروبى » عدلى باشا كما قلت وذهبت انا فى الخامسة إلا ربعا وجلست انتظر . وفى الخامسة تماماً وصلت سيارة حربية ترفع



احمد حسن الزيات .. صاحب مجلة الرســــالة (القديمة) التى كانت بمثابة جامعة ثقافية

علم القيادة ، ونزل منها الاديب يوسف السباعى فى ملابس جنرال . ورحنا نتجاذب الحديث لمدة ساعة ولم يظهر اى اثر لانور المعداوى . وفى السادسة والربع اطل علينا بقامته السامقة وكبريائه المعهود واعتذر عن التاخير لارتباطه بموعد سابق مع « فلاح من بلدنا » . ورمقنى يوسف السباعى بنظرة حادة وكأنه يقول « عذر اقبح من ذنب » . وبلع يوسف السباعى الإهانة وواصل الحديث بهدوء مع انور المعداوى ، وعرض عليه إدارة تحرير مجلة « الرسالة » . ووافق انور بشروط . ولكن الشروط كانت اكثر مما يحتمل يوسف السباعى . كان اول شرط هو فصل جميع المحررين الذين يعملون بها . وكان اخر شرط هو عدم نشر الكلام الفارغ الذى ينشره يوسف السباعى . وانتهت الجلسة إلى لا شيء .

وافترقنا . يوسف إلى مجلة « الرسالة » وانور المعداوى وانا إلى قهوة عبد الله . وفى الطريق سالنى انور المعداوى عن رايى فى الحديث الذى دار . وقلت له بصوت خفيض : لا باس بالحديث ، ولكنى اعتقد انه سيكون بداية المتاعب . وقال انور وهو يهز راسه الكبير : مرحبا بالمتاعب ! ولكن الذى حدث بعد ذلك لم يكن من نوع المتاعب . بل كان من نوع المصائب . اطيح بانور المعداوى ففصل من وظيفته بطريقة خبيثة ، وانقطع صرف مرتبه ، وضيقوا الخناق عليه فلم يعد يستطيع أن ينشر حرفا من إنتاجه ومع ذلك لم يهدا انور المعداوى ، ولم يستسلم ، ولم يهادن . استعان على مواجهة مطالب الحياة بمعونة مالية من صديقه الأديب الطبيب محمود شعبان ـ وهى قصة سنتعرض لها بالتفصيل فيما بعد ـ وقد لجا إلى القضاء عارضا القضية بكل ابعادها امام المحاكم . ولكنه بالرغم من المحنة والصدمة ، لم يتخلف يوما واحداً عن مكانه فى قهوة عبد الله . ولم يقطع صلته بالندوة بالرغم من وجود عدد من مندوبى السلطة والمخبرين كل ليلة ، ولم يتوقف عن إبداء رايه فى الحال السيىء الذى انتهى إليه الأدب فى مصر . وطال الزمن بالقضية امام المحاكم ، ثم صدر الحكم بانصاف انور المعداوى وإعادته إلى وظيفته . ولكن الجهاز البيروقراطى المدرب نفذ حكم القاضي ، وضاعف من غيظ انور المعداوى ، فقد كان انور يعمل مستشارا بالمكتب الثقافى بوزارة التربية والتعليم ، ولكنهم اعادوه بوظيفة مدرس بمدرسة ابتدائية مغمورة فى حى من احياء القاهرة المعزيّة . وكانت الضربة شديدة هذه المرة . ولم يحتمل انور القوى .. فقد ادركه ضعف الانسان الفرد امام جبروت الحكومة . وانه لا مناص امام الانسان الفرد من الركوب فى عربة النظام ، او مرور العربة على جثته . فاستقال انور من الوظيفة ، وبدا صراعه مع المرض الرهيب الذى قضى عليه !

ولم تكن هذه قصة حياة انور المعداوى ، ولكنها قصة نهايته اردت ان ابدا بها ليعلم القراء كيف مات ناقد لم تنجب مصر من طرازه إلا عدداً اقل من اصابع اليد الواحدة ؟! وكيف انتهت حياة مفكر عظيم لو اتيحت له الظروف المناسبة لترك فى مصر اثرا ربما فاق الأثر الذى تركه العقاد ؟! ولكنها الظروف السياسية التعيسة حين تعرض على السلطة ان تؤثر شولاء الأعمى على النصيحة الخالصة . وان تقبل بالذيول وترفض الانداد . وان تطرد اهل الخبرة لتحل محلهم اهل الثقة ! وان تحجب عن القراء قلم انور المعداوى ، بينما تطلق العنان لاقلام استخدمت اغلب الوقت فى كتابة تقارير كاذبة !

إنها ليست محنة انور المعداوى ، ولكنها محنة العصر . وهى ماساة تتكرر كثيراً ولكن احداً لا يستفيد منها ، ولا احد يتعظ بها . لانه هكذا الحياة . اعملوا فكل ميسر لما خلق له !!

... وللحديث بقية ...



النائبة جينولا كوهين .. صاحبة قانون القدس ، الذى قضى بضم القدس إلى الكيان الصهيونى واعتبارها عاصمته الأبدية !

جيئولا كوهين.. النائبة الإرهابية التى تنادي بإبادة الجنس العربي !

بقلم : عصام شريح

إن احد اهم النتائج التى اسفرت عنها التجربة الصهيونية على ارض فلسطين العربية المحتلة . هى دون شك تشويه القيم وبالتالى خلق جيل من اليهود (الصابرا) مشحون بقيم العدوانية والهوس بالسلاح والغرور الشديد .

وفى ظل الايديولوجية الصهيونية خيم على الاسرائيليين مناخ هستيري للتعصب الديني والتوتر الدائم ، والهلوسة بالشعارات النابعة من اساطير بائدة : كشعب الله المختار - وارض الميعاد - ووفاء « يهوه » بوعده لشعبه .. الخ ، ثم الشعور الدائم بان الحرب والعنف هما الوسيلة الوحيدة والمثلى لتحقيق الحلم الصهيوني فى اقامة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل ، واخيرا .. وليس اخرا .. التحول الى نظام فاشي يستخدم « سياسة اليد القوية » والاستغلال الاقتصادى ، ليس ضد العرب فحسب ، وانما ضد اليهود الشرقيين - السفارديين - انفسهم .

نموذج واضح

فى نطاق الحديث عن تشويه القيم لدى اجيال الاسرائيليين الذى تربوا فى ظل الايديولوجية الصهيونية ، يمكن تقديم نموذج مثالى على ذلك ، بالحديث عن « جيئولا كوهين » - النائبة فى الكنيست الصهيوني ، والتى تعبر بشخصيتها العادية ، وببساطة تفكيرها ، اصدق تعبير عن جوهر الصهيونية وحقيقتها دون طلاء أو مساحيق ، ولذلك فان الحديث عن جيئولا كوهين ، هو فى الواقع ، حديث عن الصهيونية عارية ، وخارج إطار السياسة وتعقيداتها الاستراتيجية او التكتيكية ، وخارج إطار الدبلوماسية وكياستها المظهرية ، بل ان الحديث عن هذه المرأة ، هو فى بعض جوانبه حديث عن الاستراتيجية الصهيونية ، التي لم يطرا عليها اى تغيير ، منذ تحديد خطوطها الاساسية ، ومبادئها الرئيسية فى مؤتمر بال فى عام ١٨٩٧ .

ولا ننسى هنا ان جيئولا كوهين هى صاحبة ما يسمي « بقانون القدس » الذى قضى بضم القدس الى الكيان الصهيونى

واعتبارها عاصمته الأبدية فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٠ ، كما هى صاحبة ما يسمى « بقانون الجولان » الذى قضى بضم الجولان السورية المحتلة الى الكيان الصهيونى فى ١٥ ـ ١٢ ـ ١٩٨١ .

سيرة ارهابية

تقول جينولا كوهين عن نفسها ، انها بدأت حياتها السياسية (الارهابية) عمليا فى عام ١٩٤٥ ، عندما قامت بوضع ملصقات صهيونية على الجدران ، ثم اخفت بعض المتهمين من الارهابيين الصهاينة الذين كانت سلطات الاحتلال الانكليزى فى فلسطين تتعقبهم .

وكانت كوهين انذاك تعمل ضمن عصابة « الأرغون تسفاي لئومي » التى كانت تعرف اختصارا باسم « منظمة الاتسل » ، والتى كان يتزعمها مناحيم بيجن رئيس وزراء العدو الحالى ، لكنها فى أعقاب الانشقاق الذى وقع فى صفوف « الاتسل » فى عام ١٩٤٠ ، والذى اسفر عن تاسيس منظمة عسكرية ارهابية منافسة بزعامة ابراهام شتيرن ، انضمت جينولا كوهين إلى المنظمة الجديدة ، كما اصبحت تعرف باسم «ليمى» ـ (أى المحاربون من اجل حرية اسرائيل) ، كما كانت تعرف احيانا باسم مؤسسها « شتيرن » .

والتحقت كوهين التى ولدت فى عام ١٩٢٥ لأب يهودى من أصل يمنى ، بالجامعة العبرية ، وانضمت الى حزب حيروت ـ أو حركة حيروت (أى الحرية) ، عند تاسيسه فى تموز (يوليو) ١٩٤٨ ، ثم عملت صحفية بصحيفة « معاريف » فى عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٧٣ ، حيث رشحت نفسها لعضوية الكنيست على قائمة « حزب حيروت » وفازت بدخول الكنيست ، ومنذ عام ١٩٧٣ اصبحت جينولا كوهين داعية متحمسة جدآ للاستيطان فى الضفة الغربية ، وقد انضمت مع اريديل شارون فى عام ١٩٧٤ الى حركة « جوش إيمونيم » ، وشاركت فى احتلال بلدة « سبسطيه » العربية ومصادرة اراضيها والاستيطان فيها . وقد حاولت فى عام ١٩٧٧ ، الحصول على منصب وكيلة وزير المعارف ، لكنها اخفقت فى ذلك فعملت رئيسة للجنة استيعاب المستوطنين اليهود الجدد ، وهى لجنة تابعة للكنيست . ومنذ عام ١٩٧٩ ، وهى تحرض دون هوادة ضد اتفاقية كامب ديفيد ، لانها على حد زعمها « فرطت » بسيناء للمصريين . وقد اعلنت فى الكنيست عن معارضتها لتلك الاتفاقية بكل صراحة ، ولذلك انتقلت فى عام ١٩٧٩ إلى العمل خارج حزب حيروت ، وحزب ليكود الحاكم .

حزب جديد

فى ٣١ اغسطس ١٩٧٩ ، اعلن البروفسور « يوفال نئمان » عن تاسيس حزب يميني صغير يتميز بتطرفه وشوفينيته على صعيد السياسة الخارجية والامنية ، هو حزب « هتحياه » (اى البعث او النهضة) ، وذلك بعد انسحاب عدد من الشخصيات اليمينية المتطرفة من « الليكود » الحاكم .

وقد عقد الاعضاء المؤسسون لحزب « هتحياه » مؤتمرا صحفيا فى تل ابيب فى اوائل شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٩ ، حضرته جينولا كوهين الى جانب موشيه شامير والاستاذ يوفال نئمان وتسفى شلواح وافرايم بن حاييم ، وحنان بوراث ، وغرشون شفاط . واعلن هؤلاء عن قيام حركتهم التى تعارض اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة الصلح مع مصر ، وتدعو بالمقابل الى تطبيق السيادة الاسرائيلية على المناطق العربية المحتلة .

وفى ذلك المؤتمر ، تحدثت جينولا كوهين فقالت : ان زعامة الليكود قد اعياها التعب ، ويجب ان تذهب ، ووصفت الداعين الى استمرار « مفاوضات السلام » مع مصر بانهم « مصابون بجنون التطبيع ، ومتصوفو سلام الآن » .

كما تحدثت كوهين عن مؤسسي الحزب ، وعن أهدافهم ، فقالت : إنهم تركوا إطارات حزبية سابقة ، لكى يناضلوا من اجل « مبادىء الوفاء لأرض اسرائيل » والاستيطان فى كل ارجائها ، واضافت أن هناك استجابة واسعة للحركة الجديدة بين الجمهور الاسرائيلى ، واعربت عن ثقتها فى أن يحصل حزب « هتحياه » على عشرين مقعدا فى الانتخابات القادمة . (نال الحزب ثلاثة مقاعد فقط فى انتخابات عام ١٩٨١ ، وتفسير جينولا كوهين ذلك ، بانه يعود الى القرار الجماعى للحزب والذى اتخذ فى اخر لحظة ، ويقضى بتوجيه النقد الى حزبى ليكود والمعراخ ، وبذلك فان الانتخابات فى نظر كوهين لم تجر حول القضايا الحقيقة (اى المناطق المحتلة ـ السلم ـ الانسحاب) وتقول إن الاسرائيليين تعرضوا للخداع والغش) .

وهكذا فان جينولا كوهين ، انسحبت من حزب « حيروت » المتطرف بحجة انه حزب معتدل ، وأن رئيسه مناحم بيجن «يتساهل اكثر من اللازم » .

وكان المتطرفون فى حزب حيروت ، الذين يقفون على يمين مناحم بيجن قد بدأوا بالتحرك ضد اتفاقية كامب ديفيد ، التى وقعتها كل من مصر واسرائيل فى ١٨ سبتمبر ١٩٧٨ ، وتصاعد هذا التحرك بصورة خاصة بعد إقرار اللجنة المركزية لحزب حيروت فى جلستها التى عقدتها بتاريخ ١٨ مارس ١٩٧٩ ، « معاهدة السلام» بين اسرائيل ومصر ، باغلبية كبيرة ، وقد لعبت جينولا كوهين دورا بارزا فى هذا التحرك .

النائبة الإرهابية
التى تنادي بإبادة الجنس العربي !



النائبة الإسرائيلية اثناء حديثها عن مشروعها لضم القدس فى الكنيست

وفى اطار معارضتها لاتفاقية كامب ديفيد ثم لاتفاقية الصلح مع مصر ، حاولت اولا ان تقلب المائدة على راس مناحم بيجن وانصاره عن طريق تجميع شمل المعارضين للاتفاقيتين داخل « حيروت » ، فدعت جيئولا كوهين هؤلاء المعارضين الذين كانوا يطلقون على أنفسهم تسمية « المخلصون فى حزب حيروت » ، الى عقد اجتماع بمقر الحزب بتل ابيب فى ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٧٩ ولكن الاجتماع لم يقتصر على اعضاء مجموعة « المخلصين » هؤلاء ، بل حضره أيضا عدد من السياسيين من اعضاء « الليكود » الذين يعارضون سياسة حكومة بيجن ، من امثال النائب ينغال كوهين ، و اورغاد ويد يديا بعيري من حزب الأحرار ، وقد حمل المجتمعون على قرار بيجن واللجنة المركزية لحزب حيروت بالموافقة على اتفاقية كامب ديفيد ، وكان بين المتكلمين اورغاد كوهين ، و يوسف شيلوح ، وشموئيل كاتز ، وقد وصف هؤلاء « بيجن » « بخيانة » « مبادىء حيروت » .

اما جيئولا كوهين ، فقد قالت فى كلمتها ، انها كانت تزمع الاستقالة من « حيروت » بعد الاقتراع على اتفاقية كامب ديفيد ، لكنها غيرت رأيها بعد تلقيها عشرات المكالمات الهاتفية من اعضاء اللجنة المركزية للحزب . حاولوا فيها اقناعها بان هناك اغلبية فى « حيروت » تقف ضد بيجن وضد اتفاقية كامب ديفيد . و اضافت جيئولا كوهين قائلة : إن المجتمعين لا يعتبرون انفسهم منشقين عن « حيروت » ، بل إنهم يمثلون فى الواقع حزب « حيروت الحقيقي » امـــا البقية فقد أصبحوا حلقة من المخلصين لمناحم بيجن وليسوا أكثر من ذلك .

ووصفت بيجن بانه ضعيف وخائف .

ولكن موقف جيئولا كوهين ورفاقها فى حيروت والليكود تبدل جذريا بعد ثلاثة اشهر عندما صادق الكنيست الاسرائيلي على اتفاقية كامب ديفيد ، وكان لا مفر امامها من الخروج من حزب « حيروت » والعمل على تأسيس حزب يميني جديد ، عرف فيما بعد باسم حزب « هتحياه » .

أفكار مشوهه

بالرغم من ان جيئولا كوهين لا تمتلك مواهب غير عادية ، وبالرغم من محدودية قدرتها على الاقناع ، وبالتالى افتقارها للشخصية القيادية ، فان هـــــذه المرأة « المسترجلة » ، تلجأ الى الانفعال الدائم ، والى استخدام عبارات متطرفة ، بقصد التأثير فى انصارها وجمهورها . لكن كوهين تمتلك فى الواقع افكارا سياسية روتينية ، مقتبسة من « قاموس الصهيونية » ، وهى لم تبرهن خلال الفترة التى امضتها فى العمل فى « الحقل السياسي عن قدرة على تخطى الأفكار الحزبية الضيقة ، الى عالم السياسة الواسع ، أو عالم الدبلوماسية المرنة .

اما قبضة الافكار المشوهة التى تحملها جيئولا كوهين فى رأسها فيمكن اختصارها بالنقاط التالية :

● « الصهيونية تعنى النضال الابدى ، وإلا فهى لا شيء » . وقد فقد الاسرائيليون ثقتهم بالذات ، كما فقدوا ثباتهم على الهدف وتتهم جيئولا كوهين قادة الاحزاب الاسرائيلية جميعا ، بفقدان الشهية على النضال ، وتفضيل السلام على ذلك .

● السياسة فى نظرها ليست اكثر من قانون غاب يرتدى قناعا زائفا اسمه العلاقات الدولية ، والامم تنقسم إما إلى ذئاب او الى نعاج ، اما الحروب بين الدول ، فهى عملية مستمرة ، والامم تخرج منها عادة إما قوية منتصرة ، او ميتة مهزومة .

● عزلة اسرائيل سببها « التنازلات » ، « وكلما استطعنا التغلب على الجبناء فى صفوفنا ، فاننا نستطيع التغلب على الضغوط الخارجية ، وعندما رضخنا لتلك الضغوط ، اضطررنا لدفع ثمن باهظ » .

وتقول كوهين : ان العالم يسخر من الاسرائيليين ، لأنهم يعيشون حالة من الرضوخ الدائم ، وهم يعانون فى هذا الصدد من صفة اكتسبها اليهـــــود فى « المهجر » ، الا وهى صفة الخوف والاستسلام ، وتتهم جيئولا بعض أعضاء الكنيست بالجبن والاستعداد التلقائى للرضوخ امام الضغوط الخارجية .

● السلام مع مصر مجرد خدعة ، وهو بالتالى عار يصيب اسرائيل !! وتتساءل كوهين : هل يتوجب على اسرائيل الانتظار إلى أن توقف مصر مسيرة السلام بعد حصولها على مبتغاها ؟ (الانسحاب من سيناء) . لذلك طالبت جيئولا بوقف عملية الانسحاب من سيناء ، بل هى نادت بالعودة إلى احتلال الأرض التى انسحبت منها اسرائيل فى سيناء ، بما فيها ابار البترول فى ابو رديس .

وتعود الى الاساطير البالية ، لتستشهد بها على ان « منطقة باميت » فى سيناء ، كانت على جميع الخرائط التاريخية ، جزءا من « مملكة داوود وسليمان » ، وحذرت كوهين من ان « التنازل » عن سيناء ، سوف يعتبر سابقة ، وان التخلى عن « باميت » ، سوف يقود فى النهاية الى التخلى عن الضفة الغربية !! .

ولذلك فهى تطرح الشعار التالى : « إن المعاناة من اجل ارض السلام ، افضل من السلام الان » ، لأن السلام سوف يلد حروبا فى المستقبل . ولذلك ايضا تقول جيئولا إنها رفضت دعوتين من الرئيس المصرى الراحل انور السادات لزيارة القاهرة وتعلل رفضها هذا بالقول إن الرئيس المصرى السابق اعترف فقط بحقيقة قيام اسرائيل ووجودها فى منطقة الشرق الاوسط ، ولكنه لم يعترف بما تسميه « حق اسرائيل التاريخى فى الوجود » !! وتضيف كوهين ان الفرق بين هذين الامرين هام جدا !! ثم تمضى قائلة أن زيارتها للقاهرة رسميا لن تكون ذات هدف ، والافضل ان تقضى الوقت فى القدس ، تكافح لابقاء المدينة عاصمة موحدة لاسرائيل !!

وعن ضم مدينة القدس المحتلة للكيان الصهيوني ، تقول جيئولا كوهين إن « قانون

القدس » الذي تقدمت به الى الكنيست وصادق عليه فيما بعد ، قد « برهن عن ان الانسان يجب ان ينجح اذا امن بعدالة موقفه » !

وتضيف انها اقترحت على مناحيم بيجن إصدار هذا القانون قبل انسحابها من حزب « حيروت » ، لكنه لم يوافق . (بعد موافقة الكنيسة على قانون القدس صافحها بيجن بحرارة ، وقام يغال هوروفتش بتقبيلها ، وقال لها اريئيل شارون : عودي الينا (الى الليكود) فنحن بانتظارك .

تجاهل الوجود العربي

اما العرب وحقوقهم واراضيهم المصادرة والاضطهاد المنظم الذى يلاقونه يوميا على يد السلطات الصهيونية ، فهو لا يثير جيئولا كوهين لا من قريب ولا من بعيد ، بل إن هذا الأمر لا يعنيها ، وفى المصادر التى قرات فيها عن هذه المراة ، على ندرتها ، لم اعثر على كلمة واحدة عن العرب ، وكان هؤلاء غير موجودين اصلا بالنسبة اليها ، او ان وجودهم «الطارىء» فيما يسميه الصهاينة « بارض اسرائيل » لا يستدعى منها التفكير فيهم ، لان كل اهتمامها منصب على العمل لتهويد الأرض العربية المحتلة ، وتحقيق الحلم الصهيوني فى اقامة امبراطورية كبرى من الفرات إلى النيل .

أين كوستلر ؟!

فى اواخر الخمسينيات نشر الكاتب والأديب اليهودى « أرثر كوستلر » روايته الشهيرة « ظلام فى النهار » أو « ظلام فى وقت الظهيرة » ، عبر فيها كوستلر عن كفره بالشيوعية كايديولوجية كان يعتنقها فى وقت من الأوقات ، وبالتالى عن شعور بالمرارة لما وصل اليه الانسان ، ووصلت اليه القيم الانسانية فى العصر الحديث ، وقد اثارت تلك الرواية فى حينه ضجة كبيرة ، لما تضمنته من تصوير مدهش للاحباط النفسي الذى يعاني منه اشخاص الرواية ، وكان اهم الجوانب التى رمت اليها رواية كوستلر



مناحيم بيجن .. وصفته النائبة جيئولا كوهين بانه ضعيف وخائف

ـ فى نظري ـ هو ذلك التشويه للقيم الذى تسببه العقائد التوتاليتارية ومنها الشيوعية ، بما فى ذلك مسخ العواطف الانسانية النبيلة لدى اتباع هذه العقائد ، بحيث تعبر هذه عن نفسها فى قوالب لفظية جامدة ، بل خالية من اى شعور او احساس بالحق والخير والجمال .

لقد تذكرت « رواية ظلام فى النهار » وانا اكتب عن جيئولا كوهين التى تمثل نموذجا مثاليا للمسخ البشرى الفاقد لأي إحساس بالحق والخير والجمال فى ظل التربية والتثقيف اللذين تفرضهما العقيـــدة الصهيونية ، وبدلا من القيم الجمالية يتقمص المسخ الصهيونى من امثال جيئولا كوهين ، « قيم » الشر المتمثلة فى العدوانية والهوس بالسلاح والانتقام ، ومصادرة حياة الآخرين .

وقد تساءلت ـ وانا اكتب عن جيئولا هذه ـ لماذا لم يكتب كوستلر الذى اختـــار « الاندماج » فى الغرب على « الاندماج » فى المجتمع الصهيونى ، عن التشويه فى القيم الذى اسفرت عنه العقيدة الصهيونية فى التطبيق والممارسة العملية ؟؟ علما بأن كوستلر رأى هذا التشويه وعاينه عن قرب عندما عاش لسنوات طويلة فى فلسطين المحتلة ، قبل ان يغادرها « للاندماج » فى المجتمع الاميركى !!

إن تقصير كوستلر فى كتابة رواية عن الصهيونية كعقيدة تمسخ شخصية الانسان ، كما فعل فى روايته « ظلام فى



شارون ... قال لها عودي الينا ، فنحن فى انتظارك !

النهار » ينتقص من تلك الرواية بل من كل الآثار الادبية التى حفلت به حياته ، واكثر من ذلك فان هذا التقصير يثير شبهات حول المرامي الحقيقية لروايـــة « ظـــلام فى النهار » ؟! وفى الواقع فان هذا التساؤل ورد فى خاطرى وانا اكتب عن جيئولا كوهين ـ المسخ الصهيونى لسببين :

الأول : ان قلة قليلة تصل إلى حـــد الندرة ، تنبهت لهذا التشويه فى القيم الذى ولدته الصهيونية فى الانسان اليهودى .

والثانى : ان هذا التشويه يمثل فى حد ذاته ظاهرة هى الاخطر من نوعها فى عصرنا لان اثرها التدميرى لا يقتصر على الانسان اليهودى فحسب ، بل هو يصيب العرب اولا والعالم ثانيا حيث للايديولوجيا الصهيونية ابعاد عالمية ايضا ، تتمثل فى الانتقام من العالم الذى « اضـــطهد » « اليهـــود » « وحبسهم » فى « الغيتو » فى المجتمعات الغربية المسيحية ، بل وفى الانتقام من المسيحية عينها بالدرجة الأولى ، لانها المسؤولة عن « ماساة اليهودية » ! ويبقى ان نقول اخيرا ، ان جيئولا كوهين ، على سذاجة الأفكار الصهيونية التى تحملها ، بل وعفوية هذه الافكار ، إنما تقدم للأجيال العربية ، نموذجا للشخصية الصهيونية العدوانية والمتغطرسة ، التى تقاتلهم على ارضهم وتستبيح دماءهم واراضيهم ، وتتحدى فيهم غريزة بقاء النوع .

عصام شريح



فصول ابي البهاء في التحدي والرهان

بقلم
الدكتور عبد السلام العجيلي

فرغنا ، انا وابو البهاء ، من الغداء على مائدة صديقنا الاستاذ مصطفى واخذنا نشرب القهوة .

قلت لصاحبي بحضور مضيفنا وزوجته :

ـ لك ايام ثلاثة وانت تدعوني بالحاح إلى غداء بضيافتك ... واذا بالغداء في بيت الاستاذ مصطفى ، وعلى حسابه :

قال ابو البهاء : بل انك تغديت على حسابي . لا تحسب اخانا هذا اطعمنا كرما منه ، وانما هو حق لي عليه ... دين سدده لي .

قلت : أي دين ؟ أصحيح يامصطفى ما يقوله هذا الرجـــل . ؟

فاجاب مضيفنا في تسليم : نعم ، صحيح . لابد من الاقرار بان من يتحدى ابا البهاء خاسر دوماً .

قلت مستفهما : ما هي الحكاية . ؟ وهل تعرفينها ياسيدتي . ؟

فابتسمت زوجة صديقنا وقالت : الاصلح ان ابتعد عنكم لئلا يجد زوجي حرجا في رواية خسارته ... او لئلا يلقي اللوم علي في تلك الخسارة . خذ حريتك بالكلام .

قالت هذا لزوجها بلهجة ساخرة وتركتنا لوحدنا . عندها قال مصطفى :

ـ كاد هذا الرجل ان يخرب بيتي ...

فقاطعه ابو البهاء قائلا : الذنب ذنبك !

فسالت انا : يخرب بيتك ؟ كيف . ؟

قال مصطفى : الحكاية بدات في المقهى . كنا شلة من الاصدقاء نتحدث في فصول ابى البهاء وكيف وقع ضحيتها عدد من منكودي الحظ ، فقلت انا إن مقالبه تجوز على السذج من معارفه ، او على من يلقونه لاول مرة فيخدعهم بمظهره الوقور وبذلاقة لسانه . اما نحن الذين نعرفه حق المعرفة فاني اتحداه بان يجر واحدا منا الى موقف لا يحبه ...

ردد هنا ابو البهاء جملته السابقة قائلا : إذن فالذنب ذنبك !

قال مصطفى : هذا ما جرى . إذا اردت الصحيح ، لم اخسر انا في التحدي ... فالدور الذي لعبه ابو البهاء لم يجز علي انا وانما خدعت به زوجتي ، وهي لم تكن تعرف هذا الرجل قبل لقائنا به عند مدخل حي الاسواق منذ خمسة ايام . الواقع انه لم يفز ...

فقاطعه ابو البهاء قائلا بلهجة الواثق من ان الحق بجانبه : لم افز . ؟ ... وهذا الغداء الدسم الذي لم نغسل ايدينا من اطايبه ، اهو كرم منك ؟

قال صاحب الدار : اعترف انى دعوتكم مرغما ماحيلتى إذا كان فصلك الذي دبرته احال بيتي جحيماً في الايام الخمسة الفائته !

قلت انا وقد عيل صبري : انتما تتكلمان بالالغاز . الا استطيع ان اعرف ما جرى بينكما على الضبط . ؟

قال الاستاذ مصطفى : ساختصر لك الحكاية . ما انقضى يومان على جلسة التحدي التي ذكرتها لك حتى التقيت بابى البهاء وجها لوجه في السوق ، وكنت فيه مع زوجتي نتنقل من مخزن إلى مخزن . عرفت زوجتى به مضفيا عليه من الالقاب الحسنة ما كان يتناسب وسمته الوقور ومظهر الوجاهة الذي يتخذه امام من لا يعرفه ، وكما توجب اللياقة على التفت اليه قائلا : وهذه سميرة ، قرينتي . فما كان من هذا الظالم إلا ان دار وجهه الي وقال في شبه عتب ، وبلهجته التي يعرف كيف يبعد عنها كل اثر للسخرية والمزاح : الي انا تقول هذا . ؟ كانك لم تعرفني بزوجتك الحقيقية ، السيدة الشقراء ، حين كنتما تتعشيان في مطعم المطار منذ ثلاثة ايام !

وسكت محدثي عند هذا . لم ادرك حتى الآن خفايا هذا التصرف من ابى البهاء فسالت مضيفنا مستفسرا :

ـ وبعد ذلك ؟ فتنهد الرجل وقال : بعد ذلك ... بعد ان القى هذا الظالم قنبلته ، حيانا مسرعا ، وابتعد عنا . وتعال اقنع ام البنين بانى ما تعشيت ، منذ ثلاثة ايام ، في مطعم المطار مع سيدة شقراء قدمتها لمن رانا معا على انها زوجتي الصحيح انى كنت منذ ايام ثلاثة اتناول عشائي في ذلك المطعم ، وإنما في رفقة مجموعة من الرجال كان بينهم ابو البهاء هذا . ولكنها حقيقة ما كانت زوجتي لتصدق اقوالي عنها بعد ان سمعت باذنيها من هذا الصديق ، الذي وصفته لها بكل وصف جميل ، انى اصاحب امراة اخرى وادعي انها زوجتي . ولا اصف لك اياما بلياليها قضيتها تحت سقف هذا المنزل اعاني من عقابيل فعلة ابى البهاء . لم اجد في النهاية سبيلا إلا

الاقرار له بانكساري وخسران التحدي ، بشرط ان يتولى ترقيع ما فتقه في حياتي العائلية . وكان ثمن قبوله غداء اليوم الذي شرفتنى انت بحضوره مع هذا المجرم ...

لم املك انا إلا الضحك من هذا الفصل الجديد من فصول ابى البهاء ، وسالت الاستاذ مصطفى :

– وعسى ان تكون السيدة رضيت عليك في النهاية ...

فهز راسه وهو ينظر إلى ابي البهاء وقال : من حسنات صاحبنا هذا انه مثلما يجرح يعرف كيف يداوي . لو رايته حين زارنا ، بعد إقراري له بالهزيمة ، وكيف كان لسانه يقطر عسلا وهو يكيل لي الثناء امام زوجتي ويقسم لها الايمان بزور ما تقوله علي وبهتانه . على كل فصوله التي نعرفها لابد لنا من القول بأن باع ابي البهاء في الشر قصير ، وان اذيته ، مهما المت ، تظل طريفة ومضحكة ...

●●

ولولا أن أبا البهاء يعرف كيف يداوي بعد ان يجرح ، كما وصفه الأستاذ مصطفى ، لقلت إن إيلام بعض فصوله يفوق طرافتها وإضحاكها . أضرب لذلك مثلا حكاية الصفعات الثلاث التي نزلت في ذات يوم على قفا احد الابرياء الغافلين ، والتي رواها لي صديق طفولته يحيى اغا و ابو محمد .

قال يحيى آغا : كان ذلك في مطلع شبابنا ، حين كانت صدورنا مملوءة بالرغبات ، وجيوبنا خالية خاوية . واكثرها خلوا وخواء جيب ابي البهاء . دعوته انذاك مرة لحضور فيلم في سينما « ديانا » التي أصبح لها اليوم اسم اخر ، واتخذنا مجلسنا في الطابق العلوي ، طابق البلكون . كان الحضور حولنا قليلين ، وأمامنا على مقعد في صف أدنى من مجلسنا بصفين مشاهد واحد ما كنا نرى منه غير ظهره . كان رجلا عريض القفا يلمع بياض نقرته بين شعره الاسود وسترته الداكنة تحت انوار الصالة المضاءة ، إذ لم يكن العرض قد بدا بعد . ملت على ابي البهاء بجانبي وهمست في اذنه : ما قولك في ليرتين تاخذهما حلالا زلالا ؟ اجابني متلهفا : اين هما ؟ اشرت إلى صاحب القفا العريض امامنا وقلت : هما لك مني إذا صفعت هذا القفا من دون أن تدخلنا في معركة ! كان الرهان خطرا ، إلا ان الطعم كان مغريا . فما تردد ابو البهاء ، بل قام لتوه وانحدر الدرجات الثلاث على رؤوس اصابعه حتى أصبح وراء الرجل وهوى على عنقه بصفعة داوية وهو يهتف احمد ... يا ملعون .... ننتظرك امام الباب وانت هنا- ؟ ورايت الرجل يهب قافزا من مقعده وملتفتا إلى صاحبي الذي بادره بقوله : اخ ! العفو ياسيد ... ما اشبهك برفيقنا احمد ! ... لنا نصف ساعة ننتظره امام الباب ، انا وصاحبي ، ظننتك هو فاردت ان اداعبه ... لا تؤاخذني ... ارجوك !

وتابع ابو محمد حكايته قائلا : مرت تلك الصفعة بسلام وعاد ابو البهاء إلى جانبي فدسست في جيبه الليرتين بصمت . اما المصفوع الذي احس بتركيز انظار الحاضرين عليه فقد ترك مقعده وخرج إلى الممشى المجاور فلم يعد إلى البلكون إلا بعد ان بدأ العرض واطفئت الانوار . لم يجلس في كرسيه الأول بل انحدر صفين اخرين مبتعدا باكثر مما كان عليه عنا . مرة اخرى ملت على ابي البهاء وقلت له : لك خمس ليرات إذا فعلتها مرة ثانية ! فتطلع الي فيما يشبه التخوف من العودة إلى هذه المغامرة ، ولكني احسبه كان يريد ان يستوثق من كوني جادا في عرضي ، فخمس ليرات مبلغ غير هين بالنسبة إلينا معا . وحين تيقن من اني اعني ما اقول قفز بخفة إلى أن أصبح وراء الرجل وفاجاه باللطمة الثانية مرفقا إياها بقوله : واخيرا جئت يا احمد ... كدنا نقع في مشكلة حين غلطنا برجل يشبهك ! وسمعت الرجل ، في الظلمة ، يصرخ : يا اخي انا لست رفيقك الملعون .... انا لست احمد ... ما هذا البلاء يارب - ؟! وارتفعت حينذاك موسيقى الفيلم المعروض فغطت على صراخه وعلى اعتذارات ابي البهاء ، مثلما غطت على ضحكتي التي انفجرت بها حنجرتي بعد أن طال حبسي لها ...

قال ابو محمد : في هذه المرة ترك ذلك المسكين البلكون وانحدر إلى الطابق الارضي . ظنناه تنازل عن سهرته وفارق الدار كلها . إلا اننا في فترة الاستراحة بين جزئي العرض اطللنا من ردهة الطابق العلوي فلمحناه مستندا إلى احد الأعمدة في استراحة الصالة الأرضية ، وسيكارته بين شفتيه . بدا لنا انه شاهد الجزء الاول من العرض في مقاعد الطابق الارضي . قلت لأبي البهاء : لراهن على انك لا تستطيع أن تعيد الكرة ... أن تصفعه الثالثة ! قال : بكم تراهن ؟ قلت بعشرليرات . قال : تدفع سلفا . فهززت له راسي بالايجاب . قال : هاتها . كانت تلك الليرات العشر كل ما بقي في جيبي من نقد ، فاعطيته إياها وانا اتوقع ان لا يمضي الامر بسلام في هذه المخاطرة الثالثة . ولهذا ظللت في مكاني من الردهة العليا اطل من فوق سياجها علي ممشى الطابق الارضي ، بينما انحدر ابو البهاء إلى ذلك الممشى ، وتقدم بهدوء نحو صاحبنا ، حتى إذا اصبح خلفه رفع كفه وهوى بها على القفا العريض . التفت الرجل بعصبية إلى الوراء ، وارتفعت يده بحركة المقاتل المستميت . غير أن ابا البهاء كان اسرع مناورة ، فقبض على اليد المرفوعة وقربها من وجهه . حسبته ينوي ان يخوض المعركة مع ضحيته المسكينة ، ولكني تبينت انه قرب تلك اليد اليه ليضع على ظاهر كفها شفتيه ... ليطبع عليها قبلة خاطفة ، كانت مقدمة لسيل من الكلمات المعسولة ، لم يبلغ سمعي مؤداها في موقفي من الردهة العليا ، إلا اني عرفت اثرها في ملامح وجه الضحية . فقد بدا لي أن الرجل هدا بعد فرط احتداد ، وفارقه غيظه ، وانتهى الأمر بان ارتسمت على شفتيه ابتسامة راضية . لاشك في انه اقتنع اوفى اقتناع بما اوهمه به ابو البهاء من ان اللطمات الثلاث نالته خطا ، فما كانت موجهة اليه البتة ، وانما إلى ذلك الرفيق المزعوم الذي اسمه احمد ... احمد الذي لم يكن له في الواقع اي وجود .

وانهى ابو محمد ، يحيى اغا ، حكايته كما انهاها الاستاذ مصطفى ، بقوله إنه خاض رهانا مع ابي البهاء فخسره ، وانه تالم بعض الشيء لخسارته ، ولكن التعامل مع هذا الرجل وان ادى إلى الخسارة او إلى التالم تظل مرغوبا بها لما في مقاله من طرافة واضحاك .

●●

نعم ، قد يشتط صديقي ابو البهاء احيانا في إيلام ضحاياه كما في الحكاية السابقة . وهو إذا فعل ، فانما يضطر إلى ذلك استجابة لدوافع معينة ، منها الافلاس ، ومنها الاستثارة ، ومنها في بعض الحالات الحب . ولعل الفرصة تتاح لي لاتحدث في مقال قادم عن فصول له الفها ، او دبرها ، بتاثير الدافع الاخير ، واعني به دافع العشق والغرام .

د . عبد السلام العجيلي

الساعة التي تسبق الفجر

قصة بقلم : سعد مكاوي

« إن الشخصيات المتوهجة التى تتطلبها منعطفات الزمان الحرجة تولد عند الحاجة إليها ، تفرزهـــا الضرورة » .

س.م .

فى ليلة من ليالى البرارى السحيقة ، حيث يتسيد الضباب ويتمـــدد العفن ، وتنطمس الحقيقة وحيث تتناسل الجموع الكثيفة المنضغطة وهى تحشو بطونهـا بالفتات المتساقط من موائد القرصـــان ، منسحقة الارادة تحت نعـــال المواكب الصخابة لعتاة المرتزقة وجحافل المزيفين ، كان المستنقع الكبير ينمـــو ويترامى ويستفحل امام بصيرة الكهل الذى دفعته الضرورة إلى شراع خفقاته تعوذات ، فى زورق يطقطق خشبه إحساسا بالاغتراب .

خلال العفن جال الكهل ببصره فلم ير غير حركة الدود النهمة ، كبيرها ياكل صغيرها ، والكل اكل ما فى بطن المستنقع وظهره من طحالب .. وعندما رأى دودة صغيرة تلتهم مضغة من عشب القاع الغض فى نفس الوقت الذى تلتهمها هى فيه دودة كبيرة ، ابتعد زورقه بمجدافين فى تقزز وتشاؤم .

فى الظل والعزلة يشعر الكهل انه الاقوى ... يعزف على قيثارته القديمـــة الطيبة الوانا ، وعطورا ، وطعومـــا ، وتجليات .. يغنى ويبشر وينادى الكلمات الصادقة من اركان الأرض : وقوفا ايتها الكلمات !

لكن القيثارة كثيرا ما تسكت ، إذ تدخل عليه الضرورة لتخرجه إلى الآسن العطن مما حول كهفه .. عندها تاخذ الظلمة زخرفها على النواصى ، وتتنادى من حوله إشارات المسوخ كشفرة اللصوص .. تسكت القيثارة ، وتتحكم الضرورة ، فيغوص الكهل حتى عنقه فى ليل المســـــتنقع البهيم ، وتشحب الالوان ، وتذوى العطور ، وتسخف الطعوم ، وتنطفىء الاشراقات .. حتى كلماته تستشعر هى الاخرى ذلك البرد الجليدى الذى يرصـــها امـــامه فى توابيتها ، محنطة .

هو الذى يكمن كل شىء عنده فى الكلمة ماذا هو فاعل بكلماته فى قلب المستنقع الذى لم تعد بينه وبينه لغة مشتركة ، واين يبشر بايمانه بان الكلمات الشريفة هى بشير الغد الجميل الذى يراه ببصيرته ويصر على انه هو الحقيقة .؟ .

وفى قلب الضباب العطن سمع ضربة مجداف غير مجدافه ، دون ان يعرف اى انواع السلاح يحمل هذا الزورق الآخر الذى بدات مقدمته تتضح ، وإن كان يعرف انه هو فى هذا المكان وهذا الزمان بغير سلاح غير الكلمة .. وعندما صارت مقدمة الزورق المجهول عند طرف مجدافه سمع صوتا :

– من هناك .؟ ماذا يقول له .؟!

ينقبض القلب وينبض الحذر ، فان الوهلة الأولى عند سماع ضربة مجداف آخر هى للتوجس ، إذ الميدان مفتوح للخطاف والمرشد قبل ان يكون هناك رجاء فى ظهور قلب نظيف او إرادة طيبة او بارقة امل .

– ومن تكون انت .؟

الآن يلتحم الزورقان وتستبين ملامح الوجه الاخر مبهمة بعض الشىء فى ضبابية الاشياء :

– انا قلب يغامر وعقل يئن .

فى الصوت نبرة صدق عرفت طريقها إلى الاعماق الملهوفة من وجود الكهل المتمرس بمعادن النفوس .. ومع مسافة المجازفة المحسوبة فانه ينبغى ان نطرد من انفسنا الخوف احدنا من الآخر إذا كنا نريد حقا ان نقهر كل هذا العفن ونطلع فى ليل المستنقع الطويل فجرا أى فجر .

بعد لحظة الياس المرة احس ان نبرة الصدق فى صوت إنسانى واحد تكفيه لكى يتعالى على التشاؤم والياس ، فسال فى فرحة بلقاء الرجل الآخر اشيب الفودين مقرون الحاجبين الذى كان يرنو إليه بنظرة واضحة صديقة :

– تئن .؟

– أئين من طاردته زوارق المرتزقة .

– تغامر .؟

– بالباقى من العمر ، وما اقله .

– زوارق المرتزقة .؟

– لماذا اجازف بالكلام معك وقد تكون واحدا منهم .؟!

– هل فقدنا الثقة أحدنا فى الآخر إلى الأبد .؟

– المرتزقة يا اخى كما تعرف يملاون المستنقع ،مشوهى الوجدان ،زوارقهم ملء الضباب

– أجل يا اخى ... إنهم يصـــنعون الضباب ... يستثمرون الضباب ... على جسد الحياة وروحها يثقل دهنهم ، منذ استعبدهم نفاقهم لقوة الضباب ،

– ها انت ترى أن كلامنا لم يكن مجازفة بل مكاشفة !

– ما أسرع ما تفاهمنا .

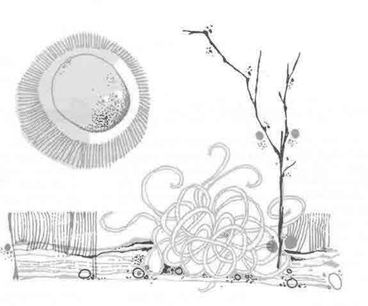
– ما أسرع ما يجب أن نتفاهم .

ابتسم الكهل ابتسامة طفل سعيد .

– كلمات .. كلمات .. اليست لك انت الآخر صناعة غير الكلمات .؟!

– من تكون انت .؟

– رجل صناعته كلمات تبشر بالبعـــد البعيد وراء الأفق .. بنور الفجر المتنائى



يشق الضباب .. أنت من تكون ·؟

ـ محارب قديم من جيش الحقيقة .

ـ متمرس ·؟

ـ بالفعل الصادق ، الاخ الشرعى للكلمة المضيئة .

ـ اهلا بك .. تعال نوثق هذا اللقاء .

ـ كيف ·؟

ـ كما نريد ... مجال الحركة مفتوح امامنا ... وما أسهل الميثاق بين المتوهجين بصدقهم ... نوثق لقاءنا بأن نقول مثلا بيتاً من الشعر ، نشترك فى صياغة شطريه ونحن نشم معاً رائحة النتن الفائحة .. الا نقوى حتى على هذا ·؟ .. إننى الآن اشعر ان المستنقع لن يبتلعنا نحن الاخرين ، بل اننا سنثب فوقه لنعانق الآتى ونغنى لنبض المستقبل .

قال الرجل الآخر بصـــــوت يقطـــر استبشاراً :

ـ يا زورق يا مغترب .. منافذ الآفاق يسدها علينا تكالب الديدان التى تفوح نتنا وصراع الحيتان التى تنز زيتـــا ، ولكن لا عليك يا زورق ، فهناك وراء الافق لابد أن تكون لهذا النتن نهاية ولشىء اخر بداية ، فلنتقدم ولنقتحم .

فى كل لحظة يضرب الماء حولهما مجداف مجهول .

وبكاء طفلة حزينة فى زورق بعيـــــد يغشيه الضباب يتناهى إليهما واهنا متقطعا حتى تقتله الأصوات الغليظة ، إذ يتنادى سعداء اللصوص بشفرة المرتزقة ، وفوق العطن يتساندون .

هل المجاديف اللصة والمتلصصة كثيرة حقا إلى هذا الحد الميئس ، ام ان ضربة قوية على دف الحياة الصادق تستطيع ان تطرد شياطينها وتخرس صوتها وتمحق سرطانها ·؟

عرف كل منهما كل شىء عن صاحبه ... لا تحزن إن الحقيقة معنا ... وما اجمل ان تجدنى وان اجدك ... ان يكون لنا وجود نحن الذين لسنا من المسوخ ولا من المرتزقة ... ان تكون لنا لغة مشتركة ... ان يكون لنا ولو بيت واحد من الشعر ، به نغنى وبه نبشر ... تعال نغنه للطفلة الحزينـــــة الموءودة الصوت حتى نضىء لها الدرب ونجعله بشرى بين يديها ... ما اســـم ابنتك ·؟ ... هل تلف ذراعها الغض حول عنقك ·؟ ... وما اسم ابنتيك انت ·؟ ... وترى ما اسم هذه التى بكت منذ قليل تنادى من يؤنس وحشتها·؟ تعال نغن معاً وما أرى إلا ان صوتنا لا يلبث ان تؤنسه اصوات مجهولة لنا كما نحن مجهولون لها ... لا تحزن ان خصوبة الحقيقة معنا ... الا ترى ان لزوجة الضباب قد خفت بعض الشىء يا صديق ·؟ ... تعال نغن بصوت يبغت المرتزقة فعل القارعة ويشق الضباب فعل السكين .

من قلب الضباب ظهر زورق ثالث صاحب المجداف فيه ملهوف ، دنا وتكلـــم غير هياب :

يا ناس ! ... ملعون هذا الزمن ·· وملعون انا إن عشت فيه بعد اليوم شيطانا اخرس ... أما بعد هذا فالسلام عليكم ورحمة الله

ـ عليكم السلام ، ارنا وجهك .

عليك مسحة رضى ، من تكون ·؟

ـ رجل حدثه قلبه انه يستطيع ان يامن لكما .

ـ أنت صادق القلب فتكلم .

ـ إن كنتما تتطلعان نحو الآفاق فانـــا مثلكما ، ولكن نظرتى إلى الأعالى ... الدنيا عندى جسر نحو الكمال ، ولهذا فان الكمال هو هدفى ... اما بعد هذا فملعونون انتم ايضا ان كنتم فى حقيقتكم من الشياطين الخرس او من هيئة المرتزقة .

ـ بل كنا نتاهب لكى نغنى للفجر اغنية فتعال إذن وغن معنا .

ـ وماذا تقول اغنيتكم ·؟

ـ نحن ننشد الفجر .

ـ مؤمنين ·؟

ـ مؤمنين بان هذا ممكن .

ـ ما ابعدكم عن الفجـــــر إن كنتم تنشدون شيئا خارج انفسكم .

ـ تعال نبحث عما وراء اللعنـــات .. ليقترب مجدافك من مجاديفنا .

التحم بهما ملاح الزورق الثالث متوقد النظرة ، خفيف الروح على بدانته الظاهرة ... لكان يده تلوح للمصير براية علوية ، وكانه يقبس كلماته من نار داخلية لا تخبو ... وما لبثوا ان تبينوا أن تعدد منابعهم لا يعدد الهدف .

عطاشا إلى الفجر الجديد تكلم كل واحد منهم من منبعه ، واتفقوا فى اشياء كثيرة ، واختلفوا فى اشياء قليلة . ولكن ظهر لهم ان الهدف فى النهاية واحد .

إن هو إلا فجر واحد .

إذا كان الاول قد دفع ثمن الكلمة والثانى ثمن الفعل فان الثالث قد ضحى دائما بالدنيا وما فيها من اجل القيم العلوية التى مشى عمره تحت لوائها .

عطاشا إلى الفجر تكلموا ... الا إن اشد ساعات الليل ظلمة لهى الساعة التى تسبق الفجر !

كل منهم يستطيع أن يقول إنه لم تمسه يد القرصان التى صاغت المرتزقة ونشرتهم فى طول المستنقع وعرضه .. لقد عاشوا إلى اخر الشباب أو اخر الكهولة وصاروا لزواجا واباء دون ان تتمكن اية قوة ان تنال من إصرارهم على ان لا تتلوث طهارة زوارقهم الصغيرة ، فتعانقت ارواحهم وتلامست افكارهم وتبوتقت إرادتهم .. الا يا فجر فاسطع بنورك .. الا يارياح الطهارة هبى !

تطلعوا حولهم فى لهفة .. لابد أن هناك سفنا اخرى من نوع زوارقهم تسعى خلال هذا العفن باحثة عن الفجر .. ولابد ان كثيراً من هذه السفن يقودها ملاحون من اصحاب الهمة والفتوة .. وفى البداية ارتدت إليهم نظراتهم حسيرة .. لم يروا فى ارجاء المستنقع المترامية إلا زيفا ياتلف بزيف ، وتكتلات نكراء ادهى من دعوات الفساد على النواصى ، تتواصى وتتساند .. بل دهمت لقاءهم المتوارى سفينة ترفع راية سوداء غير مستخفية ، مسطورة الشعار على مقدمتها بوضوح سافر : « اخطف قبل غيرك واجر » .. وانقض عليهم منها جمع من اقوياء الحنجرة والعضل .. لقد جاء القرصان .. فى مثل لمح الطرف فتشوا الزوارق الثلاثة ونهبوا القليل الذى وجدوه فيها ثم اختفوا امنين .. لقـــــد ذهب القرصان .

ـ هذا النوع الذى هاجمنا هو اقل سفن المستنقع خطراً .. إن هؤلاء من صغار اللصوص .. هناك سفن اكبر واذكى ، لا ترفع مثل هذه الراية الصريحـــــة .. قراصنتها المتواصون بصمت ، المتامرون فى مسوح أخرى ، يتقدمـــــون ، وينتشرون ، ويسمنون ..

فى مقدمة زورق تعس ظهرت لهم امراة يصك صوتها الأسماع وهى تلعن مستثمرى الضباب :

ـ يا ناس ! .. قرصان يقود سفينة فخمة تحمل اسم « المنجد » سلبنى وجردنى وانتم فى الأركان تتسامرون .. هل كسرتم رقاب كبيركم وصغيركم وضعيفكم وقويكم .؟ .. بأى جلود صفيقة وقلوب ميتة تعيشون هذه الحياة .؟ .

رشقت نظراتها فى عيون الرجال تسائلهم .. الم يعد يجوس خلال العفن غير هذا النوع من السفن المسموح لها بالحركة وغيرها هذا النوع من البشر الذى يستطعم النتن ولا يجد ما يشهره فى وجه الحياة غير خناجره ومخالبه .؟

هدات ثائرتها لما سمعت كلماتهم ، وتكلم الاربعة وقد تعانقت مجاديفهم حتى بدا لهم ان الضـــــباب يخف من حـــــولهم وهم يتحاورون ، وقالت المراة الشابة إنها تعلم ان زوارق اخرى كثيرة تجوب المستنقع باحثة عن دروب الفجر المضيئة ..

وجاءت من قريب صيحة يبثها صوت ثاقب :

ـ وقوفا ايها الاموات ! .. وقوفا ! .. وعلى دف الحياة الصادق اعزفوا معا لشعار المخاض الكبير ، فتاتيكم سفائن اخرى تحمل اولى العزم من المتطهرين والشهداء .. هذا الصنف لا يزال موجودا .. لستم وحدكم ..

قالت المراة وقد تهلل وجهها حتى اضاء كالشمس :

ـ هذا حق .. معنى اننا نستطيع ان نتصور وجود غيرنا من المتطهرين هو ان الواقع على مرارته يستطيع ان يخلقهم من بين كل هذا الركام الرهيب من الفساد .

وقال الكهل فى هزة سرور وهو يتحسس قيثارته :

ـ نعم .. لسنا وحدنا .. الا ســـــحقا لضجيج العالم ! .. لكم يسدل الحجب الصفيقة على اولئك الذين يرون ما للنور من جمال وعزة ، ولكم يغشى الضباب اولئك الكثيرين الذين يفتدون هذا النور بحياتهم ويحمونه من الظلمة الهادرة الكذابة .. إن الشخصيات المتوهجة التى تتطلبهـــــا منعطفات الزمان الحرجة تولد عند الحاجة إليها ، تفرزها الضرورة .

تاملته المراة وهى تساله :

ـ من انت فى الحقيقة ومن هؤلاء .؟

ـ انا رجل صناعته الكلمة ورايته الصدق .. وهذا محارب قديم من أهل الحقيقة دفع الثمن مطمئن القلب راضي النفس .. وهذا مفكر يبلور المعنى الحقيقى لكلمة الجهاد ويؤمن بضرورة ربط المعتقد بالحياة لمواجهة الخطر الماثل فى سيادة الزيف .. اما بعد اسئلتك كلها فقولى لنا من تكونين انت .؟

ـ انا ضرورة موقف ، وشرارة حماسة .

اقتربت سفائن اخرى تتساءل مجاديفها فى لهفة :

ـ من انتم .؟ من انتم .؟

قبل أن تجد اسئلتهم رداً يشفى الغلة طغى على كل صوت فى ارجاء المستنقع نشيد منكر لعلع وتسلطن .

ـ يا قوة الضباب ، يا قمرنا ، يا بدرنا ، ياشمسنا ، يا كل النور ، من أعماق النتن الجميل نرفع إليك اغانينا ، فتقبل قرابين السالبين ودعاء النهابين وصلاة القلوب الضالة ، وأتنا ما وعدتنا جزاء وفاقا على نشاط حيتانك وحصاد قرصانك ..

لكن من قلب هيمنة النشيد الطاغى برزت مع ذلك مجاديف متناثرة تحاول أن تبلغ مكان الزوارق القليلة المتساندة كانها جزيرة صغيرة فى بحر الظلمات .

وفى مقدمة بعض هذه الزوارق التى تجاهد باستبسال واضح اطفـــــال يتصايحون وقد ملئوا باسا ورعبا :

ـ متى يطلع الفجر ؟ متى يطلع الفجر ؟
وأمهات يعانقن الصغار وتتناهى نحـــــو السماء صرخاتهن الملتاعة :

ـ هل هذا هو كل المستقبل الذى نورثه لاولادنا .؟ .. أمن الحق ان الشمس ستشرق يوما بعد يوم على هذا العفن فتجده كما كان بالامس واسوا ، وانه لن ينتج من هنا خير أبداً .؟ هل لابد للشيء الحقيقى هنا ان يتمزق ويتبدد ، وللشيء الجميل ان يموت .؟

لكن الزوارق التى كانت قليلة تضاعفت اعدادها . وتداعت صواريها ، وتناغمت مجاديفها .. وكالمشاعل ومضت العيون فى الزوارق المتلاحمة ، وسرى على الماء روح كريم تعرفه تلك البرارى السحيقة من قديم الأزل ، واندلعت الاغنية من الكل دفعة واحدة ، نافورة صدق ، كما ينبثق الماء الحى من بطن الصخور الصلدة .. وتوحدت الاغنية فى نشيد تصاعد فى شموخ حتى لطم نشيد المرتزقة والقرصان فارتطمت الموجتان على المستنقع فى لطمة زلزلته حتى اعماقه .

وفى مقدمة الزورق الذى لم يعد مغتربا تناول الكهل السعيد قيثارته الطيبة وداعب اوتارها حتى استقامت على النغمـــــة الكبرى .

سعد مكاوى

قصائد مجهولة

هذه مجموعة من القصائد القصيرة المجهولة لشاعر موهوب « سيء الحظ » عاش فى ريف مصر فى الثلاثينات والاربعينات ، ونال بعض الشهرة عندما كتب عنه « انطون الجميل » رئيس تحرير الأهرام آنذاك ، ولكن شهرة الشاعر سرعان ما انطفأت ، وضاع الرجل وشعره فى ظلام النسيان ، والشاعر اسمه « محمد السيد علي شحاته » وكان يسمى نفسه باسم مستعار هو « شاعر البرارى » .. وأرجو أن أعود إلى شعره وحياته ومأساته بشيء من التفصيل فى عدد قادم .

رئيس التحرير

فى التحية وردها

ولقد أمر ولم أحيّهمو
ما لم أجدْ لتحيتى أهلاً
تَرْك التحيةِ بعدُ أليقُ بى
من أن أحييَّ الكبرَ والجهْلاً
حيٍّ الجمادَ ، ولا تحيِّ فتىً
ردُّ السلامِ يعدُّهُ فضْلاً
إن رَدَّ كان الردُّ مقتضَباً
أو قدْ يردُّ ممدداً رِجْلاً
إن التحيةَ كالعَروسِ . إذا
أعددْتَها ، فاخترْ لها بعْلاً

يصلى كثيرا ...

عجيب يصلى الخمسَ فى أوقاتِها
ولا ذمةً فى القوم يرعَى ولا إلاَّ
أيؤذى سواهُ تحتَ ظِلِّ صَلاَتِهِ
ويحسبُها ترْضِى إلهَ الوَرَى ... ؟ كَلاَّ
إذا لم تُنَهْنِهْنَا صَلاةٌ عن الأذَى
فلا سَلَّمَ المولَى عَلَيْنا ولا صلَّى

حلو جدا

أحلَى من الماءِ الفراتِ على الظَّمَا
وألذُّ من رَشْفِ الرَّحِيقِ من اللَّمَى
رفعُ الظلامَةِ عن فتىً مُتَظَلِّمٍ
أو منعُك الظَّلاَّمَ عَنْ أن يُظْلَمَا

مر جدا

وأَمَرُّ من ظلْمِ القريبِ
ومن مُفَارَقَةِ الحبيبْ
أن يهتفَ ابنُ الفضْلِ يوْماً
بالخَسيسِ فَلاَ يُجِيبْ

الحارس

أيا حارِسَ الروضَةِ ارقُدْ فإنَّ
أقل اللصوصِ لصُوصُ الزهورْ
ويا حارس الجيفة اسْهَرْ عليها
طويلاً ، فإن الكلابَ كثيرْ

الحظ

يارُبَّ ذى مالٍ كثيرٍ فى الوَرَى
لولا تَبسُّمُ حظِّهِ لتَسَوَّلاَ
ما الإجتهادُ هو الموصِّلُ وحْدَهُ
كلا ولا العقلُ الكبيرُ ، وَلاَ وَلاَ
لم يبلغ الانسانُ أيَّةَ غَايَةٍ
إلاَّ وَكَانَ الحظُّ فيهَا أوَّلاَ

طغيان الخداع

زرعتُ فى بعضِهمْ وُدِّى وقلْتُ لَهُ
أثْمِرْ ، فقال وأيْنَ الخِصْبُ والماءُ
طغى الخداعُ فكَمْ عينٍ علانيةً
تبْدِى لك الود ، والأحشاءُ صحراءُ

أشد أنواع العذاب

كلِ العذابِ يهونُ حتى لَوْ
يحكُمُ فيكَ دونكْ
إلا عذابُكَ بالاقامَةِ
بين مَنْ لا يفهمُونكْ

لا تنخدع

رُدَّ الفتى لأصْلِهِ
لا تنخدعْ بطيبَتِهْ
واحكم عليهِ ولِهْ
من جدِّهِ وجدَّتِهْ
فكل شيءٍ فى البرايَا
فيهِ طعْمُ منبتِهْ

ماذا تبغى ؟

تبغى خُلُوَّ البالِ
طلبْتَ نيْلَ المحَالِ
لم يجتمع أىَّ يومٍ
عقلٌ وبالٌ خالِ

تقبل كلبها

ما قبلت كلبَهَا وجداً ولا ولهاً
بل قبلتِ كلبَهَا عطفا وشكرانَا
هو الوفيُّ لها - لا المغرمون بها
والكلبُ أوفَى من الانسانِ أحيانَا



اليكس هيلى .. اعطت روايته للرجل الابيض درسا فى الانسانية

غلاف رواية الجذور .. رائعة اليكس هيلى

أليكس هيلي
الفنان الذي كسب الملايين وأحدث هزة في العالم بعد رواية واحدة

بقلم : فوزي تادرس

كطفل صغير فى عمر الزغب .. وفى مساء صيف طويل تكسرت فيه كل ثانية على أوتار قلبه المرهف الرقيق .. راح اليكس هيلى ينصت بامعان الى احاديث جدته عندما كانت تتسامر فى أمسيات الليالى السوداء من عمر الزمن القاسى الذى كابده زنوج امريكا .. لقد كانت مسامراتها مع اترابها عندما كن يلتقين فى الفناء الخلفى لمنزلهم البسيط فى حى « هننج » بمقاطعة « تينسى » . لقد كانت نبرات أحاديثهن تعتريها نغمات الحزن الدفين وتسودها الكآبة القاتمة .. ويروح كل منهن يهمس بشفتيه بكلمات واسماء لاشخاص عاشوا ماضيهم الاسود فى لون بشرتهم ، وأماكن لم يفهمها الطفل الصغير اليكس هيلى .. وكل ما كان يعيه باحساسه البرىء أن الرجال البيض قد اساءوا وعذبوا اجداده السود واضطهدوهم .. ولم يستطع الطفل الصغير فى ذلك الوقت أن يفسر لماذا كل هذا الاضطهاد .. لماذا يقع كل هذا التعذيب على اجداده .. ولماذا كان هذا الهوان .. ؟!!

كل ما كان يعيه الطفل اليكس هيلى فى ذلك الوقت انه عندما يذكر اسم « الافريقى » يجد أن الجميع يذكرونه باحترام بالغ .. بحب .. بشفقه .. بدموع تعبر عن مشاعر مكبوته .. وعرف الطفل فى ذلك الوقت ان الماسا « تاجر الرقيق » وكان اسمه « جون والتر » قد احضر « الافريقى » على ظهر سفينة نقل العبيد إلى ميناء « سبوتسلفانيا » بولاية « فرجينيا » ليقابل مصيره المجهول وعبوديته المقدرة التى فرضها عليه اخوه « الانسان الأبيض » .

ويروح الطفل اليكس هيلى يرهف السمع باذنيه .. ويقشعر بدن الطفل ، ويرتجف قلبه ويغوص بين قدميه عندما سمع ان « الافريقى » قد حاول الهروب اربع مرات .. لكن قدره « الاسود » يشاء له ان يفشل فى محاولته .. ولما بلغ به الضيق مداه .. وانفجر الغيظ المكبوت بين ضلوعه ، إذ « بالافريقى » يثور ويحاول أن ينتقم من الرجال البيض الذين يقيدونه عقب كل محاولة للهرب .. واخيرا قرر « البيض » أن يقضوا على محاولات الهرب نهائيا ، باحدى طريقتين : إما بان يخصوه .. او ان يبتروا قدمه بفاس كبيرة ، وكرجل .. يرضى « الافريقى » بـ « الطريقة » الثانية ! .

طلاسم مقدسة

ويعرف اليكس هيلى من خلال ما حدث لـ « الافريقى » بعد ان قطعت ساقه .. وشلت محاولاته .. اخذ يعمل فى منزل « تاجر الرقيق » حيث قابل الطباخة « بل » وحدث بينهما لقاء روحى وعاطفى . ويبدو انه كلل ذلك الحب بالزواج .. فقد انجب منها ابنته « كيزى » . ويخبر « الافريقى » ابنته « كيزى » باسمه الحقيقى وهو « كونتا كنتى » وليس « توبى » . وراح يحكى لها ماساته الدرامية عندما اختطفه تجار الرقيق حين كان يقطع الأشجار فى الغابة ليصنع منها طبلة يرفه بها عن نفسه فى موطنه الاصلى مهد طفولته ومرتع صباه ..

ويعرف الطفل اليكس هيلى من خلال ما سمعه من احاديث جدته العجوز ان « كونتا كنتى » كان يردد بعض الكلمات امام ابنته « كيزى » ، وانه كان يشير دائما إلى آلة موسيقية ويذكر كلمة « كو » ويشير باصبعه فى احاديثه إلى نهر هناك فى افريقيا ويقول « كامبى بولونج » ، وعرفت « كيزى » كثيراً عن والدها .. وانها قد بيعت الى تاجر الرقيق « توم لبا » والذى اعتدى عليها ، وانجبت منه اول مولود لها اسمته « جورج » والذى اصبح معروفا فيما بعد بـ « تشيكن جورج » .

وتمضى السنون .. وتمر الأجيال .. ويتوارث اجداد هيلى هذه الكلمات الغامضة وكانها طلاسم مقدسة لاسطورة تنتظر التفسير .. وأن يكون تفسيرها على عاتق هيلى نفسه .

يستمع هيلى الى هذه الطلاسم وغيرها .. ويحفظها عن ظهر قلب فى طفولته .. وينمو الطفل ويشتد ساعده .. وتنمو معه رغبته فى الوقوف على سر هذه الطلاسم .. فذكريات امسيات « الطلاسم » تقلقه .. إنها باقية فى وجدان ضميره .. ويقع هيلى فريسة التفكير والتساؤلات ما هى هذه الطلاسم .. وما جدواها .. ماذا كان وراءها .. علاقتها بماضيه ، وبايام اجداده السالفة ؟! لقد عاشت معه هذه الطلاسم تلح عليه كى يجد لها حلا .. عاشت معه ولازمته حتى بلغ سن الخامسة والاربعين ..

عشر سنوات فى البحث عن الجذور

واخيرا .. وبعد معاناة طويلة .. وفى امسية يوم سبت من عام ١٩٦٥ كان « هيلى » يسير أمام دار المحفوظات الوطنية فى واشنطن .. وإذ به يتخيل صوت جدته العجوز يحثه على الدخول الى الدار ليفتش بين مستنداتها عن اصوله العائلية وعن « جذوره » .. وهناك فى قاعة المطالعة الرئيسية يقابل امين المحفوظات ويحدثه « هيلى » بما يعتلج فى صدره .. وعما سمعه من احاديث جدته .. وطلب من امين القاعة مساعدته .. وبعد بحث طويل بين محتويات الدار وأرشيفها وجد أن عليه ان يسافر إلى « الامانس كونتى » فى ولاية « كارولينا الشمالية » ليطلع على تعداد سنة ١٨٧٠ . ويطير « هيلى » إلى « نورث كارولينا » ويجلس أمام جهاز الميكروفيلم فى صمت رهيب .. ويروح يقرا وثيقة تلو الاخرى ، ويداه ترتعشان وهو يدير جهاز الميكروفيلم .. إنه يسترجع سنوات وسنوات مضت من تاريخ اسرته واذا بعينه تقرا اسماء « توم مورى » و « ايرين مورى » وعشرات غيرهما وفى « نورث كارولينا » استطاع ان يعرف بعض المعلومات التى اضاءت له بحثه ..

ويعود هيلى إلى جدته لتطلب منه ان يبحث عن اصوله ويقف عليها ، ولو كلفه ذلك النفس والنفيس ..

ومنذ تلك اللحظة قضى « هيلى » عشر سنوات من البحث الجاد المضنى تحت وطاة الرغبة الاكيدة للوقوف على ماضيه وأسراره ، وللتعرف على عذابات اهله ، ومعاناتهم منذ لحظة « اغترابهم » فى الولايات المتحدة ، وافتراقهم عن الاهل والعشيرة فى موطنهم الاصلى افريقيا .

ويروح « هيلى » يتفق مع دور النشر الكبرى لكى تتولى مساعدته فى مشروع بحثه عن « جذوره » فامدوه بالاف الدولارات التى ساعدته ليواجه نفقات عمله .. فقد اطلع « هيلى » على مستندات نقل العبيد فى تلك الفترة ، وعلى حركة نقل السفن التى اقلتهم من ارضهم الغالية وعرف مواعيد وموانى قيامها من افريقيا .. ومواعيد وموانى وصولها بالولايات المتحدة .. وعرف اسماء ركابها وعدد « رؤوسهم » .. واخيراً قرر « هيلى » أن يسافر إلى موطن « الافريقى » الاصلى . وقبل سفره قابل « هيلى » احد الاساتذة المتخصصين فى الدراسات واللهجات الافريقية .. وعندما ذكر له « الطلاسم » التى كان يسمعها من جدته العجوز .. عرف منه ان اجداده كانوا يتكلمون بلهجة « الماندكا » وهى اللهجة التى تستعمل الآن فى الجزء الغربى من « جامبيا » فكلمة « كامبى بولونج » تعنى « نهر جامبيا » . ويعرفه الأستاذ المتخصص ايضا ان كلمة « كو » هى لفظه اخرى لكلمة « كور » وهى تعنى آلة موسيقية ..

ولقد كان « هيلى » حتى ذلك الوقت قد استلم ٨٠٫٠٠٠ دولار من الناشرين انفقها كلها فى البحث والسفر والمقابلات الكثيرة التى اضطر اليها ليقابل اقاربه العبيد المنتشرين فى كل الولايات المتحدة ..

اخذ « هيلى » يعد نفسه ، ويتاهب للسفر الى افريقيا « السوداء » .. فقد حجز للسفر على ظهر سفينة نقل اسمها « افريكان ستار » وعلى ظهر السفينة اخذ « هيلى » يسرح بمخيلته . وتتجاوز افكاره حدود الافق المترامى البعيد .. تماما مثل الحقيقة التى يبحث عنها الفلاسفة فى رحلة شكهم . ويقف « هيلى » لينظر الى نجوم السماء التى ترشد ربان السفينة فى رحلته .. ويقارن « هيلى » بين السفينة التى تقله الآن والسفينة التى اقلت اجداد اجداده .. ويطوف بخاطره احساس بالشفقه والرثاء عندما يتيقن الفارق الكبير بين السفينتين . فهذه سفينة تحمل ما يقدر بالملايين من البضائع ، اما سفينة العبيد التى اقلت اجداده فقد كانت

أليكس هيلي
الفنان الذي كسب الملايين وأحدث هزة في العالم بعد رواية واحدة



بطل مسلسل الجذور « كونتي كنتي » .. الـــذى ما إن بلغ السادســـة عشر ، حتى ذهب إلى الغابة ليقطع الخشب ، ومنذ ذلك الحين انقطعت اخباره

تقل « رؤوسا » مشتراه من اسواق النخاسة بابخس الاثمان !!

عندما فكر في الانتحار

وتمضي السفينة به تشق عباب البحر .. ويقف صاحبنا على سطحها يصلي للسماء أن تكشف له الطلاسم .. وإذ بعينيه تمتلأن بالكآبة الواسعة في اتساع الأفق المترامي الأطراف امامه .. ونفسه تهدر مثل الموج .. واذ بفكرة الانتحار تلمع في خاطره وتلح عليه بان يلقي بنفسه في البحر ليرتاح من العذاب النفسي ، والمعاناة اللامتناهية .. وحتى يتخلص من الديون التي اقترضها وانفقها عليه الناشرون حتى يستطيع أن ينشر ملحمته .. خواطر عجيبة بالانتحار لقد طالت مدة البحث وكثرت عليه الديون ، ومضت عشر سنوات من عمره في بحث دائب ، عاشها بين امال كبار وبين خيبة رجاء . وبين هذه وتلك عانى إحساس الامتهان امام الحاح الناشرين ومطالبتهم لان يرد إليهم أموالهم .

ولقد كان مجرد تفكيره في الانتحار يعطيه شعور الارتياح ويبعث في نفسه روح الطمأنينة . كانت أصداء فكرة الانتحار والخلاص من العبودية هي نفسها تلك الافكار التي كانت تراود أجداده في الانتحار عندما انتزعهم تجار الرقيق من بين ابنائهم واكبادهم وساقوهم نحو البحر لتنقلهم السفن في رحلة عذاب طويل انعدمت فيها الانسانية ، واهدرت معها الشعور بالادمية .. لقد كان يهيأ له أن اصوات « كونتا كنتي » وزوجته ، وبل ، وتشيكن جورج ، كلهم يصرخون يمدون اليه أياديهم التي انهكتها سلاسل القيد الثقيلة . خيل إليه أن عيونهم تذرف الدموع تحت قدميـــــه كي يبقى .. أن لا ينتحر .. أن يعيش حتى يصـــــل إلى « جذوره » . وبين هدير الموج .. وصراع النفس يحس « هيلي » بمسئوليته العظمى نحو اتمام عمله لكي يخرج إلى النور . والغريب في الأمر أن الصراع الذي وقع في قلبه ، لم يكن صراعا نفسيا فحسب ، لكنه كان ايضا صراعا جسديا ، فكم من مرة اراد « هيلي » أن يبتعد عن سور السفينة الذي يستند ويقبض عليه بيديه . كم من مرة يشد نفسه في مقاومة بالغة يريد ان يبتعد عن الســـــور دون ان يتخطاه .. دون ان « يعبره » ويلقي بنفسه في اليم الواسع .. لقد كان كل هذا الصراع النفسي والجسدي يجري واذنه تسمع كورس صوت اجداده يجلجل في اذنه مع هدير الموج ، كي يكمل سيمفونيته الحزينة في معركة ضارية . لقد كان إيمانه العظيم بالعمل الملقى على عاتقه .. بتفسير الاسطورة التي يعيشها وعاشها من قبل اجداده حتى يكشف عن أصل الادمية المهدره .. وان يصل الى اصل « اليد السوداء » متمثلة في العمل العبودي الذي ينتهجه الرجل الابيض مع اخيه الاسود .

وفي صراعه بين ان يلقي بنفسه ، وبين أن يعيش .. إذا بجسده يهوي على ارض السفينة ولم يستطع بعدها الحراك .. واذا بنور الفجر ينسج طريقه في عتمة الظلام الأسود ليبدده ..

ومما لاشك فيه ان فكرة الانتحار كما راودت « هيلي » قد راودت من قبله « كونتا كنتي » . ولكن السلاسل كانت تمنعه من أن يرتكبها وتجبره على ان يعيش في عبودية مقدره ، نعم فلم يكن « الافريقي » حرا حتى في اختيار الموت كحل لعذاب مرير .. كان قدره ان يعيش وان يعيش في عبودية .. وشتان بين « كونتا كنتي » الذي ارغم على العيش في عبودية ، وبين « هيلي » الذي يعيش ليكتب في حرية عن العبودية .. وشتان بين حرية الارادة ، وقســــــوة العبودية .

هيلي يصل إلى القرية

واخيرا يصل « هيلي » إلى « جوفور » ويجد نفسه محاطا بكل سكانها والذي يبلغ

عددهم حوالى سبعين نسمه .. يجمع بينهم مظهر خارجي واحد هو اللون الأسود الداكن ، والقلب الأبيض من الداخل .. لقد كان هؤلاء ابناء عمومته وخؤولته لأجيال سبعة مضت .. وينظر « هيلى » إلى لون بشرته ويقارن بينه وبين لون بشرتهم . ويتملكه شعور غريب بالجرم .. لقد شعر « هيلى » انه غريب عنهم .. وكأنه هجين او مولد . فقد كان لونه خمريا .

خفف من غلواء شعوره الغامض الغريب ترحيب ابناء عمومته وحــلاوة ابتسامتهم وبراءة عيونهم . وفرحتهم بمجيئه إليهم من العالم الآخر .. ولقد ادى ذلك الفرح والحفاوة به إلى زوال تلك الكآبة النفسية التى ظللته على سطح السفينة .. وردت إليه روحه ..

كان لزاما على « هيلى » من اجل ان يحصل على اية معلومات خاصة بنسبه وسلالته وجذوره ، كان عليه ان يقابل « الراوى » وهو اكبر شخص فى القرية يحتفظ بذاكرة قوية ، درب منذ صغره على ان يحفظ تاريخ العائلات .. فهو بالنسبة لهم ـ بلغة العصر ـ بنك معلومات .. ومن اجل ان يقابله كان لزاما عليه ان يركب مركبا كبيرا ياخذه الى نهر جامبيا .. ومعه سيارتان واربعة عشر رجلا من بينهم مترجمان واربعة موسيقيين لان « الراوى » لا يمكنه ان يقص حكاياته التاريخية ويستعرض السلالات العائلية بدون ان تصاحبه الموسيقى ..

يحكى الراوى مواويله واشعاره الشعبية التى تتضمن سيرة اجداد «هيلى» وعائلة « كونتا » ، ومنها يعرف « هيلى » ان اصلها الاول جاء من « مالى » وكيف انهم هاجروا إلى « موريتانيا » واستقروا اخيرا فى « جامبيا » .. وكان الرجال منهم يعملون فى مهنة الحدادة ، وهى .. المهن المحترمة ـ حسب الاعتقاد الشعبى القائل إن الحداد يهزم النار ويطوع الحديد .

وكان النساء يعملن فى صناعة الفخار .. وكان « كونتا كنتى » مسلما تقيا رحل إلى « جامبيا » . عاش أولا فى قرية « بكالن نج » ومنها إنتقل إلى « جفور » . وفى « جوفور » تزوج امراته الأولى الماندكية وكان اسمها « سيرنج » ، وانجب منها طفلين احدهما « جانه » والآخر « سالوم » . ثم تزوج مرة ثانية من امراة اسمها « ييسا » وانجب منها « أمورو » .. ثم تزوج « امورو » من « بنتا » وانجب منها اربعة ابناء هم « كونتا » ، « لامين » ، « سوادو » ، و«ماري».

وعندما بلغ « كونتا » السادسة عشر ذهب إلى الغابة ليقطع الخشب . ومنذ ذلك الوقت انقطعت اخباره .

ويتعجب « هيلى » من قدرة «الراوى» على إعادة احداث التاريخ الطويل لأجيال مضت باحداث وحياة افرادها .. ودقائق اعمالهم ..

أعظم الروايات العالمية

إن رواية « جذور » تعتبر من اعظم الروايات العالمية التى كتبت .. ليس بسبب الدراما التى تضمها والآلام التى تشرحها والمعاناة التى عاشها افرادها .. ولكن بسبب انها فتحت جزءا من التاريخ ظل مغلقا لمئات السنين .. وكشفت النقاب عن الاسطورة الكاذبة التى سيطرت على معظم الامريكيين البيض الذين اشتروا اكذوبة ان الافريقيين الذين وصلوا إلى امريكا سرعان ما اغتسلوا من كل الذكريات القبلية التى جاءوا منها اصلا .. وانهم قد فقدوا اسماءهم وشخصيتهم .. وانهم لم يكونوا يملكون ثقافة ولا تاريخا ، ولم يعرفوا القراءة والكتابة .. ونسوا ان « كنتا كنتى » كان يعرف العربية ، وانه ذهب إلى المدرسة ليتعلمها ..

لقد فتحت «جذور» الآفاق امام الباحثين والانثربولوجيين والفولكلوريين واللغويين والأدباء وغيرهم لدراسة الأدب والثقافة الأفرو ـ امريكية .. ولقد وضعت «جذور» حدا ونهاية لما كان يكتب عن افريقيا من صور مشوهة .. لقد كان معظم الذين يكتبون عن افريقيا ليسوا افريقيين .. حقيقة كان هناك البعض منهم موضوعيا ومتعاطفا مع التجربة الافريقية .. لكن البعض الآخر استغل افريقيا كستارة خلفية عندما كان يصورها تعيش فى همجية وذات انماط بدائية ليبرر بطريقة رمزية اغتصاب الاستعمار الأوروبى والأمريكى الذى سارت فيه القارة السوداء .

لقد بينت «جذور» انه ليس من السهل على الأديب الأوروبى او الأمريكى ان يكتب عن افريقيا من اجل افريقيا نفسها . وبقى ذلك حتى ظهر الكاتب الافريقى نفسه على مسرح الآداب .. فنحن الآن نرى الروايات المكتوبة بواسطة كتاب من كينيا مثل «جيمس نجاجى» فى روايته «لا تبك ايها الطفل» والتى تصف وطنه اثناء ثورة ماو ماو من خلال رؤية طالب صغير فى المدرسة . وكما ظهر من نيجيريا على يد كاتبها «إسى سى اوزوديما» فى عمله الرائع «نباحنا الميت» وكما ظهر فى غانا على يد كاتبها المعروف «اى كوى ارماه» فى عمله «الجميلون لم يولدوا بعد» ، والتى تضع روايته الى جانب «جيمس جويس» وروايته «صورة الفنان فى شبابه» .

وبظهور هؤلاء الكتاب الافريقيين يكون عصر تشويه صورة افريقية قد انتهى مما كان يكتب عنها بواسطة كتاب غير افريقيين .

ومن ناحية اخرى ، إن رواية «جذور» حطمت الأكذوبة التى تقوم على التفرقة العنصرية بأن السود يستمدون ثقافتهم وقوتهم المعنوية من الرجل الابيض ..

ولقد اعطت «جذور» الرجل الأبيض درسا فى العلاقات الانسانية التى ذبحتها جريمة التفرقة العنصرية التى يرتكبها الانسان الأبيض «المتحضر» .

إن الجاحظ ـ الكاتب العربى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى تنبه الى ثقافة الرجل الأفريقى الأسود .. فراح يحلل الشخصية الافريقية وانماط سلوكها ومزايا لونها .. ومزاجها .. وحبها للموسيقى وللغناء وللرقص .. لقد فهم الجاحظ الشــخصية الافريقية ووظيفتها الاجتماعية وعلاقتها بالمعتقدات الشعبية وقيمها الخلقية ، وترابطها القبلى والعائلى فكتب لنا رسالته «فضايل السودان على البيضان» التى سبقت الانثربولوجيين المحدثين بعشرة قرون من الزمن . دحض فيها نظرية تفوق الرجل الأبيض عن الرجل الاسود واتهامه له بالعجز الذهنى وحب الجريمة والشر .

وهكذا التقى «هيلى» باقاربه الذين تجمعوا حوله .. وكانوا جميعهم نصف عراة .. وراحوا يصلون الى الله فى ضراعة وباللغة العربية «حمدا لك يا الله الذى أعدت الينا الرجل المفقود منا» .

وهكذا ايضا قضى «هيلى» الأيام فى سعادة بالغة مع «جذوره» وعندما حان يوم العودة .. وقف «هيلى» مع ابناء عمومته وخؤولته ليودعهم الى أرض اغترابه .. وعندما هم «هيلى» بدخول السفينة .. اخذت الدموع تترقرق من عيونهم البريئة وسمعهم يقولون له بصوت حزين متهدج «وداعا يا مستر كونتا كنتى» «وداعا يا مستر كونتا كنتى» .

وبعد .. فان « أليكس هيلى » الذى علم نفسه الكتابة اثناء عمله كموظف مغمور بـ « خفر السواحل الأمريكى » لمدة عشرين عاما ، استطاع فى عام ١٩٥٩ أن يصبح كاتبا ومحققا صحفيا . وكتب مؤلفه الأول بعنوان « قصة حياة مالكولم إكس » . لكن العالم القارىء والمشاهد عرف « أليكس هيلى » بعد أن قدم روايته « الجذور » ، وانتشرت عبر ملايين النسخ من الكتب وحلقات التليفزيون .. مثلما منحته الشهرة والملايين .

فوزى تادرس
جامعة قطر

الدراما التليفزيونية والالتزام الفني

بقلم : مرزوق بشير

تمثل المسلسلات الدرامية الجزء الأكبر على مساحة الخارطة اليومية لبرامج تليفزيونات المنطقة ، ونسبة هذه المسلسلات تفوق نسبة البرامج الاخرى وخاصة البرامج الثقافية .

وتمثل هذه المسلسلات بايجابياتها وسلبياتها زاداً ثقافيا يوميا تواجهه العائلة الخليجية باختلاف مستوياتها الثقافية والاجتماعية ، بل اصبحت هذه المسلسلات بديلا رئيسيا للكتاب ، والصحيفة ، والمجلة ، خاصة إذا وضعنا فى اعتبارنا نسبة الأمية العلمية والثقافية فى هذه المجتمعات .

وخطورة تاثير هذه المسلسلات إيجابا وسلبا واضحة وجليه فى التغير الاجتماعى والسلوك العام والخاص فى حياة الفرد او حتى العائلة ... على سبيل المثال لعبت هذه المسلسلات باطروحاتها المختلفة على تغيير المظهر الداخلى للمنزل الخليجى الذى اصبح تقليداً لما يشاهد على شاشة التليفزيون ... بل ان الأمر يصل إلى اكثر من ذلك . اصبحت القصص واسلوب عرضها وطريقة السيناريو المكتوب فيه واضحة فى كتابات بعض ابناء الخليج الذين يكتبون القصة او المسلسلات التليفزيونية .. حيث يتضح ذلك التاثير فى الميلودرامات الرخيصة ، والبناء الدرامى المرتجل . وتاثير المسلسلات التليفزيونية يذهب بعيداً اكثر من ذلك عندما اثر ويؤثر على نمط تصرفنا وسلوكنا ولغة احاديثنا اليومية .. بل على طريقة افكارنا وطريقة إتخاذ القرار،وهذا التاثير يتضح فى اى حوار يحدث بين افراد العائلة الواحدة ، او بين الزوج وزوجته ، مباشرة او من خلال التليفون .. يتصرفون تقليدياً بما شاهدوه فى مسلسلات سابقة بل يكاد الامر يذهب إلى استحضار بعض العبارات من حوار مشهد درامى تليفزيونى . وبالطبع هذا التاثير الدرامى للمسلسلات التليفزيونية يرجع لعدة اسباب سنكتفى بالحديث عن إحداها وهى الطريقة التى تكتب بها هذه المسلسلات .

والمشكلة تبدا من البداية حيث ان تليفزيونات المنطقة وتحت ضغط الساعات الطويلة للارسال التليفزيونى اليومي ، ولعدم وجود متخصصين بشكل جيد على قائمة المراقبات الدرامية . ولو كان هناك متخصصون فان الخطة الدرامية غائبة .. تحت هذه المسببات وغيرها اصبحت تليفزيونات المنطقة كالوحش الجائع او الشره ، الذى يبتلع كل ما تقع عليه يداه فاختلط الحابل بالنابل والغث بالسمين . هذه الفرصة الذهبية اغتنمتها شركات إنتاج قامت اساسا بالصدفة ومن اجل الاثراء السريع على حساب امة نامية بغض النظر عن قيمة الانتاج الذى يقدمونه وبعيداً عن المبادىء والمثل والقيم الانسانية بل وبعيداً عن الشعور بالوطنية وبالمسئولية نحو المساهمة فى بناء هذا المجتمع وتوجيهه التوجه السليم .

إذن ساهمت ضغوط ساعات الارسال اليومية الطويلة ، وقيام اصحاب المنافع الخاصة بالسيطرة على قطاع الانتاج الدرامى فى انتشار مسلسلات رخيصة ورديئة جداً من ناحية الموضوع الذى تطرحه ، او من ناحية البناء الدرامى ، او طريقة طرح ذلك الموضوع . واصبح تقييم هذه الاعمال فى تليفزيونات المنطقة على حساب الساعة الواحدة بغض النظر عن محتوى هذه الساعة ونوعية العمل المقدم من خلالها .. بمعنى اخر اصبح الحساب هو الكم على حساب النوع .. ولقد اثر هذا التقييم الزمنى على طريقة وبناء وطرح الموضوعات الدرامية وعملية اختيار هذه الموضوعات .. فما دام التقييم مرهوناً بزمن ومدة العرض فهذا لا يمنع من وجهة نظر المنتجين من حشو هذه الساعة بمحاورات ساذجة وايقاع بطيء للعمل ، وتعبئة الموقف الواحد بمواقف فرعية لا تخدم الموقف الاصلى .. وتحريك بطيء للكاميرا ، وتحريك ابطا لتطور الاحداث او الفعل الدرامى ، واختيار مقدمات طويلة لاسماء الممثلين والفنيين ، مع خلفية لمقدمة غنائية طويلة جداً ، وفى هذا المناخ من الفبركة والافتعال الدرامى يضيع الموضوع الاصلى إذا كان هناك موضوع اصلا ، وتحت ضغط حشو هذه الساعة الدرامية يضطر المؤلف – إذا كان هناك مؤلف اصلا – إلى اختيار الفاظ ومحاورات ساذجة ، ومواقف ساذجة ورخيصة ، تؤثر بالتالى على سلوك وتصرف وتفكير المشاهد الخليجى الذى يتصور وبشكل مقدس ونهائى بان كل ما يعرض وما يقال على شاشة التليفزيون هو الحق بعينه .. وتؤثر هذه الطريقة الابداعية الجديدة على اسلوب الكتابة للجيل الجديد من شباب الخليج الطامح فى الكتابة للتليفزيون ، وبهذا تتكرر الماساة التى سوف تمتد إلى المستقبل إذا لم نوقفها ونواجهها .

إذن المطلوب اولا التزام فنى من قبل هؤلاء المنتجين ... ولا اقول التزام اخلاقى او التزام سياسى .. الالتزام الفنى هو المقدمة الاولى لبقية الالتزامات . فاذا عجزنا عن تحقيق ابسط الالتزامات وهو الالتزام الفنى فانه من المستحيل تحقيق بقية الالتزامات الاخرى .

وحتى نصل إلى تحقيق ما يسمى بالالتزام الفنى فاننى ارى من القائمين على مسئولية الاقسام الدرامية فى تليفزيونات الخليج اتباع التالى :

- إلغاء نظام التقييم بالساعات

ومحاولة ايجاد نظام اخر للتقييم يقوم على فرز ما هو جيد ، وما هو مضر ، وذلك باستقطاب ابناء المنطقة والمختصين فى مجالات الدراما القادرين على التمييز بين السيىء والحسن من المسلسلات الدرامية .

● ان تقوم اجهزة اعلامية خليجيـــــة كالانتاج البرامجي المشترك وتليفزيون الخليج بتحمل عبء الانتاج الدرامي وتحت اشرافها المباشر .

● ان نقوم من الآن وبواسطة المؤسسات العلمية كالجامعات مثلا او مراكز التدريب بطرح مواد علمية لتدريب وتاهيل كتاب دراما خليجيين على اساس علمى وموضوعى وإرسالهم فى دورات خارجية إلى الدول التى سبقتنا فى هذا المجال .

● ان يقوم نوع من التنســـــيق بين تليفزيونات المنطقة مشتركة فى مواجهة الشركات الانتاجية الغير ملتزمة ووضع قوائم مقاطعة لها يلتزم بها الجميع مع تشجيع الشركات الانتاجية الملتزمة فنيا واجتماعيا ووضع قوائم شرف لها وتشجيعها معنويا وماديا .

● ان تقوم اجهزة التليفزيون نفسها بانتاج مسلسلات خاصة بها .. هذا الإنتاج يجب ان يكون محليا من خلال ورشة عمل درامية داخل التليفزيون تبدا من تاليف النص حتى يصل إلى المشاهد ، وتحت الاشراف والمتابعة المباشرة من إدارات التليفزيون .

بهذه التصورات وبغيرها تســـتطيع التليفزيونات فى منطقة الخليج ان تلعب دورا ثقافيا هاما وحقيقيا داخل المجتمع الخليجى .. دورا مازالت المؤسسات العلمية الأخرى عاجزة بعض الشيء عن تحقيقه . وهذا ايضا سوف يؤكد دور التليفزيون كجامعة شعبية مفتوحة للجميع ، ومن اولى صفات الجامعة الالتزام .. فهل سيتحقق .؟! .

لبنان

شعر : إبراهيم العريض





لَبْنَانُ يَا بُقْعَةً أَقَامَتْ ... للثلجِ عَهْداً مِنَ الجِنَانِ
تُطِلُّ مِنْهَا عَلَى البَوادِى ... جِبَالُهَا ، والفَضَاءُ خَانِ
لم يحتَفِزْ كابْنِهَا انْفِتَاحٌ ... حتىَّ تَرَامَتْ بِهِ المَوَانِى
يَجْمَعُ شَمْلَ ذَاتِهِ ، فِى ... إِطَارِ مَنْ ضَاقَ بالمَكَانِ
وَعَاشَهَا غُرْبَةً بِقَلْبٍ ... يَخْفِقُ لِلأَهْلِ وَالمَغَانِى
كَانَ كإِطْلَالَةٍ مِنَ الغَرْ ... بِ تَكْشِفُ الشَّرْقَ للعَيَانِ
وَجَالَ يَسْعَى للرِّزْقِ دَهْراً ... فَعَادَ يَسْعَى للإِحْتِضَانِ
يَنْتَظِمُ الحىَّ كلُّهُم لِلـ ... ـنَّاقُوسِ فى الحَىِّ والأَذَانِ
مَزَّقَ أَهْلُوكِ يا صَحَارَى ... مَا عَاشَ يَبْنِيهِ مِنْ كَيَانِ

ومحاولة ايجاد نظام اخر للتقييم يقوم على فرز ما هو جيد ، وما هو مضر ، وذلك باستقطاب ابناء المنطقة والمختصين فى مجالات الدراما القادرين على التمييز بين السيىء والحسن من المسلسلات الدرامية .

● أن تقوم اجهزة اعلامية خليجيــــة كالانتاج البرامجي المشترك وتليفزيون الخليج بتحمل عبء الانتاج الدرامي وتحت اشرافها المباشر .

● أن نقوم من الآن وبواسطة المؤسسات العلمية كالجامعات مثلا او مراكز التدريب بطرح مواد علمية لتدريب وتاهيل كتاب دراما خليجيين على اساس علمى وموضوعى وإرسالهم فى دورات خارجية إلى الدول التى سبقتنا فى هذا المجال .

● أن يقوم نوع من التنســــيق بين تليفزيونات المنطقة مشتركة فى مواجهة الشركات الانتاجية الغير ملتزمة ووضع قوائم مقاطعة لها يلتزم بها الجميع مع تشجيع الشركات الانتاجية الملتزمة فنيا واجتماعيا ووضع قوائم شرف لها وتشجيعها معنويا وماديا .

● أن تقوم أجهزة التليفزيون نفسها بانتاج مسلسلات خاصة بها .. هذا الإنتاج يجب ان يكون محليا من خلال ورشة عمل درامية داخل التليفزيون تبدا من تاليف النص حتى يصل إلى المشاهد ، وتحت الاشراف والمتابعة المباشرة من إدارات التليفزيون .

بهذه التصورات وبغيرها تســـتطيع التليفزيونات فى منطقة الخليج ان تلعب دورا ثقافيا هاما وحقيقيا داخل المجتمع الخليجى .. دورا مازالت المؤسسات العلمية الأخرى عاجزة بعض الشيء عن تحقيقه . وهذا ايضا سوف يؤكد دور التليفزيون كجامعة شعبية مفتوحة للجميع ، ومن اولى صفات الجامعة الالتزام .. فهل سيتحقق . ؟! .

لبنان

شعر: إبراهيم العريض





لَبْنَانُ يَا بُقْعَـــةً أَقَامَتْ ... للثلجِ عَهْداً مِنَ الجِنَـــانِ
تُطِلُّ مِنْهَـــا عَلَى البَوادِى ... جِبَالُهَا ، والفَضَـــاءُ حَانِ
لم يحتَفِزْ كابْنِهَا انْفِتَـــاحٌ ... حتَّى تَرَامَتْ بِهِ المَـــوَانِى
يَجْمَعُ شَـمْلَ ذَاتِهِ ، فِى ... إِطَارِ مَنْ ضَـــاقَ بِالْمَكَانِ
وَعَاشَـــهَا غُرْبَةً بِقَلْبٍ ... يَخْفِقُ لِلأَهْـــلِ وَالْمَغَانِى
كَانَ كإِطْلالَةٍ مِنَ الْغَــــرْ ... بِ تَكْشِـــفُ الشَّرْقَ للعَيَانِ
وَجَالَ يَسْعَى للرِّزْقِ دَهْـــراً ... فَعَادَ يَسْـــعَى للإِحْتِضَانِ
يَنْتَظِمُ الحىَّ كلَّهُم لِلْـــــــ ... ـنَّاقُوسِ فى الحَىِّ والأَذَانِ
مَزَّقَ أَهْلُوكِ يا صَحَـــارَى ... مَا عَاشَ يَبْنِيهِ مِنْ كَيَـــانِ

قِراءَةُ القُرآنِ وَلهْجَةُ أوْلادِ البَلَدِ

بقلم : كمال النجمي

أعيش فى القاهرة منذ خمسة وأربعين عاماً تقريباً .. حينما قدمت إليها من صعيد مصر الأعلى قبيل الحرب العالمية الثانية اثارت انتباهى لهجة القاهريين التى تختلف عن لهجتنا نحن أهل الصعيد الأعلى « محافظة قنا » فى نطق بعض الحروف ، فضلا عن جرسها الصوتى الذى يجعل لها فى السمع رنيناً موسيقياً خاصاً كان أهل الصعيد يفتتنون بعذوبته ، ومازال لهذا الترنيم الصوتى وقع خاص فى أسماع كل من ينطق العربية ولهجاتها العامية ، من المحيط إلى الخليج ! ..

... وخلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وفد على القاهرة مليون عامل من الصعيد والوجه البحرى ، تختلف لهجاتهم عن لهجة القاهرة ، كثيراً او قليلا .. وحاولوا ان يتاقلموا فى القاهرة ، فتكلموا اللهجة القاهرية بلكنة صعيدية ، او « فلاحية » ـ اى من الوجه البحرى ـ وبقيت السنتهم ترتضخ لكناتهم الاصلية ، فى لهجتهم القاهرية المستعارة ... دالة عليهم بغير خفاء ! ..

وفيما يخصنى .. فانى بعد سنوات من الانغماس فى أحياء القاهرة الشعبية وغير الشعبية ، فى صحبة شداة الشعر والادب الناشئين حينذاك ، استطعت ان اتبين الفروق بين لهجات الاحياء والطبقات القاهرية المتنوعة ، وربطت بين هذه الفروق وبين تاريخ التكوين السكانى والاجتماعى للقاهريين الذين لم يتح لهم ان يكونوا جماعة ثابتة طوال الف سنة ، منذ انشا « جوهر الصقلى » القاهرة معسكراً للخليفة الفاطمى وجنوده .. فلبث تكوينها السكانى يختلف من دولة إلى دولة ، ومن عصر إلى عصر .. يفد إليها العسكر الغالبون ، ويخرج منها المغلوبون ، ويأوى إليها المهاجرون ، ويفارقها الباحثون عن حظوظهم فى ارض الله الواسعة ، ويستريح فيها الحجاج فتعجب بعضهم فلا يفارقها ، ويلم بها العلماء والتجار والمغامرون ، ويجيء اليها الناس من اقصى ارض الاسلام شرقا وغربا ..

فاذا قرات تاريخ القاهرة . الفيته تاريخ مصر العربية الاسلامية ، و « من لم ير مصر لم ير عز الاسلام » ! .. هكذا قالوا قديما .. وكان المؤرخ ابن تغرى بردى موفقا حين اطلق على تاريخه هذا الاسم المسجوع : « النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة » .. كانما كانت القاهرة عنده هى نصف مصر ! .. وكان الناس قبله وبعده يسمونها « مصر القاهرة » .. وهم موفقون فى هذه التسمية ايضا .. وتاريخ ملوك مصر وملوك القاهرة هو عنوان التاريخ المصرى ولكنه كل التاريخ ..

وعندما استقرت الكيانات القومية فى النظام الدولى العالمى خلال القرن التاسع عشر ، وتم تجديد المعنى القانونى الدقيق لكلمة « الوطن » و « الدولة » .. انصهرت فى القاهرة ـ منذ عهد محمد على باشا الكبير ـ جميع سلالات الهجرات المستقرة فى القاهرة من جميع انحاء بلاد الاسلام والعرب وغيرها .. فسكان القاهرة هم احفاد كل هذه السلالات ..

وخلال مائة سنة تقريبا بعد عهد محمد علي الكبير ، تلاشى من القاهرة الكلام التركى والجركسى ، وسادت اللهجات



جامع الأزهر .. يرجع إليه وإلى رجاله الفضل فى توحيد لهجات القاهرة الشعبية والقاهرة غير الشعبيـــــة على مر الزمـــان

المحلية المتفرعة من اللغة العربية ، ولكن التباين بين الطبقات ، والاختلاف بين مناطق المدينة وصناعات اهلها ومعايشهم واصولهم البعيدة ، جعل لكل حى تقريبا جرسا خاصا من النطق والكلام . وكانت اللهجة المسماة حتى الآن باللهجـــــة « البلدية » هى ابرز لهجات القاهرة ، وإن لم يكن ارقها والطفها رنينا ، فهذه اللهجة هى لهجة غالبية سكان القاهرة الذين يسمون « اولاد البلد » .. وهم المقابل الطبقى لمن كانوا يسمون « أولاد الناس » .. فان أولاد البلد استوطنوا القاهرة منحدرين من سلالات شعبية : فلاحين ، وعمال ، وصانعين فى أزقة المدينة ، يجرى فى عروقهم دم عربى ومصرى قديم ودماء أخرى كثيرة .. اما « اولاد الناس » فهم سلالات السلاطين والامراء والمماليك التركمان والجركس الذين اضطرتهم الدنيا اضطرارا ـ بعد زوال سلطانهم ـ إلى الاختلاط ببقية سكان القاهرة ، ثم الاندماج فيهم ، حتى ضاعت آثارهم ..

ثم نسي الجميع معنى اصطلاح « اولاد الناس » وصاروا يطلقونه جزافا على كل ابناء الاسر الميسورة أو المستورة الحال ، ومازال هذا المعنى قائما إلى يومنا هذا ..

وقرات انه قبل أن يتم شق الشوارع الفسيحة فى القاهرة وانتظام المواصلات بين احيائها فى عهد الخديو اسماعيل ـ منتصف القرن التاسع عشر تقريبا ـ كانت اللهجات متنوعة بين الأحياء الشعبية ، ففى حى « بولاق » تعبيرات لا تقال فى حى « الجمالية » مثلا .. وفى « الحسينية » اصطلاحات لا يعرفها حى « مصر القديمة » .. وفى حى « السيدة زينب » وحى « الحســــين » تعبيرات واصطلاحات أخرى .... وهكذا ..

واعتذر إليك ـ عزيزى القارىء ـ فليس هذا بحثا فى التاريخ ولا فى التكوينات السكانية .. ولا فى اللغة واللهجات ! ..

ثم نواصل ما كنا فيه ..

بين لهجتى ولهجاتهم

● فى أواخر الثلاثينات أخذت أنـا الفتى القادم من صعيد مصر ، المولع باللغة العربية ولهجاتها ، اقارن بين لهجتى ولهجات سكان القاهرة وقد صاروا كتلة شعبية واحدة متماسكة فى مدينتهم الجميلة الخاصة بهم وان كانت عاصمة لمصر كلها ، مفتوحة للزوار ليلا ونهارا وهم يومئذ اقل عددا من نزلاء فندق كبير واحد الآن ، فى المدينة الهائلة التى يسمونهـــا « القاهرة الكبرى » ..

وبدا لى أن لهجة « الســـــيدة » و « الحسين » و « الأزهر » و « الغورية » و « الجمالية » و « القلعة » و « الحسينية » و « زين العابدين » و « مصر العتيقة » ، تحمل آثارا واضحة جدا ذات دلالة دينية وتاريخية وقومية عميقة .. فما هى تلك الآثار ؟! ..

ـ إنها آثار القراءات القرآنية السبع ، بل العشر التى كان قراء القرآن الكريم فى الأزهر يملاون بها جو هذه الاحياء منذ نشىء الجامع الأزهر قبل الف سنة .. أو ـ على الأقل ـ منذ اعاده السلطان المجاهد الظاهر بيبرس إلى دوره الدينى الكبير ، بعد ان هزم التتار واعاد الخلافة العباسية قائمة فى مصر ، بعد سقوطها فى بغداد ..

فهذه الأحياء نشأت وتراكمت تدريجيا حول الجامع الأزهر ، ومنه تعلم سكانها على اختلاف البلدان التى قدموا منها ، كيف ينطقون العربية ، لا باللهجات المحلية المتضاربة التى جاءوا بها من المشرق والمغرب ، ولكن بالقراءات الصحيحة للقرآن الكريم كما سمعوها وتشبعت بها أسماعهم لادمانهم سماعها من علماء الأزهر وقرائه وطلابه ومجاوريه ليلا ونهاراً ..

وإلى الأزهر ورجاله هؤلاء ، يرجــــع الفضل فى توحيد لهجات القاهرة الشعبية والقاهرة غير الشعبية على مر الزمان .. مع قيام الطابع الخاص للهجات الأحياء المحيطة بالأزهر ، اللائذة به وبما ينطلق من ألسنة شيوخه المبجلين ! ..

إن مفردات اللهجات العامية لا تختلف إلا قليلا من مكان إلى مكان فى مصر كلها .. ولكن طريقة الكلام ولهجته اختلفت بين ابناء الوطن الواحد من الاسكندرية إلى أسوان ، لأسباب متفرقة ولكنها تجتمع لتعمل عملا واحداً ، ومن اقوى هذه

الأسباب اختلاف لهجات بطون القبائل العربية التى نزلت بانحاء مصر شمالا وجنوبا ..

بعض هذه القبائل احتفظ بقاموس اللغة الفصيحة كاملا تقريبا ، ولم يفقد إلا « النحو » وبعض الصرف ، وان بقي من النحو أثر واضح فى طرائق تعبيرهم ، وذلك لصحة تصريف كلماتهم واشتقاقها .. فتراهم يلحنون وكانهم لا يلحنون ، لسلامة أصول كلماتهم وتعبيراتهم ..

ولم يلبث المواطنون الذين نزلت هذه القبائل بينهم أن تكلموا بلغتها فصاروا مثلها ، بل صاروا منها وصارت منهم لا فرق بينهم وبينها ، وبخاصة بعد أن ربط الاسلام بين غالبية الناس ..

ولا أذكر انى سمعت فى قريتى بالصعيد كلمة غير عربية ، إلا بضعة عشر لفظا فى مصطلحات الحياة اليومية ، من مخلفات العهد العثمانى ..

ومن ذكريات صباى ، انى رأيت والدى ـ رحمه الله ـ ينظم قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، فتوقف عند كلمة « العاقول » وقال لأخيه وكان شاعرا أيضا :

ـ أتظن أن نبات « العاقول » الشائك الذى تأكله الابل على مقربة من بيوتنا ، مذكور فى المعاجم ؟!

قال عمى :

ـ لابد انه مذكور فيها لان جميع كلامنا عربى ، ولكن .. هل كانت العرب تســـميه « العاقول » أو « العقول » كما ينطقه أهلنا الآن بدون مد العين ؟! ..

قال والدى :

ـ أرجو أن يكون اسمه « العاقول » لان وزن قصيدتى لا يستقيم إلا بذلك ! ..

وكان ـ رحمه الله ـ ينظم قصيدته هذه من بحر « الكامل » ومطلعها :

ذكر المقـــام وحجر اسماعيلا
فبكى وهل يشفى البكاء غليــلا ؟!

والبيت الذى فيه تلك الكلمة :

لا يعـــرف السلطان ممن دونه
إلا سوائم تخضم العـــاقولا

وقد وجد فى القاموس أن « العاقول » هو نبت شوك ترعاه الابل ، تماما كما هو فى لغة عامة أهلنا الفصحاء ، إلا أنهم ينطقون العين فى هذه الكلمة خطفا بغير مد ! ..



الشيخ سيد درويش .. التزام باصول المقام مع سطوة سليقة

تراث لغوى واحد

لاشك أن اللجهات بين القـــاهرة والاسكندرية .. إلى أسوان ، يجمعها تراث لغوى واحد يتمتع بثبات هائل ، لا يمكن اقتلاعه من جذوره ، ولا حتى تقليمه من فروعه على النحو الذى يحلم به بعضهم ممن ينسجون على منوال غلاة المبشرين الأجانب الكارهين لأمتنا ولغتنا ..

ولكن لكل منطقة عندنا وضعا خاصا بلهجتها ، صنعته عوامل كثيرة من التاريخ الطويل ..

وفى منطقة « القاهرة » ارتبط تكوين لهجات القاهرة بالأثر الدينى العميق للأزهر وعلمائه وطلبته فى سكان الأحياء المحيطة بالأزهر ، ثم فيمن يليهم ..

وقد تأملت طويلا الاسطوانات القديمة للمغنين والمنشدين القاهريين ، وأكثرهم تعلموا فى الأزهر وحفظوا القرآن ، فوجدتهم ينطقون الحروف كما ينطقها قراء القرآن الكريم .. ومخارجهم اللفظية تختلف قليلا عند الغناء عن مخارج الألفاظ عند القراء ، وحتى الحروف التى تغيرت فى اللهجة العامية كحرف الجيم وحرف القاف احتفظت فى اللهجة القاهرية بجرسها الأصلى تقريبا ..

وكنت مرة اتحدث مع الموسيقار محمد عبد الوهاب عن قصيدة شوقى « يا جارة الوادى » التى غناها عبد الوهاب قبل خمسين عاما ، فسألنى عما لفت نظرى فيها فاجبته إن أهم ما لفتنى بعد جمال الصوت والتلحين والشعر ، طريقة نطقه ، وبخاصة نطقه لحرف « الراء » فانه ينطقه كالقراء الحريصين على القراءة بطريقة « ورش » .. وكان ورش ـ رحمه الله ـ من أصل مصرى معروف ، وهو من أشهر أصحاب القراءات السبع أو العشر ..

فحين غنى عبد الوهاب قصـــــيدة « يا جارة الوادى » فى آخر العشرينات كان نطقه هو « ابن البلد » المصرى .. وكانت لهجته هى لهجة « باب الشعرية » التى ولد فيها ونشأ وتعلم الغناء .. لهذا كان نطقه لحرف « الراء» فى هذه القصيدة نطقا سليما كانه نطق « المقرئين » مع انه فى غنائه ملتزم باصول المقام الذى يغنى فيه كل الالتزام ، وقد لعب بالراء فى قول شوقى : « ولقد مررت على الرياض بربوة » ولكن هذا اللعب الغنائى لم يفسد نطقه لحرف الراء على أصله الذى انتقل إليه من شيوخه الأزهريين ! ..

كذلك كان يفعل فى الغناء جميع معاصرى عبد الوهاب ومن كان قبله أمثال سيد درويش ، وسلامة حجازى ، ومحمد العجوز ، ويوسف المنيلاوى ، وعبده الحمولى وغيرهم .. دعك ممن كانوا مشايخ كأبى العلا محمد ، واسماعيل سكر ، وعلي محمود مثلا ..

بل كانت منيرة المهدية وطبقتها من المغنيات ينطقن كذلك ، وهن من أشباه الأميات ، وإنما أتيح لهن ذلك لانه من لهجتهن التى طبعن عليها ..

هؤلاء المغنون والمغنيات نماذج قليلة جدا ذكرناها لشهرتها ، ولكنا نقصد عموم القاهريين فى تلك الأيام ، وهم كل سكان

الأحياء الشعبية ومن تحدروا من اصلاب اهلها ..

فهؤلاء كان الأزهر ملهمهم فى النطق ـ نقصد نطقهم لهجتهم العامية لا الفصيحة فقط ـ ولكن هذا النطق لم يكن وحده النطق الصحيح ، وإنما افضنا فى الحديث عنه ، للمعنى التاريخى المتعدد الجوانب فيه ، ولبيان أثر الأزهر فى شعب القاهرة .. حتى فى نطق الحروف ..

إن أم كلثوم المشهود لها من الجميـــع بالفصاحة التامة فى العربية والعامية لم تكن من مدرسة الأزهر فى النطق ، لانها لم تكن قاهرية ، وانما هى من « الدقهلية » البعيدة عن الأزهر ..

وكانت ام كلثوم ـ لهذا السبب ولاسباب اخرى تتعلق بعبقريتها التى لا تتكرر ـ أول من خرج فى الغناء المصرى المعاصر بالقاهرة عن لهجة الاحياء الشـــعبية القاهرية الأزهرية الأصل .. إلى لهجة الاحياء القاهرية التى كان يسكنها السراة والاعيان ويقل فيها تاثير النطق الأزهرى ، مع ان ام كلثوم نشات فى بيئة تتلو القرآن وتحترف إنشاد القصائد الدينية ، ولكن بيئة الأزهر ذات الاثر الهائل ، كانت شيئا اخر لم تعرفه ام كلثوم ، وقد احدث هذا انقلابا فى نطق المغنين والمغنيات تاثرا بام كلثوم ، وساعد على ذلك « انقلاب » المجتمع نفسه من عصرإلى عصر ..

والواقع ان اختلاط نطق القراء بنطق اولاد البلد القاهريين ، قد تداخل فى احاديث حياتهم اليومية ، وامتزجت طرائق النطق بغير نظام ثابت ، مما احدث بعض التشويه فى لهجات هؤلاء المواطنين ، ولهذا استعمل مخرجو المسرح والسينما منذ بدايتهما فى مصر هذه اللهجات لتجسيم شخصية « ابن البلد » تجسيما كاريكاتيريا .. ومازال المخرجون يفعلون ذلك فى السينما والتليفزيون والاذاعة والمسرح ..

فى الماضى كان اولاد البلد يذهبون إلى الجامع الأزهر للشـــــكوى من الـــولاة العثمانيين وعسكرهم ، ويدور الحوار بين المشايخ بلهجتهم التى تركت فيها تلاوة القرآن الكريم اثراً واضحا ، وبين اولاد البلد الذين تاثرت لهجتهم العامية ـ وهم اميون ـ بلهجة المشايخ العلماء .

وكان الولاة يلجاون احيانا للمشايخ لتهدئة أولاد البلد حين ينتفضون ويغلقون حوانيتهم ويقيمون المتاريس فى الحارات والازقة ..

وذلك كله أعطى لهجة أولاد البـــلد ما أعطاها من تميزها على مر الايام ، بما يشوب هذا التميز من خشونة فى ناحية وظرف ورقة فى ناحية اخرى .. وصحة نطق فى نواح كثيرة ، وخطا فى بعض النواحى

ثم استدارت الدنيا ، واظلتنا مرحلة جديدة من التاريخ ، وهبط إلى القاهرة ملايين المواطنين من اقاليم مصر ، حتى صار سكان القاهرة الأصليين أقلية فيها ، والاغلبية من القادمين إليها من الاقاليم .. وهذه هى القاهرة الكبرى الآن ..

فلما تسمع الآن لهجة أولاد البلد على « اصولها » ، فان لهجة القاهرة تصنعها يوما بعد يوم نتائج الاختلاط بين عشرة ملايين اجتمعوا فيها من انحاء مصر .. والنطق فى قاهرة الملايين العشرة يتاثر سريعا باللهجات التى يسمعونها من الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح .. فهذه الاجهزة تطبخ الآن لهجة جديدة مشتركة لسكان القاهرة ، بل لسكان مصر جميعا ..

والناس يسمعون القراء من الاذاعة والتليفزيون فلا يتاثرون بمخارج حروفهم كما كان الأجداد يتاثرون ، لان الصلة كانت قديما صلة حياة هؤلاء بحياة هؤلاء ، وليست مجرد صلة قارىء بمستمع ينتظر الفقرة التالية من برامج الاذاعـــــــة او التليفزيون ! ..

وهذا ما استحدث للناس عادات لغوية جديدة متحركة غير ثابتة ، تكاد تتغير كل بضع سنوات ، وكانت فى الماضى ذات ثبات عظيم ! ..

● ●

ساورتنى هذه الخواطر وانا اجول على قدمى فى الزحام ، من « الغورية » إلى « الأزهر » إلى « الحسين » إلى «الجمالية» إلى « الحسينية » ، عائداً بعد الجهد إلى « السيدة زينب » ، ماضياً إلى « القلعة » ، حيث استرحت قليلا فى ظل مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، تلك المدرسة ذات الروعة الفائقة .. والمسجد الجامع النادر المثال ..

تذكرت صلة اولاد البلد بمشايخ الأزهر القدماء الذين كانوا يتلقنون منهم مبادىء النطق ، ولو بغير علم ولا هدى ! ..

كانت صلة بالغة القوة والعمق فى كل حال ، وعلى تقلبات الدول والأيام ! ..

« فى حوادث سنة ١٧٩٠ كثر اعتداء احمد اغا الوالى على اهل « الحسينية » من حبس وضرب ونهب ، فثاروا واغلقوا الدكاكين والأسواق ، وذهبت منهم طائفة كبيرة إلى الجامع الأزهر ، وصعدوا المنارات وهم يصرخون ، وأبطلوا الدروس ، فطمانهم الشيخ العروسى شيخ الجامع . وبعد مباحثات ومراسلات ، ركب المشايخ إلى بيت البكرى وحضر هناك اسماعيل بك والتزم بعزل الوالى ، وانتهى الامر بعزله ونزل الوالى الجديد من الديوان إلى الأزهر وقابل المشايخ واسترضاهم » ! ..

وتوالت الذكريات على خاطرى كما سجلها الجبرتى فى تاريخه :

« فى سنة ١٨٠٥ حضر اهالى مصر القديمة إلى الجامع الأزهر يشكون ويستغيثون من افعال الجند الدالاتية واعتداءاتهم ، حيث احتلوا دورهم ونهبوها وسبوا نساءهم ، فركب المشايخ إلى الباشا وخاطبوه فى الأمر ، فكتب فرمانا بخطه للدالاتية بالخروج من بيوت الناس والكف عن الاعتداء ، فلم يمتثلوا ، فغضب المشايخ وتركوا الجامع واوقفوا الدراسة ولزموا بيوتهم واقفل غالب الاسواق ، ولما تفاقم عدوان الدالاتية فى القاهرة والاقاليم القريبة واشتدت الأزمة ، طلب الباشا القضاة والعلماء فابوا الذهاب إليه ، ثم ساروا بصحبة السيد عمر مكرم إلى محمد علي وطلبوا منه ان يقبل الولاية » ! ..

وقبل محمد على الولاية ! ..

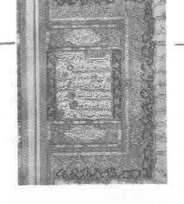
ومنذ ذلك الحين انطلقت عوامل التاريخ تعمل عملها فى لهجة القاهرة ولهجات مصر كلها .. ولم تكن اللهجات هى التى تتغير ، بل كان الزمان ، ولكن أين يمضى التغير بالانسان ؟ ! ..


كمال النجمي


ام كلثوم .. لم تكن من مدرسة الأزهر فى النطق !

محمد عبد الوهاب .. كانت لهجته هى لهجة « باب الشعرية » !

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي



الغارمون

● جاء مفهوم الغارمين – فى القرآن الكريم – فى مصارف الزكاة : فى قوله تعالى :

« انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل » (التوبة : ٦٠) .

وفى عد الغارمين – وهو جمع غارم – ضمن من تصرف اليهم الزكاة : ما يفيد ثلاثة امور :

الأمر الأول : انهم افتقروا فاصبحوا فى حاجة إلى المال ، فجعلوا ممن يعوضون من الزكاة .

الأمر الثانى : انهم غرموا من اموالهم فى خير عام ، والا لما كانوا من بين المستحقين للزكاة .

الأمر الثالث : ان غرمهم من اموالهم فى سبيل الخير العام كان بارادتهم ، والزامهم هم : انفسهم ، والا لتحمل غرمهم : من كان سببا فيه .

فالغارمون هم فريق من المؤمنين يسعى بينهم بالصلح ، ويسد الثغرات التى تفتحها الخلافات والخصومات . وفى سعيهم بين المؤمنين قد يتحملون غرما ، اى دينا من مالهم الخاص ، لعلاج هذه الخلافات والخصومات : كان يتحملوا دية قتيل .. او حقا لأحد الطرفين على الآخر . وبسبب تحملهم هذا الدين قد يصبحون من ذوى الحاجة . ولانهم تدخلوا بما يرفع الشقاق بين المؤمنين ، ويعيد الترابط والمودة على اساس من الايمان بالله : كانت الجهة التى تغطى حاجتهم فى نظر القرآن : هى بيت المال . والزكاة هى الرافد فى تكوينه .

ونصت اية الزكاة على الغارمين – كما نصت على بقية المستحقين لها – حتى لا يقع تغيير فى مصارف الزكاة . وبذلك يبقى الحافز لأصحاب الهمم العالية من جانب ، والاثرياء من جانب آخر ، على التدخل بين المؤمنين لازالة ما يقع من سوء بينهم ، ولو كان هذا التدخل على حساب اموالهم .

وفى هذا المعنى ما يروى عن رجل جاء يسال النبى عليه الصلاة والسلام من الصدقة . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يرض بحكم نبى ، ولا غيره فى الصدقات ، حتى حكم فيها هو ، فجزاها ثمانية اجزاء . فان كنت من تلك الأجزاء اعطيتك حقك » .

● وينقل حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم يحدد ثلاثة انواع من اصحاب الحاجة ياخذون من الزكاة . ولكن من بينهم نوع واحد ، وهو نوع الغارمين : ياخذ كل ما تحمل من دين . اما النوعان الآخران فياخذ كل منهما ما يسد حاجته . يروى عنه عليه السلام قوله : « ان المسالة (اى السؤال) لا تحل الا لأحد ثلاثة :

« رجل تحمل حمالة (اى تحمل دينا فى سبيل الآخرين من الامة) فحلت له المسالة حتى يصيبها (اى حتى يحصل على ما تحمله) ثم يمسك » .

« ورجل اصابته جائحة (اى كارثة : كسيل .. او نار .. او جفاف .. او زلزال .. او عواصف) فاجتاحت ماله (اى هلكته) فحلت له المسالة حتى يصيب قواما من عيش او سدادا من عيش (اى ما يقيم به نفسه ويسد به حاجته) .

« ورجل اصابته فاقة (اى فقر شديد بعد غنى ويسار ، ولكن فى غير العبث والفساد) حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا (اى من العقلاء) من قومه : لقد اصابت فلانا فاقة ، فحلت له المسالة ، حتى يصيب قواما ، او سدادا من عيش » .. وهنا الزكاة اذا قامت بدور « التعويض » للاول .. فانها تقوم بدور التامين للثانى .. وبدور الضمان الجماعى للثالث .

والغارمون اذن عندما ينص عليهم فى مصارف الزكاة : ينص عليهم تقديرا لعملهم وهممهم العالية .. وتذكيرا لبقية المؤمنين فى المجتمع بان واجب التكافل يقضى برعاية هؤلاء : اذ هم قدوة طيبة : فى ايمانهم ، وفى تطبيقهم هذا الايمان فى حياتهم مع غيرهم .

واذا كان الغارمون يغطى غرمهم او دينهم من الزكاة : فاجرهم بعد ذلك على ما قاموا به من عمل خير فى سبيل امتهم ، هو عند الله وحده . اذ هؤلاء لا يرون ما ينفقونه : مغرما . ولكن يرونه قربى الى الله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ، ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء ، والله سميع عليم . ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ، وصلوات الرسول ، الا : انها قربة لهم ، سيدخلهم الله فى رحمته ، ان الله غفور رحيم » (التوبة : ٩٨/ ٩٩) .

كتاب الشهر

عرض وتحليل : فؤاد كامل

الليل ينادي الفجر

غلاف كتاب « فن الفلسفة » وهو حوار تم عبر لقاءات متصلة ومراسلات طويلة بين المفكر الياباني والمفكر الفرنسي



أزمة الحضارة المعاصرة في حوار العباقرة

نبتت فكرة هذا الكتاب الفريد فى ذهن المفكر اليابانى ديساكو اكيدا رئيس جمعية « سوكاى جاكاى » الدولية . وهى جمعية معنية بنشر العقائد البوذية وتعاليمها فى انحاء العالم ، وتضم ثلاثة عشر مليونا من الأعضاء ، منهم مليون فى العالم الغربى . وقد اسس الرئيس إيكيدا جامعة فى اليابان ، وعديدا من المدارس العليا . كما انشا متحفا شهيرا للفن هو متحف فوجى ، ونشر مجموعة كبيرة من المؤلفات ، واتاحت له لقاءاته المتعددة مع كثير من الشخصيات العالمية الشهيرة ان يحتل مكانة خاصة فى العالم الغربى .





ديساكو اكيدا مفكر يابانى ينتمى إلى الشرق

رينيه ويج مفكر فرنسى ينتمى إلى اقصى الغرب

هؤلاء هم العظام الذين تحدث معهم المفكر الياباني




هنري كيسنجر

اما المتحاور الغربى فهو المفكر الفرنسى رينيه ويج عضـــو الأكاديمية الفرنسية ، والأستاذ بالكوليج دى فرانس ، ورئيس المجلس الفنى للمتاحف القومية فى فرنسا ، وقد القى محاضرات عديدة فى أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية ، وفى اليابان ، وترجمت مؤلفاته إلى أكثر من اثنتى عشرة لغة ، وأهمها : « حوار مع المرئى » و « الفن والنفس » و « الاشكال والقوى » . وهى مؤلفات يعاد طبعها عاماً إثر عام . وجاء فى براءة « جائزة إراسموس » التى منحتها له هولندا بمدينة لاهاى سنة ١٩٦٦ أنه « خدم الحضارة الأوروبية على نحو استثنائى » .

وفى لقاءات متصلة فى فرنسا واليابان ، وخلال مراسلات طويلة الأمد ، امتد الحوار بين المفكر اليابانى الذى ينتمى إلى اقصى الشرق ، والمفكر الفرنسى الذى ينتمى إلى اقصى الغرب حول طبيعة الأزمة المعاصرة وجذورها العميقة . ولكنهما لم يتجاهلا فى هذا الحوار امال الشعوب العريضة ، كما ينبىء بذلك العنوان الذى اتخذاه لتلك المحاورات : وهى محاورات مكثفة ، واسعة الأفق ، منهجية التناول ، شاملة المضمون ، بحيث لا يستطيع ان يتجاهلها إنسان يهتم بحاضرنا المعاصر ومستقبلنا القريب .

وفى هذه اللحظة التى تتجه فيهـــا « مدنيتنا » إلى ان تصبح « عالميـــة » ، لا يستطيع إلا حوار على هذا الشكل ان يحدد الأسس التى سيتمكن بها الحاضر الذى نعيشه من استخلاص المستقبل الذى نتطلع إليه .

ذلك اننا مضطرون ـ نظرا لاتســـاع المشكلات التى تواجهها الانسانية فى العصر الحاضر ، واشتباك العلاقات الدولية وانتشار وسائل الاعلام الحديثة وغيرها من المخترعات إلى ان « نفكر فى العالم ككل » ، وهذا شىء جديد لم يحدث للانسانية فى تاريخها الطويل ، اعنى هذا الوعى الشامل بالأخطار والمشكلات التى تهدد البشرية بوجه عام . فثمة فكرة مشتركة تفرض الآن نفسها على الجميع ، وعبر المعـــارك السياسية ، والصراعات القومية العسكرية والاقتصادية ، تلوح « الأزمة العالمية » فى الأفق تدعو الشعوب جميعاً إلى التفكير فى تشخيصها وحلها ، وإلى العمل المتضامن للخروج منها ، والفكاك من اسرها .

ولهذا كان التفكير فى إجراء هذا الحوار لتكوين تلك النظرة الشاملة إلى الأزمة ، لتقصى اسبابها وآثارها ، والبحث عن وسائل الاصلاح الكفيلة بتجنب اخطارها . ففى هذا الكتاب التقاء بين فكرين ينتميان إلى تقاليد وحضارات واديان متميزة ومختلفة اشد الاختلاف . ولكنهما يبذلان عبر هذا الحوار العميق مجهوداً مشتركا صوب الموضوعية .

وقبل أن يقوم « إيكيدا » باجراء هذا الحوار مع « ويج » ، كان قد تحدث مـــع شخصيات اخرى عظيمة مثل كيسنجر وكوسيجين ، وهوا ـ هيو ـ تونج رئيس الدولة الصينية ، وكورت فالدهايم الأمين العام السابق للامم المتحدة . فهو مؤهل لاجراء مثل هذا الحوار الذى نقدمه اليوم للقارىء العربى تاهيلا طويلا . وقد خطرت له فكرة إصدار حواره مع ممثلى الفكر الغربى فى كتب متتابعة ، استهلها بكتاب « فلتختر الحرية » ضمنه محادثاته مـــع المؤرخ الانجليزى الكبير « ارنولد توينبى » (١٩٧٦ وكان هذا اخر انجاز للمؤرخ العظيم) . وكان « إيكيدا » ينوى ان يكون كتابه الثانى حوارا مع « اندريه مالرو » المفكر الفرنسى الشهير ، غير ان المنية جعلته يختار « رينيه ويج » بدلا من مالرو ، فكان هذا الكتاب الذى نعرضه اليوم . وسياتى كتاب ثالث فى هذه المجموعة من المحاورات مع « الكونت بيتشى » المفكر الايطالى المعاصر ورئيس « نادى روما » . وهو ناد معنى بالبحث عن علاج لاختلال التوازن المتزايد الذى تعانيه المدنية الحاضرة .

وهذا الاختلال الذى استفحل خطره هو الذى يجعلنا نتحدث الآن عن « ازمة المدنية المعاصرة » . فبعد أن ظل الغرب طوال قرن باكمله ينشد أغنية التفاؤل الظافر ، ودون أن يراوده ظل من الارتياب فى اسطورة التقدم المجيد ،وملحمة العلم فى تطوره المستمر ، اخذت اصداء النشيد تخفت رويدا رويدا لتتصاعد من بعده اصوات تعبر عن قلق شديد ، ترفعه خيبة امل عظيمة فى الحاضر ، ومخاوف رهيبة من المستقبل . وتنادت اصوات متفرقة تنذر بمقدم الأزمة : ازمة اقتصادية اولا ، تلتها ازمة اخلاقية ، اعقبتها ازمة فكرية ، فانتظمت اخيرا فى أزمة المدنية الغربية ، ثم اصبحت الآن ازمة « المدنية الانسانية » بوجه عام . وبعد مد التقدم حدث جزر مضاد ، نشر الشك ، واشاع القلق ، وصدم الأجيال الشابة بوجه خاص . لانها الفئة الصاعدة ، ومن ثم فهى اكثر تعرضا للصدمة من غيرها من الفئات .

ولما كانت القارات فى العهود الماضية منطوية على نفسها ، متقوقعة داخـــل مشكلاتها الخاصة ، وكان الاحتكاك بينها لا يتم إلا على فترات ، بحيث لم تكن ثمة مواجهة إلا مواجهة الأقوى بالأضعف ، فمن النزعة الاستطلاعية التى استولت على الغرب تجاه الشرق ، جاءت النزعـــة الاستعمارية ، ومع ذلك فان الشعوب التى نجحت فى الاحتفاظ بطابعها وشخصيتها وطريقتها فى التفكير والاعتقاد والحياة ، وباستقلالها الروحى ، وقد وقعت بدورها فى الاتون الضخم الذى يغلى فيه المجتمع الاقتصادى والتقنية الحديثة ، واغرتها



اندريه مارلو







هواكو فينج

ارنولد توينبى

مظاهر المدنية الغربية ان تلحق بالتقدم الذى حققته اوروبا ، وربيبتها امريكا الشمالية فتنكرت لتقاليدها واسلوبها فى الحياة وتبنت اساليب الحياة الأوروبية والأمريكية ، واعتنقت طرائقهما العقلانية الآلية فى التفكير والسلوك على السواء .

وما إن اشبعت نهمها إلى التقدم عن طريق هذه المحاكاة ، حتى لمست المثالب العميقة ، والآفات المهلكة التى نقلتها فيما نقلته عن المدنية الغربية . وهنا اصبحت تلك البلدان الشرقية شريكة فى « الأزمة » وادركت بالتالى القيمة النسبية لما فقدته . فنحن لا ندرك قيمة ما نملك إلا بعد ان نفقده . وهكذا اكتشفت تلك البلدان انها كلما اشبعت حاجاتها المادية الوضعية ، حفرت فى داخلها فراغا او خواء باطنيا . وانشات هوة ـ إن صح هذا التعبير ـ ينهار فيها ويتداعى كل ما كان يسندها ويدعمها فى حياتها الروحية السابقة . وهذان الكيانان : « المادة » و « الروح » وضعا تلك الشعوب امام اختيار صعب اليم لا مناص منه .

وقد اتاحت محاولة « إيكيدا » فى إجراء حواره مع شخصيات متنوعـــــة ، وذات اهتمامات مختلفة ـ ان يندفع بحثه فى اتجاهات متشعبة ، وان تلقى عليه اضواء متباينة . بيد ان الحوار الحالى الذى اجراه مع « رينيه ويج » يفسح مكانا خاصا للفن الذى هو مجال التخصص لهذا الأخير مما افاد الحوار فائدة عظمى ، وذلك لأن الفن بطبيعته ووظيفته يقوم على الملكات التى تعد اكثر ما تكون تعرضا للمخاطر من قبل الحضارة العقلانية الوضعية المادية الجماعية . وهى الملكات التى يعد اصلاحها واستردادها امران ضروريان لاقامة التوازن الانسانى المختل ، واعنى بها ملكات الوجدان او الحدس ، والخيال المبدع ، والحساسية والشخصية ، وإدراك الذاتى والكيفى .. وربما كان الفن هو الذى يجعل المدخل إلى قلب المشكلة يسيرا .

المتحاوران يتفقان

ولما كان من طبيعة الحوار ان يشرد ويتشعب ويتشتت ، فقد تم الاتفاق بين المتحاورين على اتخاذ خط هاد يسيران بمقتضاه ومن ثم امكن تقسيم الحوار بعد عمل المونتاج اللازم إلى ستة اقسام :

القسم الأول : ويتضمن تقرير وجود الأزمة التى يغوص فيها العالم يوما بعد يوم ، كما يبحث فى الظاهرة او فى المجال الاقتصادى الذى يتسلط اعظم التسلط على عصرنا الحاضر . وينتهى هذا القسم ببحث الأزمة الأخلاقية ، وهى اشد الأزمات خطورة ، لأنها مصدر الصراع الداخلى فى نفس الانسان . وهذا القسم يتالف من اربعة فصول .

والقسم الثانى : ويبحث فى اصول العلة . ويضعها فى المنظور التاريخى لتتبين ان هذه العلة نشات ، مع التحولات الكبيرة التى عانتها المدنية فى مراحلها المختلفة . وفى هذا اربعة فصول ايضا .

والقسم الثالث تحديد مقومات التغير الذى يتم فينا ومن خلالنا ، والتعديلات التى يراد إجراؤها فى الطبيعة الانسانيـــة التى بتر العصر الحديث بعض اعضائها الأساسية واستاصلها كما يحاول ان يتحسس الموضع الذى يمكن أن يقام فيه الثقل الكفيل باعادة التوازن من جديد إلى الانسان . ويتالف هذا القسم من ثلاثة فصول .

والأقسام الثلاثة الأخيرة مخصصة لوصف العلاج على نحو إجمالى . ويتلخص هذا العلاج فى إعادة تربية الفرد تربية منهجية . ولهذه التربية منبعان عظيمان كامنان فى الانسان احدهما يستمد تراءه من الدين ، والآخر من الفن ، والصلة بين هذين المنبعين قائمة فى الاحساس بـ « المقدس » .

وفى مواجهة المشكلات التى تفرضها الأزمة ، علينا ان نتحاشى النزعة القطعية (الدجماطيقية) التى ينحو إليها اى مذهب من المذاهب . وربما كان هذا الدرس هو اعظم ما نتلقاه من هذا الحوار : فهنا مواجهة بين فكرين متمايزين اشد التمايز ، مختلفين احد الاختلاف ، لأنهما يعكسان ذروة تراثين متباعدين احدهما عن الاخر مسافة البعد الذى يفصل الشرق عن الغرب ولكنهما يلتقيان فى نهاية الامر ، إذ يتجهان صوب خاتمة متشابهة . وهذه الخاتمة تستمد قوة البينة التى تفرض نفسها علينا فرضا ـ من تلك الثنائية التى عنها صدرت .

مدنية الاستهلاك

يقول إيكيدا إن الأزمة الراهنة التى تجتاح البشرية ليست صادرة من الخارج ، من إعصار يهب من السماء ، بل ياتى الخطر من سكان هذه الأرض الذين يتنازعون فى سباق المنافع والمصالح ، ويتصارعون على متاع الدنيا ، ويخرجون مسكنهم بايديهم ، فيهدمون سقفه ، وينزعون ارضه ، ويحطمون اعمدته ، فينتهى به الأمر إلى الانهيار .

إن تعارض المصالح هو اساس الحقد والبغضاء ، وهو الذى يؤدى إلى صناعة أسلحة الدمار ، فكل خصم يريد إبادة خصمه ، ومن هنا كان الجنون الذى يدفع

أزمة الحضارة المعاصرة في حوار العباقرة

إلى تدمير العالم . والانسان المعاصر يعانى من تدمير البيئة ، واستنزاف المواد ، والتهديد بالحرب وأهوالها . ولكننا لا نستطيع ان نابق من هذه المسكونة او نجد عنها مهربا . فلا مناص من تغيير عقلية الانسان وسلوكه تغييرا جذريا ، لتجعل هذه الدار صالحة للسكنى ، ترفرف عليها الراحة واطمئنان البال .

وقد شهدت الانسانية فى تاريخها الطويل اديانا عظمى ، بيد ان وجود هذه الأديان لم يحل دون نشوب صراعات هائلة اريقت فيها دماء الملايين من البشر . ومن ثم فان اختيار هذا الدين او ذاك بالنسبة لاحلال السلام ـ لا يعدفى حد ذاته ترياقا . ذلك أن الاختلاف فى مضمون تعاليم هذه الأديان ينعكس فى الهياكل الاجتماعية ، وفى تركيب الأفراد . ولهذا ينبغى ان نعلق اهمية مماثلة على الطريقة التى تتحول بها هذه التعاليم إلى تطبيق فى الحياة ، ومن هنا ينشأ التفاوت بين انصار العنف وانصار السلام .

ومن الطبيعى الا يكون « إيكيدا » ضد الحل الدينى للأزمة المعاصرة ، إذ يرى فى الأديان جميعا اساسا صالحا لبناء الانسان بناء روحيا يعينه على مواجهة مشكلات الحياة ، ولكن اهم ما يعنيه فى هذه الأديان ان يأتى التطبيق العملى متفقا مع العقيدة ، وفى رأيه ان البوذية حين فصلت بين المؤسسات التى تعنى بالعقيدة البوذية وبين المؤسسات التى تهتم بنشر تعاليمها ومتابعة تطبيقها فى المجتمع البشرى قد تجنبت ما وقعت فيه المسيحية مثلا عندما جعلت الكنيسة تهتم بالجانبين معا ، فكانت المخاطر التى تعرضت لها المسيحية والمجتمع الغربي على حد سواء ومن الطبيعى ايضا ـ وهو رئيس جمعية عالمية تدعو إلى البوذية ـ ان يعرض لتفاصيل مذهبه فى ثنايا الحوار بينه وبين ويج . ولكنه يفعل ذلك بروح متفتحة تتقبل الرأى الآخر فى سعة من الأفق ، وبموضوعية فى التفكير . ولن نعرض بالطبع لهذه التفاصيل فى موجزنا المقتضب عن هذا المجلد الضخم .

اما الحل الذى يرتضيه « ويج » وإن لم يكن دينيا مذهبيا ، فانه اقرب ما يكون إلى الدين ، بل إنه من الممكن ان يكون نزعة صوفية فى وحدة الوجود ، شديدة الشبه بنزعات أصحاب وحدة الوجود فى الفكر الغربى من امثال جيته ، وبرجسون ، وإكهارت .. الخ ، وفى رأيى ان فلسفة « ويج » التى عرضها عرضا واضحا فى هذا الكتاب ـ امتداد مخلص لفلسفة « برجسون » فى صدها للتيار العقلانى النفعى المادى فى الفلسفة الغربية .

والمحور الأساسى الذى تدور عليه فلسفة « ويج » فى تشخيصه للأزمة وعلاجها هو ان الحضارة الغربية فى غمرة النشوة التى انتابتها نتيجة لتقدم المعرفة العلمية وتطور التقنية ، نسيت ، اننا نمتلك حياة باطنة وروحا ونفسا ، فاهملناها جميعا ، وتركناها جائعة . وقد آن لها الآن ان تشبع احتياجاتها ، وحان الوقت لتوجيه انظارنا إلى الداخل إلى ذلك العالم الباطنى او الجوانى للحياة الانسانية . وعلى الروح الانسانية ان تتحرك وفقا لنبض الكون الذى يحقق من خلال الانسان والطبيعة ، وكل شىء . ذلك ان « ويج » يعتقد ان للكون حركة واتجاها صاعدا او ما يسميه برجسون « السورة الحيوية » . ثمة سورة او دفعة كونية صاعدة يتحرك بمقتضاها كل ما فى الكون من كائنات حية وجامدة ، وعلى الانسان أن يكتشف هذا الاتجاه الصاعد للكون ، وان تأتى افعاله وتطلعاته منسجمة مع هذه الحركة ، وما العثور على اتجاه هذه الحركة والتصرف بانسجام معها إلا الحكمة بعينها .

وآفة المعرفة العلمية التى سيطرت على العالم الغربى ومازالت تسيطر عليه ـ هى فى ظهور نتائج لم تكن متوقعة نتيجة للتقدم العلمى الذى يغفل وجود ذلك التشابك المعقد اللامتناهى للعوامل والأحداث وردود افعالها وانعكاساتها على الانسان ، بحيث يبدو الانسان عاجزا عن السيطرة على العالم المحيط به . بل إنه حتى فى مشكلة اقتصادية مثل التضخم لم يجد العالم حلا شافيا رغم انتشاره فى العالم اجمع . ولم تزد الاجراءات التى اتخذت حتى الآن إلا فى تفاقمه . وكذلك مشكلة التلوث ، ومشكلة الطاقة .. الخ .. وحالنا اشبه بحال مسافر ضل طريقه اثناء الليل . فاحاطت به جماعة من الذئاب تهاجمه من كل جانب ، فلا يستطيع لها دفعا .

ولعل أهم ما يمكن ان توصف به مدنيتنا المعاصرة انها مدنية الاستهلاك ، فكل ما فيها يتجه إلى تضخيم قدرة الفرد وارادته على الاستهلاك وإشباع حاجات الجسد ، بتوفير الغذاء والراحة وتخفيض الجهد ، والاشباع الحسى . وهذا الاتجاه إلى الاشباع الحسى يستنزف الموارد استنزافا شديدا يغيب عنه الترشيد ، واصبح العالم الآن يتحدث عن النمو من اجل النمو ، والانتاج من اجل الانتاج ، والاستهلاك من اجل الاستهلاك دون نظر إلى ما يمكن ان يجره هذا الاتجاه ، مع الانفجار السكانى ـ إلى كارثة محققة تهدد العالم كله بالدمار .

وقد خلقت مدنيتنا احتياجات جديدة تقوم كلها على استهلاك الطاقة ، بحيث تتضاعف احتياجات الدول الصناعية من الطاقة كل عشر سنوات ، علما بان الموارد الرئيسية للطاقة محدودة . ويتجه التقدم العلمى إلى استخدام الطاقة الذرية ، بيد ان هذا الاستخدام يعرض الانسانية لأخطار التلوث التى لا يعرف احد مداها .

ومعالجة هذه المشكلات كلها لا تتأتى إلا باصلاح الانسان إصلاحا عقليا عميقا ، وتنمية الوعى الذاتى بالمشكلة حتى يحد من شهواته للاستهلاك والمنافسة ، والتوصل مع الطبيعة ، بالتوسع فى استخدام الطاقة الشمسية والمائية ، والرياح ، والضغط .. الخ . وللطبيعة قوانين تعمل على إعادة التوازن ، وتنزع إلى تعويض كل تطرف بدفعة مضادة . وهذا ما يسمى فى السيبرنطيقا برجع الصدى . وما تطلق عليه الأديان اسم « العناية الالهية » . وهذه الفكرة الجديدة تتأكد صحتها فى البيولوجيا وعلم النفس ، وتقوم بتصحيح الآراء ذات النظرة الواحدة التى تتسم بها المادية العقلانية التى تدفع عصرنا إلى هاوية الضياع .

وحاجتنا إلى التواصل مع العالم ومع الطبيعة هو تعبير عن نزعة متأصلة فى الانسان إلى المشاركة فى « الكل » ، وهذا ما نادى به الرومانسيون لأنهم كانوا مبدعين فرديين يحلمون بالاندماج مع الطبيعة والفناء فيها ، وهذا التواصل هو الذى يتيح لحياتنا أن تجد معناها نتيجة للمشاركة فى الحياة « الكونية » او « الكلية » : الاتصال بالغير ، الاتصال

بالطبيعة او الأشياء ، الاتصال بالكلى بفضل منابع الفن والروح الدينية ، هذه هى اللحظات الضرورية التى تخلق فى كل منا الدورة الضرورية بين « الانا » الحريصة على استقلالها ، وبين « الكل » ، الذى هو « التفتح الأسمى » .

والحياة الحديثة تحرمنا من هذا التفتح الأسمى الكامل لطبيعتنا الانسانية ، وبهذا جعلتنا نشعر أننا اشخاص ناقصون ، بأن « عقلنتنا » شيئا فشيئا . وهذا اســـاس ما نشعر به من إحباط وغربة فى العالم المعاصر . فالاحباط مرده إلى الشعور بأن الفرد لا يمارس كل إمكانياته وطاقاته ، ولا يشبع كل احتياجاته الجوهرية ، اما الاغتراب فمرده الابتعاد عن طبيعته الحقة .

وقد استطاع « ويج » نظرا لتخصصه فى تاريخ الفن وفلسفته ان يرصد فى فصل من اجمل فصول الكتاب الارهاصات الفنية بالأزمة المعاصرة ، وبلمحات الأمل التى يمكن ان نتلمسها فى لوحات كبار الفنانين المعاصرين ، وكان أن اجمل المحاولة التى قام بها الفن الحديث فى هذه العبارة وهى انها محاولة للتحرر من ثقل المادة نحو شفافية الروح .

ويؤكد « إيكيدا » هذه النزعة فى الاتجاه نحو الروح فى الفكر الشرقى فيقول إن هذا يسعى إلى اندماج الانسان فى الطبيعة ، ومن ثم لم يستطع الشرق ان ينشىء العلوم التحليلية الحديثة القائمة على تفرقة واضحة بين الذات والموضوع . وهذه الفلسفة الشرقية ضرورية لعصرنا اكثر من اى عصر مضى . بيد أن احتكار العالم الغربى للتقنية العلمية ووسائلها الحديثة وانبهار العالم الثالث بتقدم الغرب ، جعله يحرص على اللحاق بهذه الدرجة من التقدم ، واصبح من الصعب ان نشرح لهذه البلدان النامية ان الحضارة الغربية تنطوى على مخاطر ومثالب . ولهذا يشترك العالم كله الآن فى مغامرة واحدة ، على غير ما كان يحدث فى الماضى ، عندما تنحل حضارة عجوز ، فتحل محلها حضارة اخرى فتية وهلم جرا . فلا مجال لانتظار اية بكارة او نجدة من الخارج ، بل ينبغى تركيز جهودنا على تطور الحياة الباطنـــــــة وتنميتها .

المشاركة في الحركة

وفى غمرة الاستغراق فى شهواتنا المادية البرجماتية الخسيسة نسى الانسان رسالته الحقيقية وعلة وجوده ، ولابد له من أن يستعيد سيطرته على نُفسه ، وان يعثر من جديد على معنى تفتحه وتحققه ، وان يقتحم حقبة جديدة ، ويخلق مدنية جديدة جديرة بالانسان .

وإصلاح الروح الانسانية يبدأ بلاشك من التربية بمعناها الواسع اى مجموعة وسائل الضغط العقلى التى يستطيع المجتمع استخدامها لتشكيل الفرد . ومن نافلة القول إنه لا ينبغى استخدام هذه الوسائل لاستعباد الفرد ، وغرس المذاهب والمعتقدات التى ترى السلطة او المجتمع انها الافضل . وهذا هو المحظور الذى تقع فيه ديكتاتوريات اليمين واليسار على حد سواء . وهو ما يسميه « ويج » بالضغط الايديولوجى المسبق فالتربية السليمة هى

ولن يكون ثمة تطوير او تنمية لهذه الحياة الجوانية إلا عندما تتوازن ملكات الملاحظة ، مع مواهب المشاركة والتعاطف ، ويضاف الشعور والمعاناة والحساسية إلى التصور والفكر والعقـلانية . وبهذا التوازن ندخل فى نسيج « الوجود » ، ونصبح فى اتصال عميق معه ، وهذا ما يتحقق بنوع من الحدس ، وبالادراكات الصادرة من الأعماق التى تند عن التفسير العقلانى .

والمدنية الحديثة تهدد هذا التوازن الدقيق . فهى تعمل على توكيد وتشجيع كل ما يبعد الانسان عن الطبيعة ويقطع صلته بها . فهى لم تعد بالنسبة إليه اكثر من موضوع ، او مشهد خارجى ، او فريسة وعدو . وهى تخنق فيه الأصوات التى تذكره بانتمائه المشترك ابتداء من همهمات اللاشعور حيث تتصاعد الحدوس اللامعقولة وإن تكن كاشفة ـ حتى التطلعات صوب الروحية التى تسعى بجهد فى التجاوز والعلو للانضمام إلى الوجود ، والشوق إلى وجه الله . إنها

كورت فالدهايم كان من ضمن العظام الذين تحدث معهم المؤلف



تقضى على كل الأشواق التى ليست ضروبا من النهم الاستهلاكى ، وتغلق على الفرد فى ذلك التضخم المنطقى للمبادىء المجردة والصيغ التى تغرسها فى دماغه بدقات اجهزة الاعلام الملحة حتى تنطبع تماما فى ذهنه . هذه هى المدنية الحديثة التى تتاسس فى ايامنا .

التى تغرس فى الفرد ـ على العكس من ذلك تماما ـ الاحساس بالحرية ، المرتبط ارتباطا وثيقا بالمسئولية ، وتتيح للانسان ان يمارس كل امكانياته ، وتعمل على تشجيع التفكير الكيفى على التفكير الكمى اى بعبارة موجزة إعادة الانسان إلى الباطن ، لا توجيهه إلى الخارج . هذا هو هدف التربية فى الوعى بسلم القيم لنفتح الباب للدخول فى رحاب الحياة الباطنة . والدين جناحان يمكن ن يحلق بهما الانسان إلى تلك الآفاق . ولهذا كانا ضروريين للتربية ضرورة مطلقة . وقد تنبأ « مالرو » بشىء من ذلك عندما قال : « سيكون القرن الحادى والعشرون دينيا او لن يكون ! » .

وهكذا نجد انه مهما تعددت زوايا النظر إلى مشكلات العالم المعاصر ، فانها تسلمنا إلى المشكلة الرئيسية ، وهى إعادة تاهيل الحياة الباطنة ، وإحلال الانسجام والتناغم فيها . كما نستطيع ان نتفق على إن الآفة الأساسية فى المدنية المعاصرة هى تضييق مجال الذاتية ، وتوسيع مجال الموضوعية ، واحتقار الكيف لحساب الكم .

والدور الرئيسى الذى يجب ان يعهد إلى كل إنسان ، وإلى الانسانية جمعاء إذا أرادت ان تحقق مصيرها دون السقوط فى الأزمة الراهنة او فى غيرها من الأزمات ، هو ان تنمى المنطقة الروحية فى الانسان التى نسميها « الحكمة » . فالتقدم الانسانى الحق لا يعتمد على العقل بقدر ما يعتمد على تعميق الحدس وتحسينه الكيفى .

فالكيف حركة صاعدة تلقى بالانسان على سلم للقيم بنزع بتدرجه نحو لامتناه هو الله سبحانه وتعالى . والفن والدين يقومان على السمو بالكيف الانسانى ، هذه هى المنطقة المشتركة بينهما .

ومسئوليتنا هى أن نشعر باننا مشاركون فى هذه الحركة التى لا نفهم اسبابها وإن كنا نقرر وجودها ، بل وان نسهم فيها . مادامت هى الاتجاه والمصير اللذان يتاكدان من خلال الزمان . واليس الالتقاء فى اتجاه واحد رغم اختلاف السبل علامة فى حد ذاته على وجـــود « حقيقة » واحدة ، هى « الحقيقة العليا » او الله ؟ .

فؤاد كامل

الأديب السعودي عبدالله بن إدريس :

أنا مع الحداثة في الشعر ولكني ضدّ الهلوسة المحمومة!

بقلم: خليل إبراهيم الفزيع

الشاعر عبد الله بن ادريس .. لا يقف فى وجه الحداثة فى الشعر بشرط ان يكون الشعر حقيقيا ومعبرا عن المشاعر الانسانية وقضايا المجتمع والأمة .

الحركة الادبيـــة فى المملكـة العربية السعودية تضع القارىء العربى امام العديد من التساؤلات الجادة لمعرفة المزيد من ملامحها والاقتراب اكثر من همومها .

وقد التقت « الدوحـة » بالأستاذ عبد الله بن ادريس ليلقى بعض الضوء على زوايا كثيرة يهم القارىء ان يعرف عنها الكثير ، ولان الأستاذ ابن ادريس هو رئيس النادى الادبى فى الرياض فقد راينا ان يكون سؤالنا الاول حول الأندية الادبية : هل ساهمت فى إنعاش الحركة الفكرية فى المملكة العربية السعودية ؟

قال الاستاذ عبد الله بن إدريس :

● نعم .. ساهمت الاندية الادبية او بعضها ـ على الاقل ـ فى انعاش الحركة الفكرية فى المملكة ، وذلك من خلال انشطتها المختلفة كنشر الكتب والدراسات الادبية ، والدواوين الشعرية التى تقدمها بين حين واخر . لقد طبعت ونشرت عشرات الكتب فى السنتين الاخيرتين ، وهذا فى حد ذاته تطور جيد وإنعاش للحركة الفكرية فى المملكة .

قلت : تعتمد بعض الاندية الادبية فى المملكة على الكم فى إصداراتها دون مراعاة جودة المضمون فما رايكم فى ذلك ؟

● قال: استطيع ان اجيبك على هـــذا السؤال فيما يختص باصدارات « النادى الادبى بالرياض » الذى اتشرف برئاسته ، اما الأندية الأخرى فرؤساؤها هم الذين

● إصدارات النادى الأدبى فى الرياض بلغت خمسة وأربعين كتاباً .. منها ٥٠٪ على مستوى جيد ، و ٣٠٪ على مستوى ممتاز ● ●

النقد موجود على الساحة الأدبية فى المملكة منذ ما يزيد على ربع قرن ، لكن مستواه لم يهبط إلى الحضيض إلا هذه الأيام .

يستطيعون ان يقولوا رايهم فى هذا السبيل .. !

إن اصدارات النادى الأدبى بالرياض والتى بلغت حتى يوم (١٥ ديسمبر ١٩٨١) خمسة واربعين كتابا ما بين (كتاب الشهر) او الكتب السنوية او النصوص المحققة ٥٠٪ منها على مستوى جيد و ٣٠٪ على مستوى ممتاز ، اما العشرون فى المائة الباقية فلاشك انها دون المستوى المطلوب ، ولكن عامل الحرص على التشجيع احيانا يجنى على جودة ما ينشر ، إلا ان هذا هو القليل من إصدارات نادى الرياض ، وهى نسبة ٢٠٪ اما الأندية الاخرى فلسنا مسئولين عن إصداراتها ، ولذلك فاللوم لا يقع علينا ، ويكفى ان نتحمل نتائج مسئولياتنا .

الشباب والأدب

ـ كيف يمكن تحويل اهتمامات الشباب إلى الأدب بعد انصرافه إلى الاهتمامات الاخرى ؟

● الاهتمامات التى تعنى الميول والتهيؤ لاتجاه ما .. لا تستطيع قوة فى الأرض ان تمليها وتقسر الفرد عليها . ما لم يكن فكره وذهنه مستعدا لهذا الاتجاه او ذاك .. ولعلك تعنى بالشباب هنا .. الشباب الموهوب ادبيا وليس كل الشباب طبعا .

ـ نعم هذا ما اعنيه بالضبط .

● اذن يحق لى ان اقول لك إن الاهتمامات باى امر من الامور تمليها عوامل مختلفة تتمثل فى نقاط كثيرة منها ـ على سبيل المثال ـ :

أ) ظروف امكانات العطاء الفكرى خصوبة او محلا .

ب) ظروف الأمن والاستقرار النفسى والعائلى والمعيشى إيجابيا او سلبيا .

ج) القدرة على التفاعل مع حياة المجتمع للأخذ منها والعطاء عليها .

د) وجود الحوافز المنشطة والباعثة على الأمل والدافعة إلى الاستمرار .

فاذا توفرت هذه العوامل وغيرها لدى شباب الأدب فانه يستطيع ان يوفق بين ما ينصرف إليه من امور حياته الاساسية وما يميل إلى تحقيقه على صعيد الفكر والادب (تلقائيا) وضع كلمة تلقائيا بين قوسين لانها العبارة الموجزة جدا كجواب لو نتيجة لهذه العوامل الآنفة الذكر .

النقد الأدبى

ـ ظهرت بوادر نقدية فى المملكة ، فما رايكم فيها ، وهل تعتبرونها مقدمة لظهور النقد الأدبى الذى تحتاجه الحركة الادبية فى المملكة العربية السعودية ؟

● سؤالك هذا يوحى بأن نقدا ادبيا ظهر هذه الايام فى بلادنا ، والواقع ان النقد موجود على الساحة الادبية فى المملكة منذ ما يزيد على ربع قرن .. ولم يهبط مستواه الى الحضيض إلا هذه الايام حيث اصبح من يتصدى للنقد ـ فى الغالب ـ هم الناشئة الذين لم تنضج افكارهم بعد ولم تتحدد لهم مسيرة ادبية واضحة او موهبة شعرية بارزة .. ثم إن الاسوا من هذا ان بعض هؤلاء الناشئين لم يشبوا عن الطوق .. اى طوق من يقلدونهم من اولئك الادباء والشعراء العرب الذين قلدوا هم ـ بدورهم ـ الادباء والشعراء الغربيين .. فعندنا ـ مع الأسف ـ عدد من ناشئة الأدب وان كان عددهم لا يكمل اصابع اليد الواحدة ، إلا انهم يحاولون ان يستغلوا الساحة شبه الخالية ، وينشروا افكار ونظريات (ادونيس) و (يوسف الخال) و (انسى الحاج) وامثال هؤلاء الذين اصبحوا فعلا كالغراب الذى ضيع مشيتة ولم يستطع تقليد مشية الحمامة .. !

وتكاد هذه « النتوءات » فى مجتمعنا الأدبى ان تعتبر « ادونيس » مثلها الاعلى فى الشعر تترسم خطواته فى نظرياته التى بثها فى بعض كتبه ، ولكنه ايضا لم يطبقها فى شعره ، وتحاول هذه النتوءات ان تضرب تراث الأمة الجميل الخالد وتمسحه بجرة قلم .. ولكن :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

والخلاصة انه يوجد نقد ادبى يرتفع ويهبط حسب مستوى الناقد والانتاج المنقود ، ولكنه ليس هذا الذى ينشره بعض المتادبين من الهدم والتحطيم لكل ما هو اصيل او يمت إلى التراث والاصالة بصلة .

ـ ما رايكم فى العلاقة الجدلية بين الادب والنقد وايهما يؤثر فى الآخر ، بمعنى هل النقد الراقى يوجد ادبا راقيا ام العكس ؟ .

● رايى ان النقد الأدبى مهما كان مستواه رفيعا لا يوجد الأدب أصلا ، والعكس صحيح فى ان الادب يوجد النقد .. وهل يعقل ان يوجد نقد ادبى بدون ادب منقود ؟

إن الأدب يوجد .. وقد يوجد النقد او لا يوجد ، فالامر سيان بالنسبة للشاعر والقاص والكاتب ، فهو سينتج ما تجود به قريحته وموهبته سواء ورد فى حسبانه النقد لانتاجه ام لم يرد .. وكل مهمة النقد الحفز على الاجادة وتجنب ما يمكن تجنبه من الاخطاء والضعف ومواطن المؤاخذة الموضوعية او الفنية او الشكلية ، واذن فالنقد حافز على التجويد فقط ولكنه ليس الحافز على العطاء أصلا .

الحداثة بشرط

ـ الحداثة فى الشعر .. ما موقفكم منها ؟

● الحداثة فى الشعر شىء طبيعى



ومطلوب ومرغوب ، ولكن بشرط اساسى وهو : ان يبقى الشعر شعرا حقيقيا معبرا عن الاحاسيس الذاتية والمشاعر الانسانية وهموم المجتمع والامة .. باكثر العبارات اختصارا ، واجمل الالفاظ ، وارق الكلمات ، واحلى الاساليب واجود الاداء .

والتجديد وارد فى الشعر العربى منذ عهد « مهلهل بن وائل » إلى عهد « نازك الملائكة » و « بدر شاكر السياب » وعلى امتداد زمنى طوله الف وستمائة سنة ..

وليس فى الحداثة ما هو مرفوض إلا ما هو مغاير للشعر ومختلف عنه اختلافا جذريا كهذا الهذيان والطلاسم التى يكتبها ادعياء التجديد ويزعمون انها شعر .. وهى تختلف عن الشعر اختلاف التبر عن الترب فالشعر العربى تجدد وسيتجدد على مر الأزمنة واختلاف الامكنة ، ولكنه تجديد لا يخرجه عن طابعه المتميز عن النثر ، ولا عن اساليبه الجميلة وادائه المؤثر واغراضه واهدافه التى توحى بها الفاظه وعباراته الشعرية الخاصة المتميزة عن العبارات النثرية او الصيغ الفنية الاخرى فى نسق غير شعرى .

من أهم ظواهر التجديد الحديث فى الشعر ما يسمى « بالشعر الحر » أى الذى يعتمد على وحدة التفعيلة ، وتناوح القافية .. فلا يتقيد الشاعر بعدد تفعيلات البيت الكامل على بحر من البحور الخليلية الستة عشر ، بل هو حر فى استخدام العدد المناسب منها للبيت قلة وكثرة بين الحد الأدنى وهو تفعيلة واحدة ، والحد الاقصى فوهو ثمان تفعيلات فى البيت الواحد .. وكذلك الشاعر حر فى استخدام القافية على نحو ما هو معروف عند المجددين من امثال نازك والسياب ، وعبد المعطى حجازى ، وصلاح عبد الصبور ، ومحمــــود حسن إسماعيل فى اخريات انتاجه .

وهذا هو التجديد الحديث المقبول والمعترف به من اكثرية الشعراء والنقاد العرب ، اما هذه الهلوسات المحمومة التى اصبحت تكتب فى السنوات الاخيرة باسم الشعر وهى مغايرة للشعر اسلوبا وهدفا واداء وعاجزة كل العجز عن الوصول إلى عقل وفكر وذهن المتلقى .. فهى ليست من الشعر فى شىء .. وهذا هو موقفى منها .

شيوخ الأدب

ـ انصراف شيوخ الأدب فى المملكة العربية السعودية عن المشاركة فى الحياة الثقافية .. ما هى اسبابه ؟ .

● الانصراف عن الحياة الادبيــــة ليس مقصورا على « شيوخ » الأدب بل « كهوله » وهم العابرون قنطرة ما بين الشباب والشيخوخة .. بل لقد شمل الانصراف عددا من الشباب الادباء الذين كانت لهم مشاركات إيجابية فعالة ، وكانت لهم قيمتهم فى دنيانا الادبية منذ عشر سنوات تقريبا .

ولعل لهذا الانصراف ـ وهو على كل حال ليس انصرافا كليا ـ اسبابا ليس من العسير إدراكها للمتمعن فى ظروف الحياة الجديدة وهى حياة انتقالية كانت فى السابق تتسم بالبساطة والرتابة ، واصبحت الآن معقدة تتطلب عملا لحل عقدها التى يفرضها التكوين الذاتى وتحسين الوضع المادى والاجتماعى وغير ذلك .

ـ كيف يمكن ايجاد نوع من الترابط والتواصل بين الأدباء الشيوخ والشباب ؟ .

● ايجاد الترابط والتواصل بين الادباء الشيوخ والشباب يتطلب وجود الثقة بين الجيلين ، واعتراف الشباب بفضل الرواد وعدم جحود دورهم وتاثيرهم ، كما يتطلب قبل ذلك وبعده اعتراف الشباب بفضل التراث العربى والاسلامى وجماله وخلوده وواجب التواصل بين الاصالة والمعاصرة ، اما إذا قطعوا صلتهم بتراثهم المجيد واعتبروه تراثا .. « مهترئا ومتخلفا » كما هى العبارة السخيفة التى يكررها بعض المتادبين من الشباب ، فانهم بذلك يقطعون حبل الصلة والتواصل حتما بينهم وبين الأدباء الشيوخ .

الأدب والعزلة والصحافة

ـ الأدب فى بعض البلاد العربية يعيش فى عزلة إذ لا يتسنى للقارىء فى البــلاد العربية الأخرى الاطلاع عليه ، فما هو الحل لهذه المعضلة ؟ .

● لا ارى علاجا لهذه المعضلة ـ كما تسميها ـ إلا بتكوين « شركة توزيع عربية دولية » تشترك فيها جميع البلاد العربية وتمثلها وزارات الاعلام والثقافة ودور النشر والتوزيع .. وبغير هذه الشركة لن يتواصل الانتاج العلمى والثقافى بين البلاد العربية بقدر واسع وناجح .

ـ لغة الصحافة احيانا تتساهل فى الانضباط تحت لواء اللغة العربية السليمة ، ما رايكم فى ذلك ؟ .

● اعتبر التساهل فى اللغة العربية من قبل الصحافة خطا فادحا .. لانها بذلك تساعد على إفساد الذوق الادبى الرفيع ، كما ان هذا من الادلة القاطعة على ضحالة علم وثقافة القائمين على الصحف من رؤساء التحرير إلى محررى الاخبار الرياضية .

غياب المراة

ـ هناك من يرى ان غياب المراة عن المساهمة فى بناء المجتمع يعرقل نمو بعض الفنون الادبية كالقصة والمسرح والشعر فما رايكم فى ذلك ؟ .

● قد يكون هذا صحيحا ولكن نحن بين خيارين وخاصة فى المملكة العربيــــة السعودية التى هى قبلة العالم الاسلامى ومحل الاقتداء والاهتداء بها .. خيار بالمحافظة على المثل وسلامة الأخلاق ،ولوجاء ذلك على حساب الجوانب الدنيــــوية الاخرى ..

أو خيار بالتساهل فى الجانب الدينى والخلقى والبناء الاسرى الاسلامى السليم لحساب الجوانب الاخرى ، فايهما اهم وايهما نختار ؟ .

إننى اضع السؤال لمن يريد ان يجيب عليه ..

لكننى اؤكد ان المراة هنا فى المملكة العربية السعودية تساهم مساهمة ايجابية فى بناء المجتمع فى الجوانب التى يجيزها الاسلام ، ولا تفرض الاختلاط بين الرجال والنساء ، ومن ذلك ـ مثلا ـ التعليم والتمريض والكتابة الصحفية ، والانتاج الادبى ، والأعمال الأخرى التى لا تتطلب مخالطة بين الجنسين .

شعراء نجد

ـ مضت اكثر من عشرين ســـــنة على صدور كتابكم (شعراء نجد المعاصرون) استجد خلالها الكثير من مظاهر الثقافة فى بلادنا .. الا تنوون إعادة طبعه على ضوء ما استجد فى هذا المجال ؟ .

● بلى اننى ازمع ان شاء الله اعادة

طبعه ، وكان المفروض ان اعيد طباعته بعد ثمانية شهور من صدوره حيث نفد قبل إكماله السنة من جميع المكتبات والأسواق .. وكان ما كتب حوله يشجعنى اكثر على إعادة طبعه عدة مرات ، ولكنى اجلت إعادة طبعه لأسباب شخصية ، وقد طلبت منى عدة جهات للنشر ان تتولى نشره ولكنى رفضت ذلك لانى اريد ان اطبعه واقوم بتوزيعه على حسابى الخاص . وسادخل عليه زيادات كبيرة وكثيرة إن شاء الله .

الأديب موظفاً

ـ الوظيفة احيانا تصرف الأديب عن ممارسة الكتابة الأدبية .. هل هذا صحيح ، وهل قلصت الوظيفة من اهتماماتكم الأدبية ؟ .

ـ هذا صحيح إلى حد ما ، ولكن اهتماماتى الأدبية مازالت تحتل المكانة الأولى من اهتماماتى الحيوية .. ولازلت متواجداً على الساحة الأدبية فى نشر القصائد والمقالات النقدية والاجتماعية والسياسية وغيرها ولكن بقدر اقل مما كان سابقا لأسباب ربما ورد مثلها فى إجابات سابقة .

والأدباء الذين يحاولون ان يكونوا موجودين دائما على الساحة الادبية هم احد صنفين .. إما يبحثون عن المادة والمكافأة لقاء ما يكتبون ، وإما انهم مهووسون بحب الظهور ، وحب ان يكونوا دائما فى « الصورة » وانا والحمد لله لست عاشقا لأى من هاتين الصفتين ، وان كنت بطبيعة الحال اخذ مثلهم المكافأة على كتاباتى ومشاركاتى الاذاعية والتلفازية ، ولكننى لست متهالكا على ذلك ، ولهذا تجدنى لا اكتب الا حسب « المزاج » وبتأثير التفاعل لا الانفعال أو الافتعال .. !



عبد الله بن إدريس فى سطور :

● من مواليد بلدة حرمة من مقاطعة سدير سنة ١٣٤٩ هـ .

● واصل دراسته حتى نال الشهادة العالية من كلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٧٦ هـ .

● عين مفتشا فنيا ثم مديرا للتفتيش والاختبارات فى ادارة الكليات والمعاهد العلمية .

● انتقل فى منتصف عام ١٣٧٩ هـ إلى وظيفة مدير التعليم الفنى بوزارة المعارف .

● عين أمينا عاما للمجلس الأعلى لرعاية الثقافة والآداب والفنون .

● راس تحرير جريدة « الدعوة » .

● يعمل الآن مديرا لادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، وفى نفس الوقت رئيسا للنادى الادبى بالرياض .

● اصدر كتابه « شعراء نجد المعاصرون » عام ١٣٨٠ هـ .

● يكتب الشعر الى جانب النقد الادبى والدراسات المختلفة .

إيجابيات وسلبيات

ـ الانتاج الأدبى المعاصر .. ما هى اهم ملامح ايجابياته وسلبياته ؟ .

● ملامح الايجابيات فى الانتاج الأدبى المعاصر كثيرة وكذلك سلبياته ، ولكن من اهم إيجابياته ـ فى تصورى ـ ما يلى :

اولا : خدمة الفكر العربى الاسلامى واحياء امجاده والتذكير بشوامخه المماثلة او المقاربة .

ثانيا : مساهمته ـ اى الأدب ـ فى يقظة الأمة العربية ومجابهة أعدائها باللسان والقلم والسنان جنبا إلى جنب ، وكل منا يعرف « أن الحرب أولها الكلام » . !

ثالثا : ان الادب عمل على توحيد المشاعر العربية وجعل هموم الشعوب العربية هموما عامة مشتركة بين ابناء هذه الامة .. حتى وان اختلفت الزعامات فيما بينها ، وتصارعت على كراسى الحكم .

أما سلبيات الأدب المعاصر فكثيرة هى ايضا اذكر منها :

١ ـ تأثره ـ من الجانب السلبى ـ بالغزو الفكرى الأوربى الذى اجتاح الوطن العربى الاسلامى الكبير منذ قرنين تقريبا ممثلا فى نتائج الفكر الصليبى واليهودى . التى تهدد كيان وتراث الامة واصالتها .

٢ ـ توجه كثير من انتاج بعض الشعراء والقصاصين وغيرهم إلى دغدغة الغرائز الجنسية وإفساد الاخلاق .. و .. الخ .

٣ ـ تعويل بعض الأدباء على التقليد والاقتباس من إنتاج امم اخرى لا تتفق افكارها ومبادئها ولا حتى أساليب ادبها مع طابع أدبنا العربى وبخاصة فى الشعر،

ـ الادباء الشباب .. هل تقرا انتاجهم وما رايك فيه ؟ .

● نعم اقرا إنتاج ادبائنا الشباب وادبائنا الشيوخ وبخاصة اننى من جيل ما بين الشباب والشيوخ وهم جيل « الكهولة » .. ثم إننى لست متعصبا لجيل دون آخر او فئة دون فئة ، وانما انا متعصب ـ او على الأصح ـ محافظ على الأصالة والجودة والابداع الفنى ، فهذه الصفات هى لى بمثابة المعالم التى اركز عليها فى تقويمى لما اقرا .

ـ الصحافة الادبية المتخصصة هل يمكن ان تؤدى دورها فى خدمة الأدب ؟ .

● كل جهد مخلص فى اى مجال من مجالات الحياة يؤدى دورا ايجابيا فى وضعه ومكانه .. والصحافة الادبية ـ وان شئت الدقة قلت المجلات الأدبية ـ تؤدى دورا بارزا فى دفع المركب الادبى للجريان على بحر الحياة .

وأقول بكل امانة إن مجلة « الرسالة » التى كان يصدرها احمد حسن الزيات فى الاربعينات والخمسينات من القرن الميلادى الحالى ، كانت فى تاثيرها وخلق الطاقات الادبية لا تقل عن الجامعات .. وفى وقتنا الحاضر نجد مجلات كالعربى ، والفيصل ، والدوحة ، والاقلام العراقية وغيرها تقوم بخدمة كبرى للأدب والأدباء .

ـ هل انت من المتفائلين بمستقبل الأدب ؟ .

● نعم اننى متفائل بمستقبل طيب للأدب العربى ولكن بعد ان ترسو سفن هذه الامة وتتجاوز موجات البحار العاتية .

● ـ هناك من النقاد من يرى ان الوضوح فى الشعر يجنى عليه حتى قال احدهم (الشعر الذى استسيغه هو الشعر الذى لا افهمه) فهل هذا صحيح ؟ .

● هذا تبرير يقوله احد الذين اغرموا بالعتمة القائمة فى الانتاج الشعرى الحديث إن صحت تسميته شعرا .. وهذا الشعر الذى اعنيه هو غير الشعر الحر او الشعر الأصيل ، وانما هو الرموز المطلسمة والهذيان غير المعقول .

والغموض فى الشعر نوعان :

نوع مقبول هو ما يلبس غلالة شفافة تمنع المباشرة فيه ، اما النوع الثانى فهو ما اتسم بالغموض الذى يستعصى على القارىء فهم الغرض منه وما يهدف إليه الشاعر ، بل ويصعب تجميع الصور فيه وتتناثر فيه الموحيات .

ابراهيم خليل القزيع



الطاهر وطار

صوت جديد في الأدب العربي الجزائري

لم يعد الروائي العربي الجزائري الطاهر وطار بحاجة لتعريفه الى القارىء العربي في الشرق الأوسط بعد أن أصبحت أعماله الابداعية في القصة والرواية تشكل ظاهرة ادبية متميزة برزت – أشبه بالطفرة المفاجئة – على ساحة الأدب المعاصر لتسهم في بلورة ملامح المرحلة الجديدة للفن الروائي الذي يجتاز نقطة تحول حاسمة بين عصرين تؤذن بميلاد انسان عربي جديد من أحشاء مخاض عسير في محيط الصراع بين النقائض

ساعات طويلة امضيناها في بيته في الجزائر العاصمة «نتشاكى حر القلوب الظماء» كما يقول شاعرنا القديم عبر شحنات من التوتر والتامل والاستشراف . كانت العملية الفنية عند «وطار» شاغلى الأكبر فيما دار بيننا من حديث : موقعها من المدارس الادبية الحديثة ، قدرتها على تجاوز الاشكال الكلاسيكية ، توظيف التراث العربي والعالمي في إطار قضية التراث المعاصر ، اختيار البطل : «بولرواح» في رواية «الزلزال» «واللاز» في الرواية التي تحمل اسمه و «الحاج كيوان» في روايته «عرس بغل» .

وكانت البداية حول المعركة التي تخوضها فرنسا ضد التعريب في شمال افريقيا . وتتابع الحوار ليغطى قضايا أساسية يكثر حولها الجدل . وسوف يمضى وقت طويل قبل أن تستقر المفاهيم الجديدة وتتبلور الرؤية في تجربة الابداع المعاصرة .

وفجاة التمعت في خاطرى فكرة : لماذا لاأسجل إجابات الطاهر وطار حول تجربته ولاسيما انه اطلعني على المسودات الأولية لبعض رواياته ومن بينها رسوم تخطيطية تتعلق بمعمار العمل الفني الذي يبدأ به خطوطه الاولى في الكتابة ؟ ولم اتردد رغم انها اول مرة تملكنى مثل هذه الرغبة في التسجيل ، وهى ليست رغبة بقدر ما هو شعور بالمسئولية نحو المهتمين بالرواية العربية الحديثة وبالجيل النامى من المثقفين

، وارتباط هذه المسئولية عندى بمحاولة الاسهام في دفع الحركة الفكرية والأدبية بعيداعن الشباك التي تنصب لها ليتخلى الادباء عن دورهم الاجتماعى ، تحت تاثير افتراضات زائفة للقيم الثقافية والفكرية مهمتها توليد فكر وسلوك مناقضين لعناصر واقعنا الحى وانتمائنا الحقيقى ، وبعيدين عن الرؤية الواعية للتاريخ .

الشهداء يعودون

● نعلم أن الكاتب والناشر الفرنسي مارسيل بوا ترجم لك المجموعة القصصية «الشهداء يعودون هذا الأسبوع» . وافاجأ الآن بقولك إنه أبدى أسفه لعدم ترجمة ونشر رواية «عرس بغل» التي تشكل منعرجا هاما في مسيرتك الفنية . هل هي عودة الى «الفرنكوفونية» ؟ أم أن ثمة دوافع وأسبابا أخرى وراء هذا الموقف ؟

– كانت إجابة مارسيل بوا واضحة بحيث اغنانا عن التفسير ، إذ كتب انه يأسف لعدم نشر هذا العمل لسببين هما :

١ – أن الرواية تستلهم التراث الاسلامي .
٢ – انها تتناول مرحلة الخمسينات (لا يخفى انها فترة المد التحررى الصاعد في العالم العربي خاصة وفي افريقيا عامة بل في العالم الثالث) .

ويفهم من هذا أن هنالك عناصر صهيونية تسيطر من مراكز قوة في فرنسا على الحركة الأدبية والسياسية ، فضلا عن تغلغل الروح الصهيونية في المناخ الفكرى والثقافي ، وللقضية جانبها الآخر الذي يكمل حلقات المسلسل في

بقلم : الدكتور حسن فتح الباب

وحدة لا تتجزا وهو مناهضة اليمين الفرنسى بصفة خاصة لحركة التعريب فى الجزائر وفى الشمال الافريقى بصفة عامة .

فى هذا السياق يندرج موقف مارسيل بوا .. نوع من محاصرة التعريب لمنع انتشار الأدب المكتوب باللغة العربية ، فى حين يبرزون اى اديب من الجزائر او شمال افريقيا عامة يكتب بالفرنسية بغض النظر عن قيمة كتاباته .

التراث والمعاصرة

وتطرق الحديث الى قضية التراث والمعاصرة سالته :

● لم يقل احد ـ ولا يجوز له ـ ان يقول الكلمة الأخيرة فى موضوع التراث طالما لم تنته الحفريات بعد ، أعنى الكشف عن التراث وتحليل عناصره . هنالك محاولات للدكتور حسين مروه ، ومحمود امين العالم ، والطيب تيزينى من جانب ومن د. عبد المجيد مزيان (الجزائر) ود. محمد عمارة (مصر) من جانب اخر ، وتختلف الرؤيا التاريخية بالضرورة تبعا لاختلاف المنابع والانتماءات والمناهج بحيث تبلغ احيانا حد التناقض . تدور بحوثهم فى الفلسفة والفكر والتاريخ والاجتماع ـ دون تجزئة ـ ولكن الادب هو تعبير عن الواقع الاجتماعى والصراع الدائر بين القيم والتشكيلات الاجتماعية .

فاين موقع اعمالك الروائية من المفاهيم المتداولة حول التراث والمعاصرة ، ولاسيما انك كاتب تقدمى وكثيرا ما تستقى من مادة التراث العربى والاسلامى ؟

ـ الاحظ فى هذا الموضوع ان معظم الباحثين العرب يتناولون التراث بنفس الكيفية التى نراها عند المستشرقين وكاننا غرباء مثلهم عن هذا التراث ، فهم يعالجونه كقضية منفصلة دون وعي أو تقدير كاف لشموله الأدب العربى كله عبر التاريخ .

● اتفق معك على ان ادبنا العربى ـ فى مختلف فنونه ـ هو المصفاة التى تتبلور فيها حركة المجتمعات العربية ، وهو اذن الجدير بالبحث للوصول الى الحقيقة والخروج بنظرية عن التراث والمعاصرة ، وأن الرواية بصفة خاصة والحديثة على الاخص هى الموضوع الاولى بالتحليل . واذا كان ما تقصده ، فدعنى أسمع منك شواهد للاعمال الروائية الحديثة التى توظف عناصر من التراث ، وتقدم فى نفس الوقت عملا ابداعيا معاصرا متقدما .

ـ احسن مثال ـ من وجهة نظرى ـ للمعاصرة فى العمل الروائى هى المعاصرة المصرية لانها تنبع من تطور طبيعى للكاتب اى من رقى اداته الفنية . فنجيب محفوظ مثلا يتجدد دائما ويضيف . والغيطانى ـ على سبيل المثال ايضا ـ يبدا من اخر انتاج لنجيب محفوظ ثم يضيف . فهو نابع من خلاصة التطور الروائى بمصر .

فهناك اضافة عربية عصرية لفن الرواية ، ولو ان عدد ما ينتج من الرواية العربية مازال قليلا بالقياس الى ما ينتجه الغرب . ففى فرنسا تصدر سنويا حوالى ١٧٠ رواية ، ويصدر اكثر من هذا العدد فى بريطانيا . اما عندنا فلا يتجاوز عدد الروايات فى السنة عشرا . وهو كم قليل ، ولكن الكيف متقدم .

● هل يتيسر قولك الى ان من معايير التقدم الكيفى للرواية العربية المعاصرة استيعاب التراث والانتقاء منه ، وان ذلك عنصر من عناصر ترقية الكاتب اداته الفنية او تطوره الطبيعى كما قلت ؟

ـ التراث عنصر لا يمكن انكاره او التخلى عنه . ولكن المشكلة هى الانتخاب او الانتقاء منه بمعنى اى جوانبه او عناصره نختار . والاختيار هنا عملية وجدانية قبل أن تكون ارادية عمدية . فاذا كان حس الكاتب متقدما فانه ينتقى الجوانب النيرة ويضيف اليها ولاسيما ان تراثنا غنى بتلك الجوانب ، وقد ياخذ ايضا نقطة سوداء من التراث ليكشفها ويقارن بينها وبين «تركتها» الموجودة حاليا باعتبار هذه التركة امتدادا لتلك النقطة او النقاط .

إن توظيف التراث إذن عملية طبيعية وعفوية فهو كالالتزام ياتى نتيجة حتمية لثقافة وحضارة ما وايضا لموقف ايديولوجى . والتراث هو احد مقومات شخصيتنا لا بالمعنى السلبى الذى ينطوى على المحافظة او الجمود والرجوع الى الوراء ، ولكن بالمعنى الايجابى الذى يبصر موقع اقدامنا .

● يقودنا موضوع التراث والمعاصرة الى الحديث عن المحلية والعالمية . فمازال بعض كتابنا مبهورين بالنمط الروائى الغربى ـ وهذا لا غبار عليه من حيث الافادة من التقنيات ـ ولكنهم يديرون ظهورهم الى التراث العربى القديم منه والحديث استخفافا به من منطلق ان «العالمية» إنما هى فى الادب الغربى ، وان المعاصرة تكمن فى نماذجه وحدها .

هذه المدرسة قائمة بيننا ولها نقادها بل وسطها الثقافى . فما تفسيرك لهذه المعادلة «المحلية والعالمية» ، ورايك فى المفاهيم المطروحة حولها بين الحقيقة والوهم ؟

ـ هذا الموضوع مرتبط ايضا بقضية المعاصرة . فالكاتب الذى يستوعب الابداع الانسانى كله . والطريق الصحيح للدخول فى محرابه اى فى العالمية هو الاضافة الى هذا الابداع . وانا إذ اكتب ، فانى استحضر التراجيديا الاغريقية والمعلقات واشعار ابى فراس ، والمتنبى بنفس القدر الذى استحضر فيه اراغون ، وايتماتوف الكاتب السوفيتى .

والفن الحقيقى هو فى جوهره عالمى . فبقدر ما تكون ثقافة الفنان عميقة يكون ابداعه عالميا . والأدب فى مفهوم المدرسة الواقعية التى انتمى اليها يرتبط بالعنصر الشعبى والوجدان المحلى وبالوطن الذى يتميز بطابعه الخاص . وهذه كلها تمثل قيما انسانية مشتركة .

والمؤسف عندنا وفى لبنان بصفة خاصة ولدى بعض الادباء والنقاد غير الحقيقيين انهم يعتبرون ان العالمية او المعاصرة هى مطابقة الانتاج الأدبى فى بلد ما لآخر مما ينتج فى أوربا أو امريكا . ولذلك نراهم يرصدون اخر ما كتب ماركيوز مثلا فى امريكا اللاتينية ، وينسون ما كتب يوسف القعيد او الغيطانى .

● هذه النظرة الزائغة التى يروجون لها . الست معى فى ان وراءها موقفا ايديولوجيا مثل نظرية الفن للفن ؟

ـ اقول بصراحة التنظير للجمال ـ إذا صح هذا التعبير ـ تسيطر عليه فى وطننا العربى عناصر بورجوازية ترفض من الأدب كل ما له صلة بالنضال وبالواقعية وبالمرحلة التى تجتازها الأمة العربية . لا استثنى منهم إلا القليل ، وهم يمثلون اصواتا محدودة ضيقة المجال .

فرواية جمال الغيطانى «الزينى بركات» وهى تترجم الآن فى فرنسا ستقراها هذه العناصر من النقاد والأدباء الذين كانوا يتجاهلونها برؤيا جديدة ، لا لشىء إلا لأن الآخرين « الفرنسيين » اعطوها اهتماما لم يوله إياها اهلها .

● مادمنا بمعرض تقييم أعمال جمال الغيطانى كما ذكرنا ويوسف القعيد وهما من الروائيين المصريين المعاصرين الذين يمثلون الاتجاه الصحيح فى نظرنا ، فما رايك فى اعمال الكاتب الروائى الطيب صالح وهى فى رايى تنتمى الى نفس المدرسة ؟

ـ فى رايى ان روايته «عرس الزين» اقل فنيا . وعلى اية حال فكل اعماله واقعية وذات عنصر شعبى ، وتبقى هنالك ميزة كبيرة للطيب صالح يحمد عليها ، وهى انه رغم قدرته على الكتابة بالانجليزية ، وانه لو كتب بها لوجد له الافا من



حوار مع الروائي العربي الجزائري الطاهر وطار

القراء فى السودان ، ورغم انه يعيش فى انجلترا فانه لا يكتب إلا بالعربية . ولقد كتب بشرف وامانة عن مشاكل وطنه ، وكتب للقارىء العربى .

اننى أكتب بعفوية

● اثارت روايتك «العشق والموت فى الزمن الحراشى» جدلا كثيرا بين القراء والنقاد ، ذلك انها صبغت فى بعض فصولها بالطابع الذهنى او — على وجه الدقة — بالقضايا المجردة ، على حين تتسم رواياتك فى مجملها بمعالجة قضايا الواقع . وربما انعكس ذلك على تقييم بعضهم لها بالنسبة لاعمالك الاخرى وذلك من ناحية الابداع الفنى .

فكيف ترى التوفيق فنيا بين التعبير عن القضايا الذهنية ومشاكل الواقع ؟

— الأساس هو انتمائى — كما قلت — الى الواقعية ولكن بالمفهوم الرحب لها اى كمدرسة لا كاسلوب وذلك بالنظر الى وضعيتنا فى العالم الثالث . فنحن محتاجون الى رمز والى السيريالية وحتى الى التجريد الذى تعاديه الواقعية الاشتراكية باعتباره عدوها الأول . وقد يكون استخدام الرمز او التجريد إضافة وإثراء لتلك المدرسة .

وهذا الاستخدام عندى لا ينفى أن توجهى العام هو الحفاظ على «طبقية الأدب» رغم انني لا اتبع اسلوب البطل النموذجى وذلك لأن العنصر المؤثر والشائع فى حياتنا هو العنصر المعادى مع الأسف مثل «الشيخ بو الأرواح» فى «الزلزال» ، و «علي الحوات» فى «الحوات والقصر».

كما اننى احافظ ايضا على «حزبية الأدب» بمعنى تكريس العمل الفنى لشرح وجهة نظر .

واحافظ كذلك على شعبية الأدب ، وذلك بمعنى ربطه بالوجدان الأدبى والحس الشعبى وتقاليده وشخوصه بحيث لا يكون الأدب غريبا عليه من حيث الصورة .

والخلاصة هو ضرورة أن يكون وجدان الكاتب اصيلا . ولكن ليس هنالك قوالب أو «نسب» معينة . وإنما تكون «النسب» بحسب الظروف او الموضوع فالعملية فى حقيقتها هى دمج وصهر . وعلى ذلك فانى اخذ احيانا «نسبة» عالية من الواقعية وامزجها بنسبة محدودة من الرمزية او التجديد . واحيانا يكون العكس مثلما هو الشان فى «عرس بغل» . كما قد تكون النسبتان متعادلتين مثل «العشق والموت فى الزمن الحراشى» .

● بطبيعة الحال لا تقف طبيعة المرحلة التى تخوضها الطبقة الشعبية وظروفها وراء نوع هذه النسبة أو المزيج . ويذكرنا هذا ببعض اعمال برتولد بريخت المسرحية . لا من حيث استخدام اسلوب الرمز او التجريد وإنما اسلوب التقرير نفسه حيث كان الموضوع يقتضى ذلك .

— نعم فهذا العامل هو الذى يحدد اسلوب المعالجة الفنية اى «تركيبة المزيج» .

● لنعد الى تطبيق ذلك فى ضوء طبيعة المرحلة التى يتناولها العمل الفنى — على روايتيك «عرس بغل» و «الحوات والقصر» من حيث معدلات الواقعية والتجريد فيهما اى تغليب هذا العنصر او ذاك على الآخر .

— مسألة الصراع مثلا ظاهرة بارزة وحيوية فى العالم الثالث ، فكيف نستطيع أن نعالجها إلا بالاسلوب الذى اتبعته فى الرواية الأولى وليس هذا الأسلوب فى الحقيقة تجريدا وإنما هو واقع معادل لما لا نستطيع المصارحة به . وهو مفتاح سياسى لكى تفهم الرواية .

اما فى الرواية الثانية فقد كان هدفى كشف حقائق معينة معروفة فى التاريخ الجزائرى ، وابراز عناصر سلبية اى كشف سلبيتها . فاضطررت الى الرجوع الى اسطورتها والى الميثولوجيا . فأسميت البطل «عليا» نسبة الى الامام علي باعتباره اعظم المثاليين . ومن ثم فان هذا الاسم يدخل فى تركيبة القارىء العربى النفسية ولو لم يع انه سيدنا علي بن ابي طالب .

● هل يمكن القول إن هذا التناول من اسباب انقسام القراء والنقاد فى الراى حول انتاجك ما بين رافض وراض ، وذلك مع استبعاد الجانب الايديولوجى على سبيل الافتراض . فالرافض انطلاقا من موقف مسبق لا يعنينا فى هذه القضية الفنية .

وبعبارة اخرى فان هذا الاختلاف فى الراى مرده الى اختلاف الأسلوب فى رواياتك ما بين الواحدة والاخرى . فما يكاد يقتنع بالاسلوب الواقعى — وخاصة المتشبع بجماليات الواقعية — حتى يفاجا بتسلل تطبيقات فنية اخرى الى رواية تالية ، دون ان يكتشف العوامل التى ادت الى ذلك ، تلك العوامل التى اشرت اليها أو انه يراها من قبيل التبرير الذى لا يقنعه ؟

— إنى اكتب بعفوية ، فليس عندى تصور مسبق او تصميمات هندسية جاهزة التقطها من مطالعاتى ثم اقول اننى احتذى أسلوبا ما . ولكنى اجعل المضمون يتفاعل مع الشكل ويخرج بطريقته . وهذا ما يجعل العمل عندى لا يشبه العمل الآخر من حيث التكنيك . واعتقد ان هذا شان كل المبدعين . همنجواى هذا المبدع العظيم ليست اضخم رواياته هى اعظمها ، بل إن اصغرها هى الأروع . انظر مثلا «الشيخ والبحر» كم هى صغيرة جدا ، ومع ذلك فهى خير ما كتب .

● اذا جاز للفنان ان يفاضل بين ابنائه فايهما تؤثر : اللاز ام العشق والموت فى الزمن الحراشي ؟

— الفترة الزمنية التى عالجتها فى «اللاز» كانت عبقرية وهي ثورة التحرير الجزائرية . اما الرواية الاخرى فقد تناولت فيها فترة غير متبلورة ، ونضالا شبه حي ، وصراعا على السلطة حقيقيا ولذلك رصدت هذه الفترة كما هى . وهكذا ترى أنه يصعب علي الخيار بين الروايتين ، فقد وظفت فى الثانية نفس الجهود والامكانات التى وظفتها فى الأولى التى يبدو انها استاثرت بالافضلية عندك وعند الكثيرين ايضا . ولكن ظل المرحلة انعكس على العمل الفنى . وهذا هو التفاعل بين الكاتب وبين المجتمع . إننى — وفقا للخلاصة التى خرجت بها من تجربتى فى العمل الفنى — احاول ان اخلص الشكل الروائى عندى من القوالب والمفاهيم الجاهزة سواء من حيث اللغة أو من حيث التكنيك والصورة .

● ربما يدخلنا هذا فى العمل التجريبى رغم انه الطريق الوحيد للتطور وحتى لا تصبح اسرى للقوالب التى انضجناها — إنها تضحية ان تختار الطريق الصعب لأنه غير المطروق المعبد . ولكن الفنان الرائد الحقيقى يتحملها لانها بعض الضريبة التى ينبغى عليه اداؤها .

بالمناسبة كيف تقيم انت «عرس بغل» تلك الرواية الأخيرة التى جرت احداثها فى مبغى والمليئة بالتضمينات والرموز والأساطير والتجريد والتى نالت إعجابا على نطاق واسع وإن كنت — إذا قلت رايى الشخصى — قرات « اللاز » و « الزلزال » مرات اكثر مما قراتها ؟ وعلى اية حال فهي متميزة في توظيف العناصر التي ذكرتها .

ـ لست راضيا كل الرضى عن «عرس بغل» على عكس اكثر النقاد . فهى عمل روائى يستوى عندى مع غيره . ولعل لعبة الرؤى والتهويمات التى وظفتها هى التى ادت الى هذا الاغراء . وهذا نوع من السذاجة . وانا ضد ان يعجب الناس بعمل دون ان يفهموه .

لقد تناولت ـ لأول مرة فى الرواية العربية ـ وحدة الوجود المادية ووحدة التاريخ ووحدة الصراع ولم ينتبه ناقد واحد لذلك رغم ان الرواية حظيت بما يشبه التقديس فى الوطن العربى . كما لم ينتبه احد الى المضمون وهو ان البورجوازية الصغيرة لا يمكن ان تكون مخلصة فى نواياها وفى ثوريتها . وقد اكتشفت ذلك فى التحية التى تعبر عن ثقافة تلك البورجوازية .

عراقة الرواية العربية

● دعنا نختتم هذا الحوار بعود على بدء ، فنتكلم عن عراقة الرواية العربية طالما انه مازال هناك حتى بين النقاد من يرى أن الرواية ـ كانما لم تكفهم المسرحية ـ ابتداع اوربى لم نعرفه إلا حديثا ، بل يشككون فى القيمة العالمية لأفضل ابداعنا الروائى المعاصر كما بدأنا الحديث .

ـ قرات ـ عن طريق المصادفة ـ رواية عنوانها «ذات الخدر» وقد صدرت منذ قرن تقريبا ، ولعلها اول رواية عربية وربما سبقتها غيرها ، مما يدل على أن هذا العمل (الرواية) قد تاصل عندنا كفن فنحن ورثناه كما ورثنا الموسيقى واللباس ـ واود أن أقول فى هذا الصدد إن المرء الذى يقرأ رواية بلغته يتاثر مائة مرة اكثر مما يتاثر اذا كانت مكتوبة بلغة اجنبية .

● مادمنا قد تطرقنا الى هذا الجزء الذى يضرب فى الماضى لفن الرواية العربية ، وحيث لم تقع هذه الرواية ضمن ما يتاح لي الاطلاع عليه ، ولاشك أن هنك كثيرين مثلى . فمن هو كاتبها وما قيمتها من الناحية الفنية ؟

ـ هى للبستانى هذا الكاتب الشامى الذى عاش مع كثيرين من رفقائه بمصر . وقد نشر تلك الرواية ابنه بعد موته بزمن طويل . وهى قصة مطولة إذ تنهج أسلوب القص ، ولكن فيها صراعا دراميا وإن كانت ساذجة . إذ يقتبس المؤلف أبياتا من الشعر يضمنها قصته . ويقول إنه مهما حاول لن يطاول أصحاب هذا الفن من الكتاب الغربيين ، وإنه عانى فى تأليف روايته لأن اللغة العربية لم تتعود هذا النمط من الادب ، فهو لذلك ينحت نحتا ، مقدرا بذلك قيمة العمل الذى هو مقدم عليه .

أصل من هذا المثال الى اننا استوعبنا فن الرواية كما استوعبه غيرنا فلماذا عقدة النقص؟ لماذا ننكر التاريخ ونتجاهل الواقع ؟ والمسرح ايضا متاصل فى ثقافتنا العربية . إن هذه العقدة هى التى تجعلنا نعيش تحت الحصار . إن انتاجى انا او غيرى من الأدباء العرب يقارن عندنا بالغرب، وهو قياس مع الفارق كما يقولون . فالذين يقومون بهذه المقارنة لا يفهمون ظروفنا كعرب فى العالم الثالث فى ظل مرحلةتاريخية محكومة بأوضاع مختلفة عن العالم الاوربى . إن هؤلاء النقاد مستلبون فى الحقيقة .

● هذه المقارنة غير الموضوعية تصل عند بعض النقاد الى صميم البنية الفنية عند الكاتب الروائى !!

ـ انهم لا ينظرون الى نجيب محفوظ مثلا ليقيموا اخر رواياته إلا فى ضوء ما قراه اخيرا من أعمال روائية . فاذا لم يعرفوا افترضوا ثم قارنوا بينها وبين رواية او روايات ربما لم يقراها او يسمع بها .

إنهم مبهورون باسلوب الجمل القصيرة الضاربة كالرصاصة فى الرواية ويعتبرونها الأسلوب الاحدث ويرونها وحدها المعاصرة ، وهم لا يعلمون أن همنجواى عالجها قديما . كما عالجها نجيب فى «كفاح طيبة» أولى رواياته ... وهذه الجملة القصيرة أشبه بجملة شكسبير إذ هى ايضا طلقة . ونحن تجاوزنا هذا ، والاسلوب الآن هو الجملة الطويلة والحوار يدخل ضمن هذه الجملة .

ونحن لا ناخذ جملة من حقيبة لنضعها فى حقيبة اخرى ، بل إن اختيار نوع الجملة يكون نتيجة الجو النفسى الذى يعيشه الروائى اثناء الكتابة ، أى انه ثمرة التفاعل فالجملة هى انعكاس للانفعال داخل الكاتب .

● إحساس الشاعر بل وصياغته احيانا يبرزان فى رواياتك . فهناك مقاطع تكاد تكون شعرا وهى نسيج عضوى داخل التركيب الفنى ـ هذا ما لاحظته . فهل ترى ذلك ـ إن وافقتنى عليه ـ ثمرة تاملات تنسكب شعرا وذلك بعد طول الصراع وتجربة المعاناة ، او ماذا تسميه ؟

ـ وانا اكتب «العشق والموت فى الزمن الحراشى» وقفت امام صورة وهى العمل المباشر للطلبة فى الارض وهو ما يسمى التطوع للثورة الزراعية ـ عندما بلغت هذه الصورة التى كتبتها وقبل ان اتابع الكتابة ضحكت فى نفسى وقلت : ها هو ذا ـ اقصد نفسى ـ كاتب دجال يريد أن يربح عدة صفحات بتصوير هذا المشهد حين يقول : «العرق المتصبب .. الارض المتعرجة ... والصخور والاحجار التى تنبع هنا وهناك ...» ثم قلت : «لا .. إن الأرض يعرفها الانسان منذ ملايين السنين والانحناء يعرفه البشر ـ لا احد يجهل ذلك ـ وإذا كنت مخلصا فانى اقول :

(ونشبت معركة بين الأجساد المحنية والأرض) جملة كالشعر ـ وقلت : فليؤلف القارىء معى تجربته حتى لا اخدعه واتطاول عليه . ولاترك التفاصيل والتضاريس فهو يعرفها مثلى .

ربما ترى معى أن هروبى من العبارات التعميمية والتجريدية هو سر الشاعرية التى تراها فى كتاباتى . وأضيف الى ذلك اننى مازلت أعانى من اللغة العربية . لقد تخلص نجيب محفوظ من هذه «الرجرجة» . ولكن عندما تكون كاتبا ملتزما فان كل كلمة تكتبها ينبغى أن تكون لها دلالتها . وهذه هى البلاغة العربية (خذ مثلا تصوير الشاعر القديم لطول العنق فى دلالته على الجمال : بعيدة مهوى القرط) . إن الكاتب حينما يعيش تجربته ويتمثلها لا يحتاج الى حذلقة .

● معاناتك التعبير العربى المضيء والمحكم فى دلالته لا تكاد تظهر للقارىء ـ فاداتك اللغوية طيعة بين يديك ، ووفرة انتاجك دليل على هذا

وهنا يخطر لي أن أسالك : هل تعيد صياغة العمل الفنى احيانا وصولا الى الكمال الذى ينشده الفنان ولاسيما انك اثرت مسالة معاناة التعبير اللغوى ؟

ـ لا أجرى إلا تغييرات طفيفة فقط فى العمل الروائى ، ويكون ذلك وقت كتابته على (الآلة الكاتبة) . واجدنى فى كل مرة انتهى من عمل جديد أكثر تمكنا وأن اللغة صارت أيسر واطوع لي . لقد كتبت «عرس بغل» فى ١٤ يوما ، ولكن ـ بطبيعة الحال ـ فكرت فيها واختمرت فى داخلى سنوات .

وأخيرا ، فان عالم الطاهر وطار يقصر عنه هذا الحوار ، فمخططات الرواية الجديدة التى يكتبها الآن «تجربة فى العشق .. !!» بين يدى : مقدمة منطقية ومقدمة سياسية ، ولكنها تحتاج الى ساعات اخرى فى يوم ما قد يكون قريبا .

د. حسن فتح الباب

ثلاث قصص قصيرة

بقلم: محمد البساطي

(١) التوت البري

اعتدنا ان نراها ـ تلك العجوز ـ ونحن فى طريقنا إلى القبور . تجلس امام عشتها على شاطىء النهر بجلبانها الأسود المهلهل ويجوارها المقطف والعصا . ما كانت تبدى اهتمامنا عندما يمر احد على الطريق .. حتى هؤلاء الذين يتقدمون ليضعوا فى المقطف شيئا .

كانوا يحكون فى طفولتنا عن الشياطين التى تحوم دائما حولها . والحرائق التى تشتعل من حين لآخر فى البلدة . والاطفال الذين يموتون خنقا وتطفو جثثهم على سطح النهر .

وكنا رغم تحذيراتهم والعقاب الصارم نجد طريقنا إليها . نتسلل فى الظهيرة ـ تلك الوقت الذى تخلو فيه الشوارع من الكبار ـ وكانت تهش فى وجوهنا . وتضرب بعصاها على جانبى ساقيها الممدودتين وتجمعنا حولها . وتسمح لنا بتسلق اشجار التوت التى تظللها . تلك الأشجار التى لم تلمسها يد قبلنا .

كان الاوغاد يطاردوننا حين نقترب من إحدى الاشجار فى البلدة ويلوحون بسقوطنا من فوقها . فلياتوا الآن ويروا كيف نقفز كالقردة بين الفروع . وفاجاتنا العجوز يوما بحبل جاءت به من داخل العشة . ووقفت تكتم ضحكاتها . وقذفنا بطرفه الى فرع الشجرة واخذنا نتارجح . كانت تدفعنا معنا . وتصهل وقد تناثر شعرها الاشيب القصير . وسرعان ما تتعثر منكفئة وسط تهليلنا . وترقد لاهثة امام العشة . ونتزلق الى النهر . كنا نغوص ونمد اقدامنا الى سطح الماء . ونتسابق الى الشاطىء الاخر . لا نخشى قطع الحجارة التى كان الاهالى يقذفوننا بها ليخرجونا من الماء وكانما يفزعهم غرقنا . ونراها . العجوز ـ ما كانت تخلو ابدا من الحيل ـ وقد جاءت بالواح من الخشب واخذت تقذفها الينا ـ تلك الالواح التى تنام فوقها بعد ان تغطيها بالقش ـ ونقفز اليها ونجذف باذرعتنا . ونراها تجرى على الشاطىء بجوارنا ، وتهلل حين يسقط احدنا من فوق اللوح .

عندما كنا نلمح احدا قادما على الطريق كنا نهرع اليها . وتخفينا داخل العشة . ونظل بالداخل نلهث رعبا ، نختلس النظر من بين عيدان الغاب حتى يبتعدوا .

ويحدث دائما ما يجعلنا نبتعد عن العشة . وتطول فترات ابتعادنا . ويستغرقنا البحث عن الرزق . ونمضى .

ونفتح بيوتا . ونرحل عن البلدة ونعود . ويكون لنا أولاد . وحين يتاخرون في العودة الى البيوت .. كنا نفتش فى وجوههم عن آثار التوت ولمعة الاستحمام . ويقسمون لنا من خلال بكائهم انهم لم يذهبوا إلى هناك .

ونراها ـ تلك العجوز ـ حين نمر بها وكان السنوات لم تغير منها شيئا . ونشعر بحركة الاولاد المضطربة داخل العشة . غير ان احدا منا لم يجرؤ يوما ان يتقدم ويسحب الاولاد من الداخل .

(٢) الطفل

كل شيء كان معدا لمجيئه . الحجرة القبلية افرغت من اثاثها ، حيث تتدفق الشمس من الشرفة الواسعة ، وتمتد النباتات المتسلقة حول بابها ، وغطيت الجدران بالورق الملون . كان احد الجدران يبدو كبحيرة واسعة زرقاء يسبح فيها بط ويجع وزورق شارد . والجدار المواجه يبدو كمرعى فى ريف اجنبى به قطيع من الاغنام ناصعة البياض وفلاح مورد الوجه يلبس البنطلون والقبعة . وفرش السجاد السميك على الأرض الخشبية ، ووضع سرير صغير بسياج فى احد الاركان ، وتناثرت اللعب فى الحجرة .. حصان ، مكعبات ، أرجوحه .

ومرت الشهور الاولى لم يحس به أحد . كان يصحو من النوم ويرضع ثم يعود للنوم .

وتساءل الاب وهو ينحنى فوقه .. ان كان يشبهه ؟

وقالت الام .. ان شكله يتغير كل يوم .

فى الشهر الخامس كان ينام وحده فى الحجرة ويترك الباب مواربا . كانا يتسللان على اطراف قدميهما لينظرا إليه وهو نائم ، ويبدو الطفل وكأنما احس بنظراتهما .. كان يتمطى قليلا ثم يفتح عينيه . ويقول الاب :

ـ انه يعرفنـــا

ـ طبعـــا

كان الولد يشب ممسكا بسياج السرير ، وينحنى الاب مقتربا بوجهه ، ويحس بالاصابع اللينة تجرى على شفتيه وخديه ويغمض عينيه مستسلما .

وخرج يوما من الحجرة يجفف وجهه ضاحكا وقال :

ـ اللعين خمش وجهى .. انظرى !

كان وجهه ملتهبا ، واشار باصبعه إلى عينيه :

ـ هنا .. وهنا .

ـ سيكون ولدا شقيا .

وضحكا ، واندفعا إلى الحجرة . كان الولد يدلى قدميه من فتحات السياج ويصيح .

عندما بدأ يحبو كانا يخرجانه من السرير ويغلقان النافذة ، ويقفان يصفقان ويتقافزان ، ويزحف الولد ذهابا وعودة وقد رفع رأسه ملتفتا اليهما .

ـ يكفى اليـــوم .

ـ اه . لن نرهقه .

وخرج الأب يوما من الحجرة . كان يضحك منحنيا :

ـ انظرى .. هذه المرة مزق وجهى .

كانت آثار الاظافر محفورة على خديه . ووقف أمام المرآة :

ـ نزع الجلد تماماً . في المرة السابقة لم يصدقوا فى المكتب انه ابنى واقسمت لهم انه الولد . ولم يصدقوا . قالوا .. اتريد ان تقنعنا انه الطفل ؟

وضحك . وضحكت امراته . وسارا إلى الحجرة ، ونظرا من فتحة الباب الموارب . كان الولد راقداً فى الفراش يحدق فى السقف ، والتفت ونظر إليهما ، ثم عاد يحدق فى السقف .

قال الاب :

ـ ما رايك ؟ لن يكون مثلى . على الاقل سيعرف كيف ياخذ حقه .

وضحك ، ووضع ذراعه على كتف امراته وظلا واقفين بفتحة الباب يرقبان الولد .

وكان يخطو خطواته الاولى مستنداً على الجدار . وهما بجواره يهتفان وايديهما حوله ..

ـ خطوة اخرى .

ـ اه .. خطوة اخرى .

وصل الولد إلى نهاية الجدار ، ثم انزلق جالساً . وحوله الاب واخذ يقفز فى الحجرة

ـ يومان اخران ويجرى فى الشارع .

وضعه فى الفراش . كان الولد هادئا ، ومد يديه ، وانحنى الاب فوقه . تاوه قليلا ثم ابتعد ، وخرج من الحجرة .

ـ الم تقصى اظافره ؟

ـ اه . أمس . ماذا حدث ؟

كان وجهه دامياً . وقد تلوثت ياقة القميص البيضاء . اسلم وجهه ليدى زوجته ، كانت تجفف الجروح بالقطن والسبرتو الابيض . قالت :

ـ من الافضل ان تاخذ حقنة .

قال ضاحكا : من الآن ويفعل ذلك معى .

وخرج يوماً من الحجرة ممسكاً بفمه . كان وجهه متقلصاً من الالم ـ وهوى امام امراته التى صرخت . كان فمه ملطخاً بالدم . جففته سريعاً . غير أن الدم ظل يتدفق . كان هناك ثقبان بشفته العليا . وضعت الشاش والشريط اللاصق على شفته .

وقال هامساً : أسنانه .

وقفا بباب الحجرة . كان الولد راقداً يحدق في سقف الحجرة وقد برزت اسنانه من بين شفتيه المضمومتين ، ولعابه يسيل على ذقنه ..

ـ كيف ؟

ـ لا أعرف . كان بالأمس على ما يرام .

ـ وكيف ارضعه ؟

ـ اه .. وكيف ترضعينه .؟

ـ لاتقل اللبن المجفف .. لا اريد ان يستخدمه .

ووقفا بباب الحجرة صامتين . واستند الولد على كوعيه ونظرا اليهما ، ثم استلقى مرة أخرى محدقا في السقف .

③ الجفاف

كان النخيل كثيفا حول البلده وبعده يمتد العراء . خرج الرجلان من عتمة النخيل وسارا فى العراء . خرج الرجل الطويل أولا ، كان يلبس قميصا اسود وحذاء خفيفا . التفت وراءه ورأى الرجل الآخر قادما ، وبعدها لم يلتفت . كان يلبس جلبابا قاتم اللون ويلف راسه بشال ابيض متسخ ، وظلت المسافة بينهما ثابتة .

كانت الأرض بوراً واسعة تغطيها شقوق كثيرة وقنوات رفيعة جافة تناثرت على جوانبها أشواك واشجار نحيله جرداء بدت فروعها كعيدان الحطب . وكان وهج الشمس حاداً ، وهواء ساخن يهب خفيفا محملا بغبار ناعم .

اخترقا الأرض البور فى خط مائل نحو بقعة خضراء بدت عن بعد . كانا يسيران دون عجلة وكان الريح تعوق تقدمهما وقد انحنى الرجل فى المقدمة على نفسه ووضع الآخر الشال حول فمه وانفه . وتلون الجو بالأصفر الشاحب ، وغطت الشمس غشاوة عكره .

كانت البقعة الخضراء ترتفع قليلا عن الارض ، واختفى الرجل داخلها . وكان الآخر لا يزال يسعى وراءه وسط زوابع الغبار وقد التف الجلباب حول جسده .

سار الرجل بامتداد مجرى مائى ضيق ، كانت النباتات الشوكية على جانبيه قاتمة الخضرة وباطرافها زهور صفراء ، واشجار كثيفة الاغصان اخذت تهتز مع الريح . وكانت القناة تنتهى بسد من الاسمنت وبعدها تنحدر الأرض نحو العراء .

التفت على صوت خطوات خفيفة ، وبدا وكانما فوجىء بالرجل الآخر على جانب المجرى وتبادلا النظر فى صمت .

كانت زوابع الغبار تجرى متلاحقة خارج الاشجار وتجرف فى طريقها الاشواك الجافة وانحنى الرجل ذو الجلباب وغسل وجهه وجففه بطرف شاله ، ثم عبر المجرى . كان قصيراً بوجه عجوز وشارب اسود كث ، وعينين صغيرتين . وكان الآخر ذو القميص الأسود حليقا له وجه طفل . ازاح شعر راسه عن عينيه . كان يلهث وظهره لجذع شجرة .

اشتد هبوب الريح . كان صوتها يدوى اجوف وسط الاشجار . واختفى وهج الشمس ، وضوؤها الضعيف ما زال يتسلل من حين لآخر ، وعبق الجو بغبار قاتم .

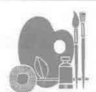
وضع القصير يديه داخل فتحتي الجلباب الجانبيتين ، وبدا وكانما يسوى الصديرى وتقدم خطوة ، وانتفضت يدا الفتى خفيفا ثم سكنتا بجواره . كان وجهه مبللا بالعرق والغبار .

انقض الرجل سريعاً ودس قبضته فى بطن الفتى ، وادارها شمالا ويمينا . بدا الفتى للحظة وكانما اخذته المفاجاة ، وامسكت يداه بقبضة الرجل ، وانحنى دون صوت . كان ينزلق فى بطء ، وسقطت راسه على كتف الرجل ، وبذل جهداً اخر ، وظلت راسهمكانها .

نزع الرجل قبضته ، واختلج جسد الفتى . وامسكه الرجل من تحت إبطيه وانزله فى هدوء . وتكوم مديراً ظهره . وزحف قليلا حتى التصق بجذع الشجرة ، وزفر مرة اخرى ثم استرخى ساكنا .

كانت اوراق الشجر الجافة تغطى المكان وقد علقت باطراف النباتات الشوكية ، وطفت على سطح المياه في المجرى ، وازاحها الرجل بيده ، وغسل سكينه واعاده لجيبه ، ثم انطلق عائداً .

لقد خفت حدة الريح ، غير ان الجو ظل عابقا بالغبار . ●●●●



تقديم : جمال قطب



الفنان ادوار مانيه

الفنان الفرنسي مانيه

سخر النقاد من لوحاته فاحتلت أعماله متحف اللوفر !

● يعتبر (مانيه) بحق رائداً لانطلاقة الفن الحديث .. والرواد دائما هم أصحاب رسالة ، يجابهون من اجلها العناء بقدر ما يستحقون من فضل .

● نشا فى باريس من أسرة تنتمى إلى البورجوازية المستنيرة بكل ثقافاتها المرهفة وارتباطها الوثيق بجماليات الفنون ، وفى الفترة ما بين عامي ١٨٣٢ و ١٨٨٣ تلك الحقبة التى عاشها إدوار مانيه من القرن التاسع عشر ، جرت احداث خطيرة ، ربما كانت اخطر احداث التاريخ الفرنسى كله : الاكتشافات الهائلة فى العلوم وتطور الصناعة والأفكار الديمقراطية ، كما اندلعت الحرب السبعينية الرهيبة وما احدثته من هزة عنيفة فى فرنسا والعالم اجمع . وكان مانيه يتفاعل مع مسيرة الحياة بوجهيها المتناقضين ، النور الحضارى والأفكار المستقبلية ، وكذلك الحرب والكوارث التى داهمت الحياة الفرنسية المترفة ، هذا ، بالاضافة إلى التنكر لفنه كحدث جديد لم يالفه الناس من قبل !

● كان مانيه مثالا لشباب القرن التاسع عشر الهائمين بالتانق والرفاهية والحرية .. ولكنه هجر كل تلك المظاهر وانضم إلى مجموعة (مقهى جيربوا) ملتقى الفنانين والأدباء الذين سعدوا بالفقر من أجل الحرية ، وكان شعارهم : لنبق نبلاء ولنسعد بفقرنا ! لقد امتلكوا العالم بشاعريتهم واطلقوا ملكاتهم العبقرية متحررة من قيود المادة ، فصاروا قادة النهضة الفنية والأدبية التى أرست دعائمها فى النصف الثانى من القرن الماضى !

● وكما يلقى المجددون دائما ، فقد اضطهد مانيه من عامة معاصريه ورفض الأكاديميون اعماله ومنعوه من عرضها فى المعارض الرسمية .. ويقف الأديب والمفكر الشهير إميل زولا بجانب صديقه مانيه ، ويطلق عبارته الشهيرة : تسخرون اليوم من مانيه ولكن ابناءنا سيجتمعون بزهو وإعجاب حول لوحاته ! ويصبح الفنان زعيما لجماعته المجددة ، تلك التى أطلق على اعضائها بعد ذلك : التاثيريون .

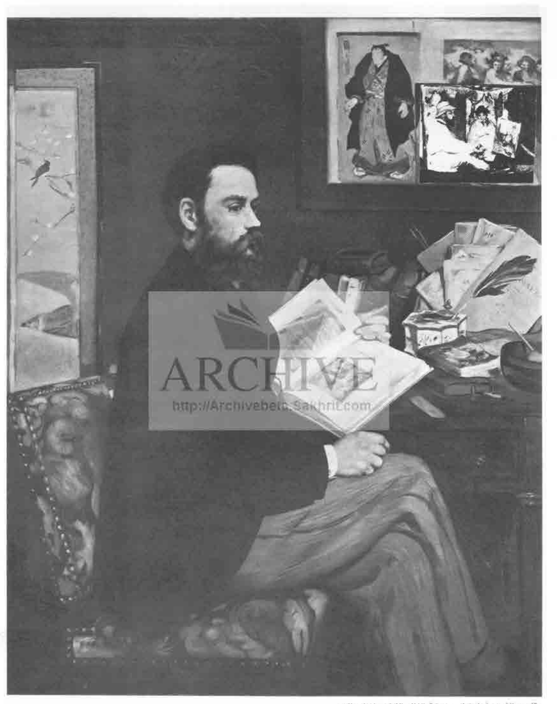
وفى المعرض الدولى عام ١٨٦٧ ، ترفض أعماله كذلك ، ويقف إميل زولا بجانبه ويقيم له جناحا خاصا لعرض أعماله فى مواجهة المعرض الدولى .. ويطلق شعاراً جديداً فى المنتديات وتردده الصحافة الفرنسية آنذاك : إن مانيه قد تحدد مكانه فى متحف اللوفر ! وتتوطد العلاقة بين زولا ومانيه ويستلهم الأديب رواياته من لوحات صديقه الفنان ، كما فعل فى لوحة (نانا) تلك الفاتنة التى رسمها مانيه عام ١٨٧٧ ، وقد أوحت لاميل زولا اسم روايته الشهيرة .

● من تلك العلاقة الرائعة بين زعيم المجددين مانيه والأديب الأشهر إميل زولا ، واعترافا من الفنان بفضل صديقه ومواقفه بجانبه دائماً ، كانت هذه اللوحة الرائعة ، وقد وضع مانيه فى خلفيتها كثيراً من الأجواء التى طالما استهوت الصديقين وتلاقيا على الاعجاب بها : ملامح من الفن اليابانى ، لوحات لفلاسكويز ، احدى لوحات مانيه التى دافع عنها زولا بحرارة ، مجموعة الكتب التى طالما اشتركا فى مطالعتها ومناقشة مضامينها ..

● ودهم المرض الفنان المرهف ، وتحت وطاة الصراع ومرارة النكران يختتم حياته سنة ١٨٨٣ . وقبل موته كتب لأحد نقاده الذين اسرفوا فى مهاجمته والتنكر لفنه يقول :

« كنت أود أن تتاح لى فرصة قراءة مقالك الرائع الذى ستختصنى به عندما أموت » !

وصدقت نبوءة زولا عن مكان مانيه فى متحف اللوفر .. فبعد عام من وفاته ، أشاد الجميع بفنه وعبقريته الفذة .. وافتتح اللوفر أبوابه بأمر من قادة فرنسا ، لتحتل أعمال ادوار مانيه أقدس المواضع فيه .



الاديب الشهير اميل زولا .. بريشة الفنان الفرنسي ادوار مانيه.



في مهرجان عالمي للفنون الشرقية

تراث الهند يغزو لندن

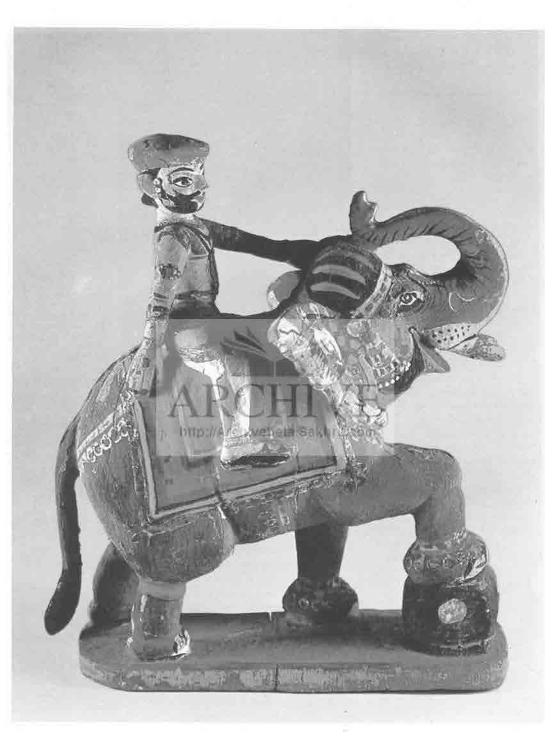
نجمة السينما الهندية «زينات» في لقطة من آخر أفلامها

رسالة لندن من :
مجدي نصيف

مهرجان الهند فى بريطانيا لعام ١٩٨٢ ، خطط ليكون أكبر عرض للثقافة الهندية وتراث الهند منذ استقلالها عام ١٩٤٧ عن بريطانيا . يتخلل المهرجان عروض للفن الهندى وفرق رقص وغناء وموسيقى إلى جانب الأفلام الهندية . بدأ المهرجان فى الثاني والعشرين من مارس ١٩٨٢ ، وقامت بافتتاحه السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند والسيدة مرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا . تستمر العروض حتى شهر نوفمبر من نفس العام .

وفى جاليرى هوارد افتتح معرض الفن الهندى ليعرض الرسم والنحت الهندى على مدى الفى عام . وابتداء من ٢١ ابريل عرض متحف البرت وفيكتوريا الحياة تحت حكم المغول فى الهند فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . كذلك عرض المتحف البريطانى ، الفن الهندى حتى القرن العاشر . كذلك قام متحف العلوم البريطانى ، بافتتاح معرض العلوم والطب فى الهند .

لقد كانت هذه فرصة طيبة لاستعراض الحضارة الهندية والتعرف إليها عن قرب . ففى جاليرى هيوارد أكبر عرض للفن الهندى تحت سقف واحد ، حيث يضم ٥٠٠ قطعة فنية من المجموعات الخاصة وتلك التى تملكها المتاحف الحكومية ، سواء فى الهند أم فى بريطانيا .



تحفة نادرة من الفن الهندى يعود تاريخها الى القرن التاسع عشر .. التحفة من الخشب المزين بالالوان والنقوش



تراث الهند يغزو لندن



الرسوم الجدارية تجمع بين الانسان والطبيعة في توافق وانسجام والوان زاهية

هناك امور ثلاثة رئيسية تلفت النظر بشدة في الفن الهندي :

أولا : انه ينقسم بالتساوي بين النحت والرسم ، وهو بذلك أكثر اتساقا وتساويا من الفن الغربي .

ثانيا : شمولية فن النحت ، ومزجه المستعصي بين الدين والعلمانية ، بين الالهام والدنيوية .

ثالثا : تركيز الرسامين الهنود على التفصيلات الصغيرة جدا ، يكاد يكون تصميما على ان المنمنمات لها جمالياتها .

فنون المعابد الهندية

وقد ظهر النحت الهندي أولا ، في التماثيل الصغيرة وفي الأختام العاجية لحضارة وادي الهند قبل مجيء المسيح بالفي عام ، تلك الحضارة التي تركت بعض بصماتها وعادت لتطبع تطـــور البـــوذية والهندوسية . فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد زينت المنحوتات المعابد الهندية ، وكانت هذه هي بداية التراث الفني الذي استمر قويا حتى القرن الثامن عشر بعد الميلاد .

ولم يتوقف فن النحت فجاة .. وانما تخطى مرحلة الانجازات العظيمـــة الضخمة ، وكل ما خلفه بعد ذلك كان عبارة عن اشكال صغيرة سهلة النقل معظمها مصبوب من المعادن . لقد انتهى زمن بناء المعابد العظيم ، وذهب معه ســـوق التذكارات ، لكن التراث غني وحافل ، ويذهل العالم ، وخاصة الغرب الذي لم يبدأ في استيعابه وادراك عظمته الا حين اخذ ينتهي ويعبر إلى زوايا النسيان .

يقول الناقد « جيوفري مورهاوس » يصف اللقاء مع فن النحت الهندي : « كان اول لقاء لي بمعبد خاجراهو بوسط الهند . بدا لي كانه وسط اللامكان ، رغم المدرج الضيق المخصص لهبوط طائرة تصل إلى هناك مرة كل اسبوعين . فاقرب قرية إلى المعبد تقع على بعد عدة اميال . ثلاثون معبدا وسط الاشجار والطبيعة الساكنة . لقد شيدت هذه المعابد بواســـطة حكام « شانديلا » في القرنين العاشر والحادي عشر ، قبل ان يضع أسقف وليم القاهر حجر أساس كاتدرائية درهام بمائة عام . (وهي بمدينة درهام البريطانية ، وتعتبر من أقدم الكاتدرائيات ليس في بريطانيـــا وحدها ، بل في العالم الغربي - الكاتب) . وليست ضخامة المعابد هي التي تجذب الانظار ، لكن اشكالها البادية لك وانت تتجه نحوها تبدو وكانها رواسب كلسية مخروطية ، أو كافيال تحجرت الهوادج فوق ظهورها . فمن بعيد يمكنك ان تلحظ كثافة الزخارف التي زينت بها الحجارة . ورغم ان عمرها الآن أكثر من تسعمائة عام ، إلا ان الحجارة تبدو وكانها قطعت وشكلت منذ ستة أشهر لا أكثر .

« ولا أعتقد ان هذه الاحجار قد تركت شيئا لمخيلة السائح تسبح فيه . فكل شيء مسجل هنا ، من مشاهد متتالية لمعارك ، تتابعها وانت تدور حول المعبد .. الأعمال اليومية العادية ، ثم مواقف احتواها بعد ذلك كتاب كاما سوترا ، وحيوانات لا تعد ولا تحصى » .

كيف يمكن فهم الفن الهندي الذي قد يبدو للبعض معقدا ؟

لمحاولة حل تعقيدات النحت الهندي ، يمكن للمرء ان يتخيل ان حكماء الهندوس يعتقدون ان الكون يأخذ شكل البيضة ، بيضة ذات ٢١ منطقة ، وتشكل « الأرض » المنطقة السابعة من أعلى ، ثم هناك سبعة عوالم سفلى تحتنا ، وتحتها سبعة أخرى ، كل منها « مطهر » . لكن هذا التفسير قد يجعل الفن الهندي منفردا ، لكن هذا ليس بصحيح إذا ما نظرت إلى النحت !

وليست كل المعابد الهندية القديمة على هيئة معابد خاجراهو الثلاثين . فتلك المعابد في الشمال تتجمع غالبا مع بعضها البعض على شكل قوس ، أما تلك المعابد في الجنوب ، فبينها مساحات أكبر ، وقد يكون له شكل آخر غير المخروط ، كل طابق فوق الآخر تماما ، لكن الزخرفة هي نفسها دائما . وحين تكون هذه الشخصيات لشخوص المعابد فغالبا ما يكون لها أطراف عديدة تدل على الصفات فوق الانسانية ، وتدل حركات اليدين على معان عديدة تشـــير إلى التامل أو الحماية أو الخنوع أو العدوان .

وهناك أشكال عديدة ثابتة ، إحداها زهرة اللوتس التي تدل بتلاتها غير المتفتحة على الاستمرار والنمو المثمر ، ويمكن أن تكون وحيدة ، ينبع من مركزها براهما العظيم .

كذلك هناك الماء المتدفق ، ماء الحياة ، الذي يظهر الشخصية الدينية تتحرك في اتجاهات ثلاثة في وقت واحد .

ويسهل تفسير الرسم الهندي عن النحت رغم وفرة الرموز الدينية فيه أيضا . وأول هذه الرموز التي لا تزال متواجدة حتى الآن الصور الزيتية البوذية على جـــدران « اجانتا » ، والتي تعبر عن الانسجام والتوافق والتناغم بين الانسان والطبيعة .



ساعة على شكل فيل مزخرف .. يعود تاريخها إلى بداية القرن
العشرين وهي من القطع التي تشد الانتباه بروعة تصميمها

مستخدمين الصمغ أو عسل النحل لتثبيت اللون .

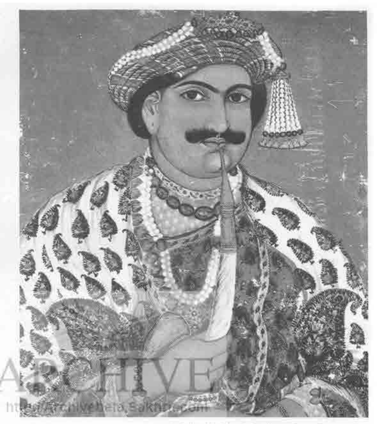
وبوصول المغول إلى الهند من اسيا الوسطى عام ١٥١٧ ، أثروا بشكل كبير على الهند والفن الهندى ما يقرب من ٣٠٠ عام . ونلاحظ فى هذه الفترة زيادة هائلة فى رسم المنمنمات ، ذلك ان الاباطرة المغول كانوا على معرفة سابقة بهذا الفن ، الذى اخذوه من بلاد فارس . كانوا يستولون على الاراضى بالسيف ، لكنهم كانوا يعشقون الفن فى نفس الوقت ، وكان الكثير منهم عاشقا للكتب . ولقد تبنى الاباطرة الفنانين وسهلوا لهم كل وسائل الالهام .

وفى القرن السابع عشر بدا الغرب يتعرف على الفن الهندى ، وعاد عدد من الشخصيات بنماذج إلى بريطانيا على وجه الخصوص . وتاثر بعض الفنانين بذلك الفن . ومن المعروف أن رامبرانت الفنان العظيم اقتنى بعض نسخ من الفن الهندى .

مصانع الأحلام

ومنذ عام ١٩٥٠ والهند هى اكبر مركز لانتاج وصناعة السينما فى العالم وليست هوليود ، كما يعتقد الجميع . فالسينما الهندية تنتج ٧٥٠ فيلما روائيا فى العام ، ويذهب إلى السينما فى الهند ٧٥ مليون مشاهد اسبوعيا . لكن السينما الهندية تتميز بنكهة خاصة . فمن المعترف به على سبيل المثال ، ان معظم نجوم السينما الهندية لا يتمتعون بالرشاقة وفقا للمقاييس الغربية ، وقد يكون الجيل الجديد هو الذى تاثر بالغرب ، فيحاول كل منهم مراقبة خصره ، إلا ان حساباتهم فى البنوك لا يظهر عليها اى علامة من علامات نقصان الوزن .

فاشهر نجوم الهند الآن هو اميتاب باخمان ، يكسب اكثر من مليونى روبية (١١٨ الف جنيه استرلينى) فى الفيلم الواحد ، فى بلد لا يزيد فيه دخل الفرد عن ٤٠٠ - ٦٠٠ روبية (اى ٢٥ - ٣٥ استرلينى) فى الشهر الواحد . وزيادة على ذلك ، يزيد عدد الافلام التى يقوم بها سنويا ثلاثة مرات عن الافلام التى يؤديها كلينت ايستوود على سبيل المثال . واذا كانت هيما ماليينى وكذلك ريكها ، وهما أشهر نجمتين سينمائيتين فى الهند الآن تكسب كل منهما نصف هذا المبلغ عن الفيلم الواحد ، فان ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى عالم السينما الهندية الذى يهيمن عليه الرجل .



مدخن .. لوحة مرسومة على الزجاج فى بداية القرن العشرين



البيجوم زينات مهال .. من دلهى .. وهى نسخة محفورة من تحفة عاجية يعود تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر .

فيما بين القرنين الاول قبل الميلاد ، والخامس بعد الميلاد ، على صخور المغاور .

لقد استخدم الرسم على الجدران بكثافة فى حضارات اخرى من العالم ، لكن بحلول القرن العاشر الميلادى ، ظهر بشكل جديد من الفن فى الهند ، طغى بعد ذلك على النحت . لقد اخترع الكتاب ، وصنعت صفحاته من ورق اشجار البلح ، واغلفته من الخشب . وزخرفت صفحاته واغلفته بالصور الملونة والخطوط الرائعة .

بعد ذلك باربعة قرون كاملة ، تطورت صناعة الورق ، وتطورت رسوم المنمنمات على صفحات الكتب ، حتى وان كانت الكتب اناذاك توزع كحزمة من الاوراق ، وليس بشكلها الحالى .

استخدم الرسامون فيها اسلوب الرسم بالالوان المائية ، لكنهم غالبا ما كانوا يثبتون الالوان على الورق باستخدام التكنيك المعروف الآن باسم « الجواش » ،



سيدات يمرحن فى حديقة المنزل .. لوحة زاهية الألوان من القرن التاسع عشر

والحقائق المجردة عن السينما الهندية مدهشة . فلنتامل فى النقاط التالية .

● يتم انهاء فيلمين وجزء من فيلم ثالث فى كل يوم من أيام السنة فى الهند ، حتى تعرض فى ٦٦٥٠ دارا دائمة و ٤١٥٠ سينما متنقلة .

● يرتاد أكثر من ٧٥ مليون هندى دور السينما كل اسبوع .

● حصلت حكومات الولايات حوالى ٥٨٥ مليون روبية ، كضريبة على الأفلام التى انتجت فى العام الماضى .

● تبلغ الاستثمارات فى صناعة السينما الهندية ٨ بلايين روبية (٤٧١ مليون استرلينى) .

يعمل فى صناعة السينما أكثر من مليون شخص فى مختلف المجالات ، ويديرها عدد من السماسرة والوسطاء ، مما جعل ملوكها أكثر الشخصيات قوة ونفوذا .

وفى داخل هذه الامبراطورية ليس هناك حدود للسلطة وللشهرة ، وعلى سبيل المثال م . ج . راماخاندران نجم السينما من مدراس ، هو الآن الوزير الأول بولاية تاميل نادو . ورغم انه يعارض السيدة انديرا غاندى ، إلا انه لم يتأثر بفوز « حزب المؤتمر » الساحق فى الانتخابات الأخيرة ، وحين سئل قروى فى الثمانين من عمره ، لماذا يعطى صوته لراما خاندران ، كان رده صاعقا : ولم لا ؟ هل خسر فى اى فيلم من افلامه ؟

و م . ج . راماخاندران معروف باحرف اسمه الاولى م . ج . ر . وهو لا يدخن ولا يشرب الخمر ولا يغازل النساء فى افلامه ، لكن الخيال الجامح الذى يبعث خيالات النساء فى افلامه هو ما يثير غرائز جمهوره ، وافلامه لا تعرض على شاشة التليفزيون خلال ساعات العمل الصباحية ، وإلا توقفت الحياة فى المدينة حتى يشاهد الجميع نجمهم المفضل .

إن مثل هذا التغلغل « الفنى » فى عالم « السياسة » نادر جدا ، لكنه لا يتوقف . فالنجم « سونيل دوت » خلف « ديليب كومار » ، كحاكم لبومبادى فى العام الماضى !

ورغم الاعجاب الساحق الذى يتمتع به نجوم السينما ، إلا انهم يعانون ايضا بعض المواقف الصعبة ، وخاصة بعد قراءة ما يكتبه النقاد فى عشرات المجلات الفنية التى تصدر فى الهنـــــــد . فمجلة « سينى بليتز » تقابل نجمة شـــــهيرة وتبادرها بسؤال : « لماذا تعاملين اهلك هذه المعاملة » !

أين الحقيقة ؟

لكن إذا ذهبنا إلى لب المسألة ، لوصلنا إلى حقيقة صناعة السينما الهندية .. التجارية . ولذلك ليس غريبا وصفها بانها لسوا اكبر صناعة سينما فى العالم ، ولعل افضل تقييم لها ما قالته نجمة من نجوم السينما الهندية :

– « نحن نغرق المتفرج فى عالم الاحلام . فالواقع الهندى لا يمكن تحمله ، والواقعية لا يمكن قبولها . فلماذا لا يستمتع الناس بالخيال ، إذا كان عليهم ان يعيشوا فى كابوس الواقع » !

ودخول إحدى دور السينما فى الهند هو خبرة مثيرة فى حد ذاتها . الناس تتدافع بالمناكب ، ثم تسمع اثناء العرض التصفيق والهتاف ، وعبارات الاعجاب والاستياء ، والغضب والكراهية . ردود افعال ونقد فورى للفيلم . ومن المستحيل ان يدخل النجم لحضور حفل الافتتاح لفيلمه دون حشد كامل يحيط به من الحرس لحمايته من المعجبين .

ونجوم السينما الهندية كثيرون ، وجميعهم له ملايين المعجبين . لكن اشهرهم اميتاب باشخان وريكا ، وهما يعيشان قصة حب حقيقية . وريكا ابنة شيفاجى جنيسان وهو بدوره نجم شهير بمدراس : جميلة مزاجية عصبية كثيرا ما تركت العمل فى افلام دون ان تكملها ، ولذا استغرقت وقتا طويلا حتى تصل إلى النجومية . وتقصى النجمة الشهيرة هيما مالينى ، عن عرشها ، لكن الذى لاشك فيه ان ريكا هى جريتا جاربو السينما الهندية الآن . اما اميتاب ، فهو شاب جذاب وان كان اكثر دقة ونظاما من صديقته ، لذا يستريح المنتجون والمخرجون للعمل معه اكثر منها . وهو سعيد بشهرته وان لم يكن منبهرا بها ، إذ انه يؤمن « ان الناس تحب الصورة التى رسمت له على الشاشة ، لا شخصه الحقيقى ، لذا ليس هناك ما يبهرنى فى شخصى » !

وليس لنا إلا ان نختم حديثنا عن السينما الهندية ، فنقول ان الافلام الهندية تقليدية للغاية : الحب تحاربه اسرة الحبيبين لهذا السبب او ذاك ، ويمكن ان تضفى عليه بعض اللمسات الغربية كالموسيقى السريعة . لكن الاغانى تشكل ركنا أساسيا فى الفيلم وكذلك الرقص التعبيرى ، ويضاف إلى هذا الاثارة النابعة من الحدث . انه عالم لا تتغير فيـــــــه الاساسيات ابدا ، حتى ولو ترجم إلى جميع لغات العالم . كل هذا يجعل الفيلم الهندى يصل وقت عرضه إلى ثلاث ساعات فى المتوسط .

مجدى نصيف



الفنان الفلسطيني امين شموط .. يروي عذاب الفنانين التشكيليين في الارض المحتلة

الموت خارج الخيمة .. لوحة معبرة عن مأساة الوطن وتضحيات الانسان الفلسطيني من اجل استرداد أرضه

بقلم: حسن الملا

العشق المشترك للفنان الفلسطيني

هو واحد من الفنانين التشكيليين المرموقين فى العالم العربى .. وقد جاء الينا ومعه لوحاته التى تحمل الى جوار روعة الالوان والمساحات ، نبضات قلب فنان يعيش قضية وطنه ويحاول ان يقدم من خلال أعماله الفنية صرخة للضمير الانسانى لعله يستيقظ ليرى هول ما يحدث فى فلسطين المحتلة ..

وكان لقائى مع الفنان امين شموط اثناء تواجده فى الدوحة التى اتى اليها محملاً بنبضات قلبه المرسومة فى لوحات ، فهو احد الفنانين الفلسطينيين الذين اشتركوا فى المعرض التشكيلى الذى اقيم اثناء الاسبوع الثقافى الفلسطينى ..

وكانت بداية حديثى مع الفنان الموهوب ، حول الفن التشكيلى فى الأرض المحتلة .. هل يمكننى التعرف على ملامح هذا الفن .. وأهمية الدور الذى يقوم به فى الداخل والخارج ؟

ملامح القرى المهدومة

قال الفنان الفلسطينى امين شموط ، ان الفن التشكيلى عبر نشاطه الفردى والجماعى فى الارض المحتلة ، استطاع أن يسهم اسهاماً ملموساً فى حركة التشكيل الفلسطينى .. وفى عام ١٩٦٧ حاول العدو الصهيونى اغتصاب تراثنا الفنى وحضارتنا الثقافية الفنية حتى يقضى على هويتنا الفلسطينية ، وفى سبيل ذلك كانت محاولات القمع اليومى لفنانى الأرض المحتلة من اعتقال وتحديد الاقامة لأى فنان يرسم من وحى الأرض الفلسطينية ، إلا ان إيمان الفنان الفلسطينى التشكيلى بارضه واهله جعله يقاوم القمع ، ويرصد حركة الواقع ويسجلها دون خوف او اهتمام بأى تهديد ، وقد رأينا هذا الفنان يتخذ لنفسه فى كل عام شعاراً يحاول تطبيقه فى لوحاته ففى عام ١٩٨٠ كان شعاره هو الأرض الفلسطينية فكنت ترى فى كافة لوحاته هذا العام بالذات الاهتمام الخاص باظهار التعاطف الوجدانى مع الارض وحقنا التاريخى فى كل ذرة من ترابها .. وفى عام ١٩٨١ كان شعارنا هو القرية الفلسطينية لتسجيل معالم القرية العربية فى فلسطين خوفاً من ضياعها نتيجة لهدمها وازالتها من قبل العدو الذى يدعى باستمرار أن القرية تمثل المأوى الأمن للعمل الفدائى والتهديد المباشر لامن الدولة !

اما فى عام ١٩٨٢ فقد رفعنا شعار القدس فى لوحاتنا ، حتى تبقى حية فى افئدة العالم العربى والاسلامى ، وحتى يتأكد امام العالم كله مدى الارتباط الوثيق بين الفنان الفلسطينى وارضه ، ومدى حبه الكبير لقضيته التى سيظل يدافع عنها طالما تجرى الدماء فى شرايينه ..



فتاة من فلسطين .. بزيها الوطنى وملامح الوجه المعبرة عن معاناة الانسان الفلسطينى داخل الارض المحتلة

● اعتقل العدو معظم الفنانين الذين اشتركوا فى معرض « نابلس » عام ١٩٧٣ !

● أبسط الأشياء داخل فلسطين المحتلة : حرق اللوحات الفنية بأمر الحاكم العسكرى !

● من هو الفنان السجين الذى أرسل لزوجته وأولاده من خلف القضبان لوحة « العصفور » الباحث عن الحرية ؟



البندقية في الانتظار

الرحيل

المصادرة الفنية

قلت للفنان أمين شموط : ولكن ، متى بالتحديد بدأت الحركة التشكيلية فى فلسطين المحتلة تنمو وتتجمع لاقامة ''المعارض الفنية'' ؟

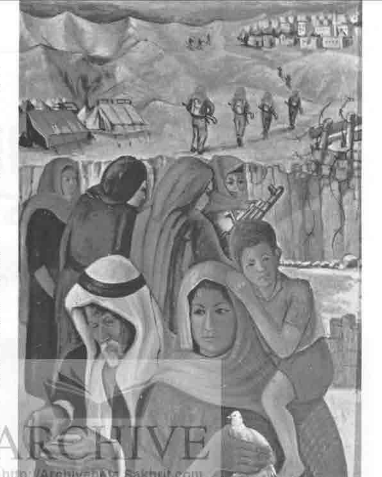
قال لى : بعد عام ١٩٦٧ اخذت الحركة التشكيلية فى الأرض المحتلة من فلسطين تنمو وتتجمع لاقامة المعارض الفنية فى كل مدينة مثل نابلس ورام الله والقدس وغزة وبيت لحم وغيرها من المدن الفلسطينية .. وفى عام ١٩٧٢ شهدت جمعية الشبان المسيحية بالقدس معرضاً مشتركاً لأكثر من عشرة فنانين من الضفة الغربية ومن قطاع غزة .. ثم توالت المعارض واخذت البلديات والجمعيات الاهلية تساعد الفنان فى اقامة المعارض ، حتى دعت بلدية نابلس عام ١٩٧٣ لاقامة معرض تشكيلى فى صالة البلدية ، واشترك فيه أكثر من عشرين فنانا ، ولأن هذا المعرض كان يضم أكبر تجمع للفنانين داخل الارض المحتلة فقد رأينا العدو الاسرائيلى يبادر باعتقال العديد من الفنانين الذين ساهموا فى هذا المعرض ، لادراكه مدى اهمية الدور الذى يمكن أن يساهم به الفن التشكيلى فى مخاطبة الضمير العالمى ..

● وهل توقف الفنان التشكيلي عقب حملة الاعتقالات للفنانين فى عام ١٩٧٣ ؟ ..

ـ بالطبع لا .. وإن كان قد بدأ يحقق معاناته الفنية على لوحات يكدسها فى منزله منتظراً اللحظة المناسبة .. وكان كثيرا ما يلجأ الفنان الى اخفاء لوحاته حتى لا تتعرض للتلف والحرق من قبل سلطات الاحتلال فى حالة العثور عليها ، خاصة بعدما احرقت سلطات العدو ما يزيد عن ستين لوحة فى غزه عام ١٩٧٨ واغلقت دار عرض (جاليرى ٧٩) فى مدينة رام الله ، وكما تعرف فان الحاكم الاسرائيلى له سلطة الاعتقال والتوقيف ومصادرة اللوحات ، ومن ضمن اختصاصاته ـ ايضاً ـ عدم اقامة المعارض الفنية إلا باذنه ، وتعطيه هذه السلطة حق تفتيش محتويات المعرض ، وهو حريص على مصادرة اية لوحة فنية تحمل الوان العلم الفلسطينى او تعبر عن وجدان الشعب وتعاطفه مع ارضه !

مصاعب الطريق

وهنا كان لابد ان اسأل الفنان أمين شموط : هل يعنى استعراضك لتاريخ الفن التشكيلى فى



الانطلاق

فلسطين انه لم يتبلور إلا بعد الستينات٠؟ ..

ـ نعم .. فالحركة التشكيلية ظهرت وتبلورت بشكل جماعى فى فلسطين فى الستينات بالرغم من المحاولات السابقة والتى تعود الى قبل ذلك التاريخ بسنوات .. فقبل الستينات كانت هناك ايضا محاولات فردية وجماعية غطت جميع مدن الضفة الغربية وقطاع غزة وحيفا وعكا والناصرة وغيرها من المدن المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وقد أسهمت هذه المحاولات فى خلق وعى فنى فى داخل الأرض المحتلة ، وكان لاقبال الجمهور وتشجيعه لها اثر كبير فى نفسية الفنان ومحاولته مواصلة الطريق الذى شقه بصدق وموضوعية .. وفى ذلك الوقت كانت ـ ايضاً ـ جميع اعمال الفنانين الفلسطينيين تعبر عن معاناة الانسان الفلسطينى وتطلعاته وطموحه الى استرداد ارضه ، رغم أنه كان يعانى من صعوبة الحصول على الخامة والادوات اللازمة والمطاردة البوليسية !

العصفور والحرية

● إذن هل يمكننى ان اتعرف على الفنانين التشكيليين الموجـــودين داخـل الســـجون الاسرائيلية٠؟

ـ هناك العديد من الفنانين التشكيليين داخل سجون اسرائيل ، وفى مقدمتهم الفنان التشكيلى خالد العمورى الذى يقضى حكما بالسجن فى عسقلان مدته ١١ عاما ، وقد شارك فى معرض جماعى فى نابلس فى شهر ايار عام ١٩٨٠ من داخل سجنه ، وكانت مشاركته عبارة عن عشر بطاقات رسمها وارسلها لزوجته واطفاله من وراء القضبان ، وتمثل إحدى هذه البطاقات خمسة من العصافير الصغار فى عشهم ينظر اليهم العصفور (الاب) من خلف قضبان القفص الذى وضعوه ـ وحيدا ـ بداخله ، وكانت هذه البطاقة رمزا من رموز الهموم المشتركة للانسان الفلسطينى الباحث عن هويته الوطنية حتى لو كبلوه بالقيود وحتى لو اذاقوه مر العذاب وهدموا بيته وشردوا اهله !

المعرض القادم

وانتقلت بعدذلك مع الفنان امين شموط الى حديث عن الاتحاد العام للفنانين التشكيليين باعتباره المسئول عن نشاطه ، قلت له : باعتبارك مسئول عن الاتحاد العام للفنانين التشكيليين بفرع الكويت ، هل يمكننى التعرف على ملامح الاتحاد العام ونشاطاته٠؟

وقال لى : يتكون الاتحاد العام من اربعة فروع فى الكويت ودمشق وبيروت والأرض المحتلة ، ويتصل بالفنانين التشكيليين فى بلدان أوربا كفرنسا والمانيا وفى بلاد اسيا فى اليابان وباكستان وغيرها .. ويقوم الاتحاد بنشاطات عريضة فى مجال المعارض المختلفة الجماعية ، فقد اقيم معرض ضم أكثر من ثلاثين لوحة فى برلين فى ٦ يونيو عام ١٩٨٠ ، ومازال هذا المعرض حتى يومنا هذا ينتقل بين عدة دول منهـــــا بولندا والمجر ويوغسلافيا .. وهو الآن موجود فى مدينة براغ بتشيكوسلوفاكيا .. وهذا المعرض يضم اعمال اكثر من اربعين فنانا فلسطينيا ، وقد اعتبرته الصحافة فى هذه البلاد « قنبلة حضارية فلسطينية » ..

وهذا بالاضافة إلى ان فروع الاتحاد تقيم معرضا بصفة مستمرة حسب المناسبات ، ففى الكويت على سبيل المثال اقيم معرض بمناسبة يوم الأرض ، اشترك فيه اكثر من ٣٥ فنانا من الأرض المحتلة من بينهم سليمان منصور وابراهيم سلبا وتيسير شرف ونبيل عنانى وعصام بدر .. وهناك معرض اخر اقامته الكويت واشترك فيه فنانون من الكويت وضم ١٢٠ لوحة كان من بينها خمسون لوحة من الأرض المحتلة تحت شعار : القرية الفلسطينية ..

● إذن فمعرض الفن التشكيلى فى الدوحة ضمن اختصاص نشاط الاتحاد العام٠؟

ـ طبعا .. فقد ساهم الاتحاد العام بستين لوحة شاركت فيها فروع الاتحاد الأربعة وخاصة فرع الأرض المحتلة الذى اشترك باحدى عشر لوحة تمثل القرية الفلسطينية ، وقد عرضت اللوحات ضمن الاسبوع الثقافى الفلسطينى الذى استضافته دولة قطر ، وكان إطلالة واعية فى قلب الدوحة التى غدت منتدى عربيا أدبيا وفنيا ، فالمعرض يسهم فى ابراز الوجه الحضارى للانسان الفلسطينى ، وكل املى ان يكون المعرض القادم فى دولة قطر بالمشاركة مع الفنانين القطريين وتحت شعار « القدس عربية » ..

والى هنا ينتهى حوارى مع الفنان الفلسطينى امين شموط ، الذى اتى الينا بلوحات تحمل خفقات قلب الفنان وهى تنبض بحب الوطن وعشق ترابه ..

حسن الملا

وما الحياة إلا آكل ومأكول!

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح



بداية حلقات سلسلة الطعام نبات ، وعليه تتغذى حشرة المن الصغيرة (مكبرة حوالى ٣٠ مرة) فتغرس خرطومها لتسحب عصارته ، لكن من يأكل المن بعد أن أكل ؟ .. انظر الصورة التالية !





يوضح هذا الرسم ان الحياة تقوم على سلاسل متشابكة من الطعام .. وانها تتخذ شكلا هرميا فى قاعدته توجد الكائنات الطحلبية لتصبح طعاما لما فوقها من حيوانات قشرية تتغذى عليها الأسماك ثم تاتى الكائنات الأكبر ومنها الانسان ، لتاكل ما تحتها بما اكلت ، لكن لابد ان تهدم القمم وتتحول إلى قواعد لتدور الدورة باكلين وماكولين .

قد يأكل الدعسوقة طير قد يستهلك منها المئات ، أو تأكلها حشرة اكبر منها ، ثم تاتى التى لتؤكل ، تروح فى بطن حشرة فرس النبى أو جمل اليهود ، فيقطع لحمها بفمه الذى يشبه المنشار ، لكن كل من اكل لابد ان يؤكل ! .. انظر الصورة التالية .

لو اننا تأملنا بعين العقل فى هذا الطوفان الدافق من ملايين الأنواع من المخلوقات فلابد ان نتوصل الى حقيقة أزلية وبسيطة .. وهذه الحقيقة تتمثل فى ظاهرة ملموسة قوامها التجدد ، اى التى يحل فيها الجديد محل القديم .. لا يختلف فى ذلك الانسان عن الحيوان والنبات والميكروب وسائر أنواع المخلوقات ، ما ظهر منها وما بطن فحيث تروح كائنات ، كان لابد ان تعوض بكائنات جديدة ليكون للحياة صفة الاستمرار فى الزمان والمكان ، وعلى مستوى الأنواع لا الأفراد ، وهكذا تستمر الحياة فى ديناميكية هادرة متجددة ، لتدور عجلتها بمخلوقاتها دورات لا تتوقف أبداً ، اللهم الا إذا حلت بهذا الكوكب كارثة لا تبقى فيه ولا تذر !

ولكى تدور العجلة ، فلابد من طاقة تغذيها ، وللطاقة مصادر ، ومن مصادرها الكائنات ذاتها ، ولهذا تسلط بعضها على بعض فى صراع أبدى ، ليحصل كل كائن على طاقته التى توقد فيه جذوة الحياة ، وكان لابد - والحال كذلك - من تقسيم الكائنات الى آكل ومأكول ، أو قاتل ومقتول ، أو مستهلك ومنتج ، أو قوى وضعيف ، الى اخر هذه المتناقضات التى يبدو فى ظاهرها الظلم والقسوة ، لكن فى باطنها يكمن العدل والرحمة ، ربما مصداقا لقوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .. وما يسرى على الناس ، يسرى على سائر المخلوقات !

وما الحياة إلا آكل ومأكول!



فكانما الحياة تضع مخلوقاتها دائما فى مازق صعبة ، اذ ما أصعب ان يتربص كل كائن ، بكل كائن اخر ليقتله فياكله ، والا فكيف تعيش الكائنات اذن دون ان تاكل ، لتحصل على طاقتها التى تقيم بها أودها ؟

لابد اذن ان ياكل الجميع على مائدة ضخمة واحدة ، ولا يهم ان تكون تلك المائدة منصوبة فى الغابات او البحار ، او ما تحت الثرى ، او ما فوق الثرى ، لكن كل من اكل ، فلابد ان يؤكل ، طال الزمان او قصر !

ومن هذا الصراع الازلى بين الاكل والماكول ، كان لابد من مناورات وحيل وتربص وخداع وهروب واختفاء وتصرف وحذر ، ومن خلال هذا التفاعل القائم بينها من قديم الزمن ، تصهر الكائنات وتصقل ، وليكون البقاء فيها للانواع القوية الصامدة اما المتخاذلة والمتواكلة ، فالى الانقراض او الجحيم ، ذلك ان الحياة تحب الاقوياء وتناصرهم ، وتخذل الضعفاء ، وتتخلى عنهم ، فكانما الحياة فى مشوارها الطويل تنشد القوة والصمود والتجدد ، والتجدد تطور ، والتطور يسرى إلى الاحسن دائما ، وتاريخ الحياة على الارض خير شاهد على ما نقول !

سلاسل متشابكة

الموضوع لاشك طويل ومتشعب ومثير ، ويحتاج الى دراسات ودراسات ، من اجل هذا سوف نقدم هنا جانبا واحدا يتناول فئات الآكلين والماكولين ، وكيف توجه الحياة دفتها بدقة بالغة ، لتوازن بين الانتاج والاستهلاك ، حتى تيسر لكل نوع من المليونين ونصف مليون نوع طعامه الذى يناسبه .

تأتى الضفدعة لتلتهم الحشرات الاكبر كفرس النبى او اليعسوب ، وتسير حلقات السلسلة صعودا نحو كائنات اكبر

ان الانسان نوع وحيد وفريد ، وهو بعقله المدرك يستطيع ان يروض كل ما فى الارض لنفسه ، فينوع فى طعامه وشرابه وملذاته بما لا يستطيعه اى كائن اخر ، فلننظر الى موائده وهى زاخرة بكائنات كانت تاكل قبل ان تؤكل ، ولنلتقط منها صنفا ، وليكن ذلك شريحة سمك يبلغ وزنها نصف الكيلوجرام ، ومن الممكن ان يلتهمها انسان ، فلا يزيد وزنه منها الا بمقدار ٥٠ جراما ، اذ اننا لا نستفيد بكل ما ناكل ، بل تذهب نسبة كبيرة بين نفايات واحتراق وترميم المهدوم من الانسجة وما شابه ذلك ، ولو استفدنا بكل ما ناكل ، وصار فى اجسامنا مخزونا ، لبلغنا النخيل طولا ، والحيتان كتلا ، وهذا ما لا نراه حقا وصدقا !

ان شريحة السمك التى تزيد فى وزن الانسان خمسين جراما ، كانت فى الأصل خمسة الاف كيلوجرام من الطعام ، او بالتحديد كانت كائنات بحرية دقيقة تعرف باسم الطحالب ، وهى بمثابة المراعى البحرية غير المنظورة التى تعيش عليها كل الحيوانات البحرية ، ما صغر منها وما كبر ، وكل كائن منها ياكل ما قبله او ما تحته ، وبحيث يبدو أن الكائنات جميعا تنتظم فى شكل اشبه بهرم متدرج ، قاعدته المراعى المائية الدقيقة ، وقمته الحوت او هذا الانسان الجالس الى المائدة ، وما بين القاعدة والقمة يتدرج الانتاج والاستهلاك على هيئة حلقات تضيق كلما ارتفعنا الى أعلى ، وطبيعى ان قاعدة الهرم هى الأساس وفيها يتراص أكبر عدد من وحدات البناء ، ثم قد ينتهى الهرم عند قمته بوحدة بنائية واحدة ، وهذا بالضبط ما نراه فى سلاسل الطعام ، ولكى نوضح ذلك أكثر ، فلابد من تقديم مثال .

ان خمسة الاف كيلوجرام من الطحالب

على ان سلاسل الطعام قد تكون ابسط من ذلك ، فقد تتكون من حلقتين فقط .. النبات حلقة ، والانسان اخرى .. اى من المنتج الى المستهلك راسا ، فنحن ناكل النبات على هيئة فاكهة وخضروات وحبوب وثمرات ، او قد تدخل بين الحلقتين حلقة اخرى وسيطة ، فالخروف مثلا ياكل النبات ، ونحن ناكل الخروف ، او قد تكون اربع حلقات .. الارنب يعيش على النبات ، وياتى الثعلب لياكل الارنب ، ثم يفترس النمر الثعلب ، وياكله بما اكل !

وطبيعى ان دخول حلقات وسيطة بين المنتج والمستهلك ، تؤدى الى فاقد كبير فى الطاقة المخزونة ، لان الكائنات لا تستفيد بكل ما تاكل ، وهذا ما اوضحناه فى مثلى الانسان والحوت ، لان « السلعة » الغذائية عند القاعدة تمر بعدد من الاكلين ، وكل ياكل ما تحته ، او ما هو اصغر ، فلا يزيد وزن الآكل إلا بجزء ضئيل مما اكل (حوالى العشر فقط) .

ولاشك ان النباتات البرية او البحرية ، تمثل دائما بداية الانتاج ، وهى اول حلقة من حلقات الطعام ، لانها تستفيد بالطاقة الشمسية ، وتحولها الى طاقة كيميائية مخزونة فى كل ما تنتج من اخشاب وحبوب وثمرات وزيوت .. الخ ، وعلى هذا المخزون من الطاقة ، تعيش كل الحيوانات ، بما فى ذلك الانسان ، وتهدم ما تاكل ، لتحرر الطاقة التى تهبها الحياة .. اذ لا حياة بدون طاقة .

ولابد ان يتيسر لكل كائن طعامه على حساب كائن اخر ، فالنوع (ا) قد يستطيب طعم النوع (ب) ، الذى يقع بدوره ضحية للنوع (ج) الذى يتربص به النوع (د) الذى يقع فريسة للنوع (هـ) .. الخ ، ومع ذلك فعلينا ان نوضح ذلك بعدد من الصور لنتبين بها كيف تراكبت الحلقات ، ليكون هناك دائما اكل وماكول !

على معظم النباتات تعيش جيوش هائلة من حشرات غضة صغيرة تعرف باسم المن النباتى (حوالى ٣٠٠٠ نوع) ، وهى تمتص عصارة النبات ، وقد تسبب خسارة فادحة فى المحصول (شكل ١) ، لكن ذلك قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان هناك انواعا كثيرة من الحشرات تاكل المن النباتى بما اكل ، منها على سبيل المثال الحشرة المعروفة باسم « ابى العيد » او الدعسوقة (حوالى ٣٤٠٠ نوع) ، فهى تستطيب امتصاص ما فى جسم المن من رحيق او عصارة ، ولهذا تستهلك يرقة ابى العيد (اى طور الدودة) وحدها حوالى ٥٠ ضحية يوميا ، والحشرة البالغة تستهلك عددا اكبر



بينما الضفدعة تهضم وليمتها ، تاتيها مصيبة على هيئة حية تسعى فتاكلها ــ كما ترى هنا ــ بما اكلت

الخضراء يمكن ان تعيش عليها حيوانات قشرية او مجدافية صغيرة ، او حتى ذرية السمك التى خرجت من بويضاتها ، وبهذه الكمية الضخمة من الطحالب يتكون حوالى ٥٠٠ كيلوجرام من الحيوانات التى ذكرناها ثم تاتى سمكة مثل « الهف » (وهى الاحجام الصغيرة) لتعيش على ما قبلها من كائنات صغيرة ، فيزيد وزنها إلى ٥٠ كيلوجراما ، ثم تصبح سمكة الهف طعاما لسمكة اكبر هى « البيكيريل » ، فتتحول الخمسون كيلوجراما من الهف ، الى خمسة كيلوجرامات من « البيكيريل » ، وتاتى اسماك التونة الكبيرة لتاكل البيكيريل بما اكلت ، فتصبح الخمسة كيلوجرامات نصف كيلوجرام لا غير ، وهى التى رايناها قبل ذلك على احدى موائد الانسان ، فياكلها بدوره ، لتزيد من وزنه ٥٠ جراما .. اى ان الانتاج عند القاعدة بدا بخمسة اطنان ، وانتهى فى الانسان بخمسين جراما ، اى بنسبة مائة الف إلى واحد !

وفى كتابه القيم « انت والكون » يقدم لنا البروفيسور ن . ج . بيريل سلاسل الطعام او حلقاته بصورة اخرى فيقول : ان الحوت الاحدب ــ وهو ليس من الحيتان الضخمة على اية حال ــ يحتاج فى الوجبة الواحدة الى ما يعادل طنا من اسماك الرنكة (من جنس السردين) لكى يحس بالشبع ، وهى كمية تحتوى على ما يقرب من خمسة الاف سمكة ، وكل سمكة تحتوى فى جوفها على حوالى ستة او سبعة الاف حيوان قشرى صغير ، وكل حيوان قشرى بدوره يحتوى فى امعائه على عدد من الطحالب الدقيقة قد يصل إلى ١٣٠ الف طحلب ، او بمعنى اخر ، فان اربعمائة الف مليون طحلب ، تكفى بالكاد لاعالة حوت متوسط الحجم بوجبة واحدة تكفيه عدة ساعات !





فى القمة يدور صراع رهيب بين الآكل والمأكول .. بين الحية والنسر وغالبا يتغلب النسر على الحية بما أكلت وأكلت .. الخ

(شكل ٢) ، وقبل ان تهنا هذه او تلك بوليمتها ، ياتيها من يلتهمها .. إما طير ، واما حشرة اكبر هى اليعسوب او الرعاش ، وقد يقع هذا فى براثن من لا يرحم ، إذ تاتيه حشرة فرس النبى (او جمل اليهود او السرعوف) ، فتاكله قضمة من وراء قضمة ، الى ان يروح فى خبر كان (شكل ٣) ، وقد يقابل اليعسوب او السرعوف ضفدع جائع فياكل هذا او ذاك بما اكل (شكل ٤) ، وما دام الضفدع قد اكل ، فلابد ان يدخل فى الحلقة ليؤكل ، اذ ياتيه «جزاره» على هيئة حية تسعى ، فتاكل الضفدع (شكل ٥) ، وفى النهاية تقع الحية وليمة لصقر او نسر ، وتدور بينهما معركة (شكل ٦) ، وغالبا ما يتغلب النسر ، فيحمل وليمته بما اكلت واكلت واكلت .. الخ (شكل ٧) ، اى نباتا فى دعسوقة فى يعسوب فى سرعوف فى ضفدع فى حية فى نسر ، وبهذا يحتل النسر قمة الهرم !

القمم تتحول الى قواعد !

ولاشك ان الجالسين فى قمم النظم الهرمية لسلاسل الطعام هم اقوى الكائنات غالبا ... فالانسان قمة ، بل هو قمة القمم ، لانه ـ بعقله المدرك ـ يستطيع ان يروض كل خلق اخر لحسابه ، بما فى ذلك النسور او الصقور او النمور او الأسود ، وهى التى يطلق البعض عليها اسم «الملوك» .. فالنسر ملك الطيور ، والأسد ملك الغابة ، والحوت ملك البحار ، او ما شابه ذلك ، والانسان هو سيدها جميعا !

لكن .. هل يدخل هؤلاء الجالسون على القمم فى سلاسل الطعام ؟

بالتاكيد نعم .. فكل من ياكل ، لابد ان يؤكل ، طال الزمان او قصر !

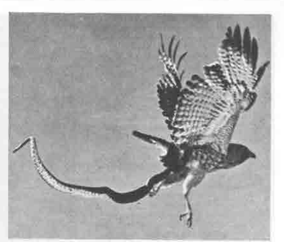
ان الانسان بين المخلوقات ـ هو قمة القمم ، وله عوامل او اعداء تنال منه ، وتدخله رغما عنه فى الحلقة ، فقد يصبح الانسان عدو نفسه بحروب لم تخل الارض منها فى اية حقبة من الحقب ، او بامراض واوبئة ومجاعات وحوادث وشيخوخة تؤدى الى موت لا مفر منه ولا مهرب ، ولابد ان يعود الى الارض ، فياكله الميكروب ـ اضأل مخلوق يعيش على هذا الكوكب .. لقد ظل الانسان ياكل وياكل سنوات طويلة ، لكن الميكروب ياكله ويحلله فى ايام قليلة ، فيتحول جسده الى غازات وعناصر وتراب .. فمن التراب قد نشا ، والى التراب يعود ، وكذلك كل مخلوق اخر صغر شانه او كبر ، فكل هؤلاء غنيمة ميسرة على مائـــدة الميكروبات التى تصيبهم احياء ، ثم تحللهم أمواتا ، وعلى عناصر الاموات يتغذى النبات ، وهكذا تدور الدورة مرة ومرة ، كما دارت قبل ذلك ملايين وبلايين المــــرات (شكل ٨) .

ان كل دورة تجعل من قمة الهرم قاعدة ، او من النهاية بداية ، او تقلب الأمور لتجعل اعلاها اسفلها ، ولقد كان النبات بداية ياكل منها الميكروب والحيوان والانسان ، ثم تظل حلقات سلاسل الطعام تدور بينها ، فيكون لكل كائن حى طعامه الذى يناسبه ، وسواء وصل الى القمة (كما فى الانسان او الاسود او النسور او الحيتان .. الخ) ، او احتل درجات بين القمة والقاعدة (كالضفادع والأرانب والحشرات والحيات .. الخ) ، فلابد ان يعود الكل الى التراب ، فياكل النبات عناصر كل من اكل عناصره ، لتبدا الحلقات من القاعدة الى ما فوقها .. «منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى» .. «قل هو يبدىء ويعيد» .. انها دورات فى اثر دورات ، «لكن اكثر الناس لا يعلمون» !

دورات موزونـــة

ثم ان كل شىء مقدر تقديرا حسنا ومتقن من البداية ، وبحيث يسترد كل كيان وديعته التى منه قد راحت ، فالنبات يسترد وديعته من الحيوان ، والأرض تسترد عناصرها التى امتصها النبات ، فاخذها الحيوان ، وعاش ومات وعاد ، وكانما شعار الحياة هنا «مات الحيوان .. عاش النبات او العكس ، لان الموت حياة ، والحياة موت ـ بمعنى ان موت اى كائن ، هو حياة لكائن اخر ، فكل الطعام اموات .. انها كائنات تعيش على اشلاء كائنات ، او عناصر ومركبات تنتقل من اجيال زائلة ، لتحل فى اجيال قادمة ، فيكون التجدد والتجدد قوة وحياة يا أولى الألباب !

قلنا ان الأرض لابد ان تسترد وديعتها التى سلبت منها ، فإذا حدث ما اعاق هذا المبدا ، فلابد ان تفلس الأرض وتبور ، اذ ان اية بيئة او اى نظام من النظم ، لابد ان يقوم كيانه على مبدا الاخذ والعطاء ، ولا يمكن ان تستقيم الأمور مع اخذ مستمر ، او عطاء مستمر ، بل لابد من حلقة اتصال توصل بينهما ، لتعيد كل شىء الى توازنه ،



يحمل النسر ضحيته الى عشه وافراخه ، فيصبح النسر قمة الهرم او آخر حلقة كبيرة فى السلسلة ، لكن .. لابد ان يموت فيؤكل .



الصورة لميت دفن تحت شجرة ، وامتدت جذورها نحوه لتاكل من عناصره فكأنما من التراب خلقنا جميعا والى التراب نعود فى دورات لا تتوقف ابدا

لأن الخلل فى بيئة من البيئات ، يؤدى الى فوضى لا تستقيم معها أمور الحياة ، لكن ذلك موضوع طويل ومتشعب ، وقد نعود إليه فى دراسة أخرى قادمة ، لنوضح ان ما خفى كان اعظم .

خذ على سبيل المثال عالمى البر والبحر ، لنوضح بهما بعض ما قدمنا فاوجزنا ، فنحن نستنزف من المسطحات المائية عشرات بل مئات الملايين من اطنان الكائنات الحية فى كل عام ، ما بين اعشاب بحرية ، واسماك ورخويات ومحاربات .. الخ ، ولو استمر الحال على هذا المنوال ، فربما يفلس الماء فى العناصر التى تدخل فى تكوين احيائه ، لكنه لن يفلس ، رغم ضخامة الاستنزاف ، فلقد دبرت الأمور تدبيرا حسنا ليسترد البحر وديعته دون ان يتدخل احد فى ذلك ، فمن البحار والمحيطات يتصاعد الماء بخارا ، فيتكون سحابا ، ثم يسقط امطارا ، لتكون جداول وبحيرات وانهارا ، ولاشك ان الامطار تغسل البر ، وتذيب بعض عناصره التى تحتوى على شىء من عناصر الاموات ، او رفات الكائنات التى اكلت والتى لم تاكل من خيراته ، ثم يعود الماء بما حمل ، ليصب الوديعة فى البحار من خلال الانهار ، فكأنما هو ايضا آكل وماكول .. تاكل منه ، ويأكل منا ولكل شىء هنا حساب وْمقدار !

ما بين انتاج واستهلاك !

ولقد تأسست الحيـــــاة على مبدأين اساسيين ، اولهما : عليك ان تاكل قبل ان تؤكل ، وتناسل وتكاثر ، لتبقى للانواع صمودها واستمرارها عبر الزمان والمكان .

ولكى تتوازن معادلة الحياة بين آكل وماكول ، او مستهلك ومنتج ، كان لابد ان تسير معدلات التناسل بموازين مضبوطة ، حتى يكفى الانتاج ما يتطلبه الاستهلاك .

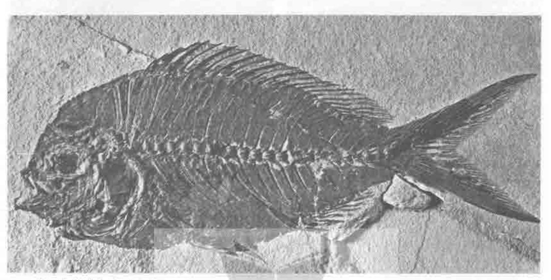
خذ لذلك مثالا بالحوت الذى قدمناه من قبل ، انه هنا بمثابة المستهلك ، ولابد أن يأتيه الاستهلاك على هيئة حلقات من الطعام ، وكل حلقة تاكل ما قبلها ، حتى تصل الى الكائنات النباتية الدقيقة المعروفة باسم الطحالب ، فهى المصدر الأساسى لاطعام كل الحيوانات البحرية .. بداية من الكائنات الصغيرة ، ونهاية بالكائنات الكبيرة ، ولاشك ان الطحالب تكون القاعدة الكبيرة والعريضة فى سلاسل الطعام ، ورغم كونها صغيرة جدا ، الا انها تتكاثر بسرعة رهيبة جدا ، فتنتج بلايين البلايين من الافراد ، والبلايين تكفى للملايين التى فوقها من حيوانات قشرية صغيرة ، ولابد ان يكون معدل التناسل فيها اقل من الطحالب بدرجات ، ثم تاتى التى فوقها لتاكل منها الملايين ، فتكفى لانتاج الالآف ، وتاتى الأسماك لتاكل الالآف ، لكنها تتكاثر بالمئات ، واخيرا نصل إلى الحوت الذى يتكاثر بمعدل ضئيل للغاية ، ربما حوت صغير واحد فى كل عام !

ومن الاسماك ما يضع بيضه بالملايين ، فتاكل الكائنات نسبة من هذا البيض ، لأنه غذاؤها المفضل ، وعندما يتمخض البيض عن اسماك صغيرة ، فان نسبة كبيرة تروح فى بطون الاسماك الكبيرة ، وعندئذ لن يتبقى من الملايين الا الآلاف او المئات ، ولولا هذا التحديد من البداية ، لما وجدت الملايين ما تاكله ، اذ لابد ان يتعادل الانتــــاج مع الاستهلاك .

والامثلة بعد ذلك كثيرة ، وهى تشير الينا ان المخلوق كلما زاد حجمه ، وكثر استهلاكه تضاءلت معدلات نسله ، وكلما صغر شانه تضخمت ذريته .. فالميكروب مثلا يستطيع ان يعطى ثلاثة اجيال متعاقبة كل ساعة ، وبعد يوم واحد تصل ذريته الى بلايين فوق بلايين ، وهو لا يستمر فى حياته على هذا المعدل ، اذ لو حدث ذلك ، لتغطت الارض كلها بطبقة من الميكروبات فى غضون يومين اثنين ، لكن هناك عوامل كثيرة تتدخل فى التناسل ، وتحد من معدلاته ، فيجد كل نوع من المليونين ونصف المليون نوع من الكائنات التى تزخر بها الأرض فى برها وبحرها طعامه المقدر والمناسب ، وليكون هناك دائما اكل وماكول ، ومستهلك ومنتج ، وقديم وجديد ، وصراع وصمود ، وتوازن محمود ، ليسير كل شىء حسب خطط مقدرة وقوانين محددة ، وشرائع مقننة .. وفى ذلك الكفاية لقوم يدركون فيفقهون .

دكتور عبد المحسن صالح

المعرض الجيولوجي في متحف قطر الوطني
أول معـرض من نوعه في الوطن العـربي



هذه البقايا المستحجرة لهذه السمكة ، عاشت فى بحار « الايوسين » منذ خمسين مليون سنة فقط . ويطلق عليها علماء « الباليانتولوجيا » اسم « باقيلاس ما يكرودون » !

أسماك وقواقع ومحارات عاشت منذ ملايين السنين !

بقلم : درويش مصطفى الفار

هذا اول معرض من نوعه فى العالم العربى .

فلقد جرت العادة ان تكون المعارض فنونا ، او مطبوعات ، او ازياء .. إلى اخر ما تنتجه وتبدعه يد الانسان ، ترويجا لسلعة ، او تكريما لمبدع .

لكن وزارة الإعلام فى دولة قطر ، باعتبارها احدى الدول العربية الجيولوجية ، هى التى شغلت باقامة هذا المعرض الفريد من نوعه . إذ قامت بتوجيه الدعوة إلى الجيولوجى الدكتور عبد الهادى احمد المقيم فى كولونيا بالمانيا الغربية ، لاقامة معرض جيولوجى عن الصخور والحجارة والمعادن والحفريات المستحجرة من الاسماك والقواقع والمحارات التى عاشت فى بحار الأرض منذ ملايين السنين ، وعن انواع اللؤلؤ الطبيعى والمستزرع ، مع ما يقارب ١٥٠٠ عينــــة من مختلف اشكال البللورات الطبيعية للمعادن والخامات .

ان هـــــذا المعرض الفريد يقــام تحقيقا لنشر الــوعى الجيولوجى فى البـــلاد العربية البتروليـــــــة ، وذلك بعرض مصنوعات فطرها الله فى قشرة الارض مما لا تتيسر رؤيته للانسان العادى فهو عمل جديد بالنسبة للمعارض العربية .

فعندما يرى الانسان بلورة من معدن البيريك او المــرو او اي خامة معدنية فانه دون شك يتأثر تأثرا بالغا لا يكاد من وطأته ان يصدق ان هذا الشيء الذى اقامه نتيجة طبيعية لتفاعلات مكونات القشرة الارضية . كما ان القليل من الناس يدرك ان الله سبحانه وتعالى قد اوجد المخلوقات فى البحار منذ ملايين من السنين تعد بالمئات والالاف مما يعطى للانسان عمقا فى التصور بالنسبة لعمر هذا الكون . فضلا عن ان تعدد الالوان وتنوعها واختلاف درجات البريق واللمعان ودقة الخطوط والزوايا فى تلك الجوامد التى تتركب منها الأحجار والصخور قد لا يكون واردا فى تصور الانسان العادى . فاذا ما اتيحت له الفرصة ان يراه فلابد ، وانه



ليس هذا هو الياقوت ، ولكنه نوع من « التورمالين » يسمى « الروبيلايت » .. إنه إلى جانب جماله له خواص الكترونية عجيبة

يقيد وجدانه وينمى قدراته على التصور ..

وفى هذا المعرض يزول الغموض الذى يكتنف احيانا فكر الانسان العادى الذى لم يتعرض للتعرف على الجيولوجيا . العلم الذى نكتشف به البترول والثروات المعدنية ... من حيث الخلط بين المعدن والفلز والحجر والصخر ...

فالفلز عنصر كالحديد والنحاس والذهب والمعدن مركب طبيعى ، من غير مصدر حي ، يتألف من اتحاد عناصر مع بعضها اتحادا كيماويا ... ومن معدنين فاكثر يتكون الصخر او الحجر .. واحيانا يكون المعدن عنصرا واحدا كالكبريت ، واحيانا يكون الصخر من معدن واحد كاحجار الجبس والصخور نارية متبلورة او رسوبية ناجمة عن صخور سبقتها فى الوجود تحللت وانتقلت وترسبت تحت الماء او الهواء ومتحولة اعادت الحرارة والضغط او احدهما ترتيب معادنها فصارت شيئا اخر غير اصلها.

اما مقيم المعرض فهو الدكتور عبد الهادى مصيلحى احمد من مواليد الاسكندرية ، وممن اغتربوا فى طلب العلم فى المانيا الغربية ، وابلوا هناك بلاء حسنا اثبت قدرات الانسان العربى العلمية حيثما حط به الرحال . وعقب حصوله على الدكتوراه فى علم المعادن (المينارولوجيا) فى تعديل طريقة صناعة بلورات الياقوت لاستخدامها فى اشعة الليزر ، وهى الطريقة المسماة طريقة (فيرنوي) ، عقب ذلك استقر به المقام فى كولونيا واخذ فى جمع العينات المعدنية والصخرية والحفريات المستحجرة من جميع انحاء العالم ، واسس هيئة لمد الجامعات والمتاحف والهواة بمجموعات الصخور والمعادن والبللورات والاحجار الكريمة وما اليها من مكونات قشرة الأرض ، لنرى عقب ذلك كل هذا النتاج النادر فى صورة علمية متسقة .

درويش مصطفى الفار

إذا لم تجد الياقوت ،فيمكنك استخدام هذه الأنواع من الجارنت او المقيق ،التى تتعدد الوانها،ويمكن استخدام الاحمر منها نيابة عن الياقوت ويستخدم - ايضا - فى الالكترونيات وفى اعمال الصقل والتلميع ، ويصنع الآن شبيه له فى المعامل

أسماك وقواقع ومحارات
عاشت منذ ملايين السنين!



اللؤلؤ (الصناعى) المستزرع .. لاتدرك الفرق بينه وبين اللؤلؤ الطبيعى الا عين الخبير المدقق واللؤلؤ الطبيعى اشتهرت به قطر منذ قرون عديدة ، ومنه صُنع لزبيدة زوجة هارون الرشيد ثوب كامل كان اية فى الابداع والجمال كما تقول كتب التراث

عرف الأقدمون الزمرد ، واعتقدوا انه ذو صفات غريبة دفعتهم إلى التنافس فى اقتنائه ، حتى قيل ان إحدى الشخصيات الهامة فى العصر الفاطمى كانت تملك بضعة كيلات من قصبات « بللورات » الزمرد .. والزمرد اصلا يتكون من سليكات البريلليوم والألومنيوم ، ولكن خضرته تعود إلى شائب من الكروم !



الياقوت الاحمر .. إنه اثمن من الماس فى بعض الحالات اذا كان طبيعيا صافيا احمر كدم الحمامة كما يصفه العالم ابو يوسف التيفاشي . اليوم يصنعونه بصهر اكسيد الالومنيوم بطريقة (فيرنوى) فلا يساوى القيراط منه بضع دولارات .. الى جانب اهميته فى الحلى فهو اهم من اشعة الليزر ذلك المستحدث العلمي العجيب !

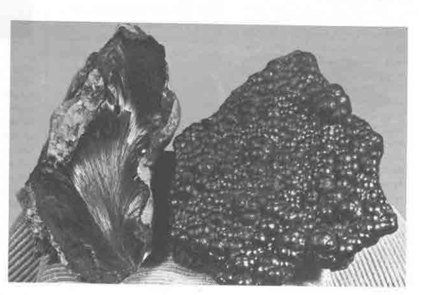
أنواع من المرو ، البللور الصخرى ، ما أكثر أنواع المرو . الاسود والوردى والذى لا لون له ...

أسماك وقواقع ومحارات
عاشت منذ ملايين السنين !



هذه البللورات كان المصريون القدماء يصنعون منها «الجعلان» فى المعابد .. وهى حجر شبه كريم ، يدخل احيانا مع الحلى على أنه حجر كريم يساوى وزنه ذهبا .. وهى تسمى بالعامية لدى بدو الصحراء الشرقية فى مصر (الكشران) بينما اسمها العلمي (الفلسبارات) !

الزبرجد، عرفه القدماء اول ما عرفوه فى جزيرة مصرية بالبحر الاحمر قبالة مدينة اسوان .



احد خامات الحديد ، أطلق عليه اسم الجوتايت ، تخليدا للشاعر الألمانى العظيم (جوته) إذ كانت تستهويه الجيولوجيا بمعادنها وصخورها واحجارها ، واشتغل بها زمنا وله فيها اراء !!

كهف الأخيار

قصـــــة

بقلم : الدكتور شكري محمد عياد



الدكتور شكرى محمد عياد استاذ الأدب العربى فى جامعة القاهرة . وقد شغل مركز أستاذ الأدب العربى فى جامعات السعودية لمدة خمس سنوات ، ويعتبر الدكتور شكرى من الأدباء والباحثين البارزين فى الحياة الأدبية العربية ، وهو إلى جانب ذلك كاتب قصة من الدرجة الأولى رغم قلة انتاجه فى هذا المجال ... والدوحة تقدم هنا النص الكامل لقصته الجديدة البديعة « كهف الأخيار » وهى أحدث الأعمال الفنية للأديب الفنان الدكتور شكرى عياد .

« ١ »

... ... قلت له : الناس هناك يسيرون على سطح القمر ، وانت تأبى إلا ان تغوص فى بطن الأرض . فنظر إلى طويلا . لم تكن عيناه زائغتين : على العكس : كان فيهما إصرار وتحد باخت امامهما سخريتي . قال لى : إذا اردت أن ترجع فأنت وشأنك . لن اعدم حيلة اخرى . خجلت انا . لو كان طارق زعيما شعبيا لقاد الالوف فى الشوارع يفتحون صدورهم لوابل الرصاص . لو كان قائدا حربيا لساق الكتائب إلى موت محقق (ولن ينجو هو بالطبع) . لو وقف على خشبة المشنقة لزلزل قلوب جلاديه ، ولكن زعامته كانت شيئا معكوسا : كم رايت وسمعت من زعماء همهم ان يمسحوا على غرور شعوبهم ، ان يتملقوهم ليدفعوا بهم إلى الهلاك . اما هو فكانت قدرته على أن يسير وحده هى كل قوته . كان يرى بوضوح شيئا لا يراه الاخرون . كانت فيه بقية من روح النبوة .. لا ، لم يكن محبوبا من احد .

« لن اعدم حيلة اخرى » ... هل كان بوسعه ان يقول اقسى من هذه الكلمات لأشعر بتفاهة دورى فى العملية كلها ؟ وهل كان بوسعى ـ مع ذلك ـ أن انكص على عقبى ؟ هو القائد وانا المقود ، ومع ذلك اشعر احيانا اننى يجب ان ارعاه



كطفل !

• •

اقرا هذه الأسطر فاجدنى اتكلم عنه احيانا بصيغة الماضى كما لو كان شخصا ميتا وانا اجلس الآن لادون سيرة حياته ، واحيانا اشير إليه كما لو كان حاضرا معى . قبل ان امضى فى قصتى يجب ان اصل إلى حل لهذا التناقض . انا اومن بان اللغة هى التى تحل المتناقضات ، وليس المنطق . فى جميع اللغات التى اعرفها « الموت » فعل يسند إلى فاعله البشرى كما يسند إليه فعل الضحك والبكاء والوقوف والجرى .. ويجهد المناطقة انفسهم ليفسروا هذه الظاهرة التى تبدو لهم شاذة : ان يكون الانسان هو فاعل الموت الذى ينزل به هو نفسه . واخيرا - اخيرا جدا يحدثنا فرويد عن غريزة الموت ، ويقول توينبى إن موت اى حضارة يقيمها البشر إنما هو فعل انتحارى . مسالة الحضور والغياب ، مثل مسالة الحياة والموت ، يجب ان تحل لغويا لا منطقيا . الموت فى اللغة يعنى إرادة ، إذن فهو يعنى حياة . الحضور والغياب فى اللغة كذلك . لا يوجد بينهما حد فاصل . الحضور لا يعنى إلا « انا » او « انت » . عندما يتحول « انا » او « انت » إلى « هو » يصبح الحضور غيابا ، كما تصبح الحياة موتا . وعندما تنهار الحدود هكذا يصبح الزمن لا قيمة له ايضا . فاما ديمومة وإما لحظة واحدة تتكرر إلى الابد . نحن فى اعماق نفوسنا لا نعترف بالزمن ولا نعترف بالواقع . اتذكر قصة حدثت لى منذ سنين كثيرة ، ولا تزال تخطر على بالى ، بمناسبة او بدون مناسبة ، فتبعث قشعريرة فى جسدى . كنت مرة واقفا على رصيف محطة . وقع نظرى على إنسان ، اصابنى الذهول . انه اخى ابن امى وابى . اقتربت منه اهم بان اعانقه . تذكرت فجاة انه مات منذ سنوات . سمعت صفير القطار وغاب وجهه فى زحمة المسافرين . لم اعرف إن كان ما رايته خيالا او حقيقة . صورة نفضها الذهن من مخزوناته او إحساسا واقعيا مباشرا . ماضيا او حاضرا او شيئا انخلع ببساطة من مجرى الزمن فليس بماض ولا حاضر . وكل إنسان اتفقت له حوادث من هذا النوع ، ولكننا ننساها لاننا لا نرتب عليها شيئا عمليا . وإذا كان قصدى من تسويد هذه الصفحات هو ان اكتب قصة طارق ، دون اى غرض عملى اخر ، ليقراها قارىء لا يرمى - بدوره - من قراءتها إلى اى غرض عملى ، فلست مضطرا لان التزم بالمنطق . إنما المشكلة هى اننا - طارق وانا - كنا فى مناقشاتنا الطويلة ننتقل بلا حذر ولا احتشام بين حقائق العلم وومضات الشعور : كان مطمحى الاكبر هو ان اجعل من دراسة اللغة والادب علما ، وكذلك كان يحاول فى تاريخ الحضارات . وكلانا كان يعتقد ان للانسان ، وكل ما ينتجه الانسان ، قوانين خاصة لا تشبه قوانين سائر العلوم ، واكثر من ذلك : ان قوانين الحياة الانسانية لا يمكن ان تصاغ فى اى لغة معروفة ، لانها إذا صيغت فى مثل هذه اللغة ، فقدت صدقها فى نفس اللحظة . ومع ذلك يجب الا يكف الانسان عن المحاولة . هل يستطيع غير ذلك - ؟

• •

لا ادرى هل كان لمناقشاتنا بعض التاثير فيما اعتزمه طارق من اقتحام الماضى او الغوص فى بطن الارض كما عبرت له ، ام اننى انا الذى تاثرت بافكاره عن الحضارة البشرية ، حتى ترجمتها إلى نوع من الفلسفة اللغوية ؟ المهم انه لم يجد صعوبة كبيرة فى إقناعى بمشروعه ، وشيئا فشيئا جعلت الفكرة تلح علينا بحيث لم نجد وسيلة للتخلص منها إلا تنفيذها . والذى اخشاه الآن ، وقد جلست لاكتب قصة هذه « المغامرة » ان تكون شخصية طارق نفسها ، مثل صورة اخى الميت ، قد خرجت من مجرى الزمن ، فهو غائب كالحاضر ، او لا غائب ولا حاضر ، فاكتب قصة لا هى بالحقيقة ولا الخيال ، مع اننى اردتها حقيقة خالصة ، فقد كنا نفكر اننا بصدد كشف علمى يمكن ان يهز العالم . ولو تم الامر كما تصورناه انذاك لكان الشىء الذى بين يديك الآن وصفا تفصيليا واقعيا لا يخلو من بعض اللمسات المستمدة من الحياة اليومية ، كالوصف الذى كتبه احمد حسنين باشا عن رحلة فى صحراء مصر الغربية (حتى يكون لمصر والعرب رحالة مثل لفنجستون) واكتشافه لواحة مجهولة . اما وقد حدث ما حدث ، فلابد من الاعتراف باننا لم نكن نفكر دائما مثل احمد حسنين (او لفنجستون) ، فقد كانت افكار الغياب والحضور والماضى والمستقبل والموت والحياة والاف الافكار الاخرى التى تصعب تسميتها تراودنا ايضا ، كجنيات الاساطير ونحن نخطط بطريقة علمية للعمل الجنونى الذى اقدمنا عليه فعلا ، وهانذا بعيد عن لفنجستون واحمد حسنين بعد السماء عن الارض ، لم احمل من رحلتنا العجيبة اى اثر ، ولم ادون اية يوميات ، لا املك إلا ذاكرتى المشوشة استمليها ، واخشى ما اخشاه ان تثمر افكارى الغريبة عن اللغة عملا ادبيا (معذرة إذا سميت محاولتى بهذا الاسم الفخم ، فالحقيقة انه لم يعد له اى احترام فى هذه الايام) شبيها بادب اللامعقول الذى اكرهه ، وقد تعرضت له فى رسالتى التى حصلت بها على درجة الماجستير مع مرتبة الشرف وتوصية بطبعها على نفقة الجامعة لانها اتصفت بميزة نادرة وهى اسلوبها العلمى الدقيق .

حقا إن لدى بعض الاوراق التى كتبها طارق على إثر عودتنا من الرحلة المشئومة ، ولكننى لست سعيدا بهذه الاوراق ، بل إنها هى بالذات سر المشكلة التى اجدنى فيها منذ قررت ان « اخلد » رحلتنا من اجل « الحقيقة والتاريخ » . فلا انا استطيع ان اهملها (وطارق ، كما سبق ان اعلمتك ، هو البطل وصاحب الدور الاول ، ولكنه كتب هذه الاوراق وهو فى حالة غير طبيعية ، ولا استبعد ان عقله كان قد خولط فعلا) ولا انا استطيع ان اترجمها بلغتى ، وهى لغة عادية بالرغم من شطحاتى الفكرية فى موضوع اللغة . وإذن فلابد لى من ان اقتبس منها اقتباسات طويلة . والافضل - بكل تاكيد - الا اترك منها شيئا ، لانها الوثيقة الوحيدة عن رحلة لم يقم بمثلها ولا تخيلها احد من البشر . ومع يقينى بان النتيجة ستكون نشازا هائلا ، فان هذه هى الطريقة الوحيدة التى استطعت ان اطمئن إليها ، إن كان لهذه الرحلة ان تكتب على الاطلاق .

« ٢ »

هانذا اشرع فى تدوين وقائع « رحلتى » الغريبة ، مع اننى يائس تماما من قدرتى على إتمامها ، اعنى المذكرات لا الرحلة . وهذه هى الاولى فى سلسلة المتناقضات التى اصبحت واقعا فيها : إما ان اتمم المذكرات وإما ان اتمم الرحلة فلن تكون ثمة ضرورة لكتابة المذكرات ، وإذا كان من الضرورى ان اكتب مذكرات فالافضل ان اتوقف ، اى اكتفى بما كان ، ان اكف عن الغوص واسترد نفسى التى اعرفها . فانا لم اعد ذلك المراقب المحايد،ذلك المكتشف ،ذلك الباحث عن الحقيقة . لم اعد قادرا على احتواء مشاهداتى بل هى التى تحتوينى ، كانى ارى بعيون الوهم ، او اخبط فى ارض مسحورة .

لعل هذا هو السبب الحقيقى فى تصميمى على ان أكتب هذه المذكرات ، فانا لم اعد واثقا من قدرتى ، فى المستقبل ، على ان اكتب شيئا مفهوما . هل اصبحت على عتبات « الحقيقة » نفسها (حقيقة اكبر واعمق مما حاولت اكتشافه) أم ان كل ما يربطنى بالحقيقة يوشك ان ينقطع ؟ لا ادرى ، وقد لا يكون ثمة فرق بين الامرين ! نعم ، لقد لعبنا كثيرا بالجمع بين المتناقضات ، وهانذا اشعر ان اصابعى احترقت وانتهى الامر ، وبالكاد استطيع ان ادون هذه الكلمات ، لا لأعلن كشفا تاريخيا هائلا كما كنت احلم ، بل لأسجل تجربة لم اعد – بكل امانة – قادرا على تمييز الحقيقة والخيال فيها .

الحقيقة والخيال ؟ ... هـــذه هى النقيضة الكبرى التى اكاد اسقط منهـــا بلا امل فى العودة . لماذا لا اكون صريحا من اول الامر فاقول إنى لم اعد ابالى بالتفرقة بين هذين « المتناقضين » ؟ إذا بدات مع ديكارت « انا افكر فانا موجود » فوجودى ينبغى ان يكون اجدر الأشياء بان يسمى « حقيقة » . ومع ذلك فكم فى هذه الحقيقة من الخيال ؟ لابد ان ابى وامى ، ربما قبل ان يلتقيا ، تخيلانى كل بمفرده ، على نحو من الانحاء . ثم حين وقعت الواقعة واشتعل الخيال ، تجسد الحلمان فى التقاء بويضة صغيرة وحيوان منوى اصغر . وما زال الرجل والمراة يلحان على بخيالهما ، دون رحمة ، مذ كنت جنينا اتخبط فى ظلمات سجن ضيق . ثم ماذا انا الآن ؟ كما اظننى انا نفسى ؟ كما يظننى صديقى سليم ؟ كما يظننى مدير المدرسة ، تلاميذى ، إنسان جلست بجانبه فى طيارة او قطار ، الفتاة التى يمكن ان التقى بها يوما ، وتسمينى « فتى احلامها » ؟ كل ظن من هذه الظنون خليط مهوش من الحقيقة والخيال . لقد اغرمت فى وقت ما بدراسة الاساطير ، ووجدت نفسى اسال : إذا كان البشر لا يطيرون فى السماء ولا يسكنون فى اعماق البحر ، ولم يعرف قط انهم استخدموا الجن فى بناء قصورهم ، او محاربة اعدائهم ، فمن اين جاءتهم هذه الأفكار الغريبة ؟ ليس هناك إلا واحد من امرين : إما انها تحققت فعلا ، بكيفية ما ، فى زمن ما ، وإما انها مجرد رغبات سيعملون على تحقيقها يوما . الغرض الأول لا يمكن إثباته او نفيه . لا يمكن إلا ان « يحفظ لعدم كفاية الأدلة » أو يبقى لغزا محيرا للمساكين الذين يعانون من مرض البحث عن الحقيقة ، ولو كانت على جبل قاف ، اما الغرض الثانى فلابد ان يلد سؤالا : من اين جاءت الرغبة ؟ ما هذا الشيء الغريب الذى نسميه رغبة إنسانية لماذا يكون شيء ما مرغوبا وشيء اخر مكروها ؟ لم اقتنع بما يقوله علماء النفس من ان رغبات الانسان مرتبطة دائمـــا بضرورات بيولوجية ، يسمونها احيانا غرائز ، واحيانا حاجات . فقد كانت الأساطير تحدثنى باشياء اعمق من الوجود البيولوجى للانسان ، ومن يدرى : لعلها كانت فى اعماق الوجود البيولوجى نفسه . لقد وجدت نفسى اجزم بان ثمة رغبة واحدة اساسية للانسان ، تنبع منها كل الرغبات : تلك هى رغبته فى الحرية . وما الحقيقة والخيال إلا وسيلتان للوصول إلى الشعور بالحرية ، تتداخلان وتمتزجان بحيث لا يمكن التمييز بينهما ، وتنتجان دائما اختراعا ما : اسطورة او بدعة من بدع التكنولوجيا . ايهما اهم للانسان : الأسطورة ام التكنولوجيا ؟ انا شخصيا لا استطيع ان اجزم . المقياس الوحيد الذى اراه صالحا لتقييم اختراعات الانسان هو مقدار ما تنتجه من الشعور بالحرية . فلابد من الاعتراف بان الانسان – وا أسفاه ! – لم يولد حرا ، ولكنه ولد وفى راسه ، او قلبه او شيء اخر من كيانه الذى لا نعرفه على وجه التحديد ، شوق محرق إلى الحرية ، يتفق له بين الحين والحين شبع مؤقت ، فكلما زاد الشبع او طال الوقت كان ذلك افضل ، ولو ان الانسان يعود فيندفع – لاهثا ومفتونا – وراء سراب الحرية .

لماذا اقول ذلك الآن ؟ الآن رحلتى التى لم تعد رحلة ، بل اصبحت مجرد تجربة ، كانت فى حقيقة امرها اختبارا لمعنى الحرية

« ٣ »

اما انا فاظن ان الهوس بفكرة الحرية هو الذى ولد النظرية العلمية ، ولعل من المبالغة وعدم الدقة ان اسميها نظرية ، فطارق نفسه لم يسمها بهذا الاسم ، ولعل الاصح انها كانت مجرد احتمال ، وكان من الممكن ان نختبر صحة هذا الاحتمال بالف طريقة اخرى ، ولكن طارق اختار هذه الطريقة المباشرة ، ولو انها كانت تتطلب شجاعة هائلة ، وإذا كان ما راه فى تلك الليلة حقيقة ولم يكن مسا من جنون ، فلاشك انه أصاب فى اختياره .

بدات القصة عندما كان طارق يقرأ فى « صفة جزيرة العرب » للـهمداني. دخل على ذات مساء ، اشعث الشعر كعادته ، وفى عينيه لمعان اكثر من المعهود ، وصاح بانفعال :

– اسمع هذا :

« ثم تمضى فى بطن الفقى ، وهو واد كثير النخل والآبار فتلتقى قارة بلعنبر ، وهى مجهلة ، والقارة اكمة جبل منقطع فى راسه بئر على مائة بوع ، وحولها الضياع والنخيل . قال راجزهم :

إنـــا بنينـــا قارة وسط الفقى
من الدبابيب ومن ســـح المطى

... هذا ياسيدى هو ما يسمونه جبل قارة لقد ذكر الهمدانى عدة جبال من هذا النوع ولكنى بدات اشك فى صحة تسميته إياها جبالا . أولا : لاحظ انه لم يذكر هذه القارات إلا فى الأطراف الخصبة من شبه الجزيرة . ثم ما رايك فى هذا الشعر : إنا بنينا قارة ؟ طبعا يمكنك ان تقول إنه كالشعر الذى ينسبه إلى هود ثم لا يتورع ان يقول إن يعرب – حفيد هود – هو اول من تكلم بالعربية . انا لا تهمنى صحة الشعر وإنما تهمنى الاسطورة التى يرويها . فالاسطورة لاتنشا من العدم . ودلالة الاسطورة واضحة : ان هذه القارة – ولعل هناك قارات اخرى مماثلة – ليست جبلا إلا بقدر ما يمكنك ان تسمى الاهرام جبالا . إنها مدن بالغة التحصين ، بناها الأحياء ليحافظوا على حياتهم ، كما بنى قدماء المصريين الاهرام ليحافظوا على موتاهم .

وشرد ببصره إلى الافق المصطبغ بما يشبه الشفق الدائم ، تلونه شعل الغاز التى تنفثها مداخن جبارة فى حقول النفط ، وتمتم :

– تخيل ان هذه المداخن التى ترمز لعصر النفط ، يمكن ان تكون مجاورة لاثر من اقدم ما خلفه الانسان ؟

شعرت بالقلق . فليست هناك حدود لما يمكن ان يشطح إليه خيال هذا الفتى . وقد علمنى أساتذتى العظام الا اتسرع فى استخلاص النتائج ، وخصوصا حين يتعلق الأمر بالتاريخ . نعم إننى اجد متعة خاصة فى فلسفة اللغة ، ولكن هذه الفلسفة تتعلق بوقائع ذهنية ، الدليل الوحيد على صدقها هو ان يجدها الآخرون مقبولة ، اما الوقائع الخارجية ، والوقائع المادية ، فشيء اخر !

قلت له :

ـ لا نتعجل الحكم . إن كلمة واحدة وردت فى الهمدانى لا تصلح دليلا على واقعة تاريخية .

احنقته ملاحظتى ، فقال بشىء من الضجر تعودت ان اغتفره له :

ـ ومن قال لك إننى الآن بصدد البحث عن دليل ؟ نحن نتخيل اولا ، وعندما ناتى إلى مرحلة البحث عن دليل ، فلن نقنع إلا بالدليل القاطع الذى نستطيع ان نلمسه بايدينا .

لاشك ان الصورتين المتناقضتين مستا اوتارا خفية فى نفسه : صورة القارة ـ الحصن ، وصورة الشعلة التى لا تخبو ليلا او نهارا فى راس المدخنة السامقة . اى معنيين للحرية ! الحركة المكتفية بنفسها ، التى تختار ان تقطع كل صلة لها بالعالم ، انفة ان يمسها ظلم لا تقدر على رفعه ، ولا تطيق السكوت عليه ، والحرية التى تنفض اغلالها وتطلق طاقاتها الحبيسة وإن هى ذهبت بددا . الحرية التى تطبخ الصلصال صخرا يصمد لهوج العواصف وعدوان البشر ، والحرية التى تنطلق من سجنها الارضي وتخرج لسانها الاحمر للسماء . اهذا هو الذى اشعل خيال طارق ام معان اخرى لا ادريها ، ولعله هو نفسه لا يحسها بوضوح ؟ كان طارق من اولئك الاشخاص الانطوائيين الذين يعانون كثيرا من مشاعرهم الباطنية ، او بالاحرى من عجزهم عن إعطاء هذه المشاعر الشكل المناسب فى عبارة أو سلوك ، ولهذا تراهم دائما مستوفزى الاعصاب ، ساخطين على انفسهم او على اقرب الناس اليهم .

ـ هنا بعض المشكلات اللغوية التى يمكنك ان تساعدنى فى العثور على حل لها : سح المطى ـ يقصد بها ولاشك الجمال او النوق المغيرة التى تهبط عليهم ارسالا كما يسح المطر ، وهنا مسالة مهمة : يبدو ان العرب استعملوا الجمال والنوق فى الحرب قبل ان يستعملوا الفرس ...

ـكلمة المطي يمكن ان تطلق على الجياد ايضا . ومع ذلك فانت على حق . فالاستعمال يربطها غالبا بالنوق . وزهير ابن ابى سلمى رمز للحرب بناقة هائجة . وجدت بعض النقوش ايضا ...

ـ حسن جدا . ستحدثنى عن هذه النقوش فيما بعد . ولكن هناك مسالة ثانية : كلمة «الدبابيب» : بحثت عن معناها فوجدت انها لا يمكن إلا ان تكون جمع «دبابة» ، وكانت قديما آلة من آلات الحرب تستخدم فى هدم الحصون ، والظاهر انها كانت اشبه بترس عظيم يختبىء تحته المهاجمون . ولكن متى عرفت «الدبابة» فى هذه المناطق ؟

بعد مناقشات طويلة ، وبحث فى معاجم اللغة وكتب التاريخ ، كان الفرض الذى بدا لنا معقولا جدا هو ان القارة ـ او هذه القارة بالذات ـ هى فعلا نوع من المدن المحصنة انشئت فى عصر تميز بنشاط حربى غير معهود . فهذا هو المعنى المركزى فى الاسطورة ، الذى لا يمكننا التخلى عنه اذا اعتبرنا ان لهذه الاسطورة اصلا فى الواقع التاريخى على الاطلاق . اما ادوات الحرب ـ كهذه الدبابيب او المطى ـ فتفصيلات قد يكون من المشوق بحثها على اعتبار انها جزء من ذلك الاصل القديم ، ولكن من الجائز ايضا ان تكون إضافات ادخلهاالراجز المجهول ، وكنا نسلم ضمنا بانه لابد ان يكون متاخرا عن عصر الاسطورة بزمان بعيد .

بقى تخمين العصر الذى بنى فيه هذا الأثر العجيب . رجح طارق اول الامر انه بنى حوالى القرن السادس قبل الميلاد ، عندما كانت جيوش الآشوريين تثير الذعر وتنشر الخراب فى المنطقة كلها . ولكنه ما لبث ان جاء بفرض اكثر جراة : ان ما نعرفه عن تاريخ البشرية جد قليل . لقد اصبح من شبه المؤكد الآن ان الانســــان (الهوموسا بينس) عاش على ظهر هذا الكوكب منذ قرابة خمسين الف سنة . هذا ما تدل عليه الحفريات ، اما النقوش المكتوبة فلا تصعد إلى أكثر من سبعة آلاف سنة ، ولذلك نسمى عشرات الالوف من السنين التى سبقت هذه الفترة عصور ما قبل التاريخ ، لانها مجهولة لدينا جهلا تاما . ولكننا إذا نســـقنا الحقــــائق الجيولوجية والمعلومات الاثنوغرافيـــة المتوافرة لدينا الآن امكننا ان نصل إلى نتيجة او فرض ممكن على أقل تقدير : وهو ان هذه المنطقة من العالم شهدت حضارة مزدهرة اثناء العصر الجليدى الاخير ، ولكن تغيرات كونية هائلة محت هذا التاريخ محوا يوشك ان يكون تاما .

ـ تصور ما يحدث لو ان حربا ذرية قامت الآن فى اوربا وامريكا الشمالية . ولنفرض ايضا ان تاثيرها كان محدودا بالنســـبة للاقاليم البعيدة عن هاتين القارتين ـ هذا ممكن ، اليس كذلك ؟ .. لاشك ان الحضارة سترتد إلى عصر الزراعة البدائية والصناعة اليدوية . ولكن الاجيال التالية ستعرف ـ على الاقل ـ متى وقعت الكارثة وكيف . لان سكان القارات المتخلفة المحظوظة فيهم من يمكنه ان يســجل ما حدث . اما إذا كانت الكارثة الكونية قد حدثت فى اثناء العصر الجليدى الاخير او اعقابه فستبقى الحقيقة مطمورة تحت ركام الاساطير . لان الاقاليم الاخرى كانت خالية تقريبا من الجنس البشرى ، وإذا كانت قد وجدت فى بعضها كائنات قريبة الشبه بالانسان ، فقد كانت كائنات بلا حضارة . وهكذا يمكن ان تمر الكارثة الكونية الاولى بدون تسجيل ، فلا يكون لدينا إلا مصدر واحد لدراستها ، وهو قراءة الاساطير .

واردف بعد تفكير :

ـ وربما ايضا بعض الحفريات .

اشفقت عليه من الاسترسال فى مثل هذه الفروض ، فهمست مبتسما :

ـ لاشك ان قراءة الاساطير لعبـــــة مسلية ..

ولم يفته معنى السخرية فى ابتسامتى وكلماتى ، فاضاف كالمعتذر :

ـ اعلم ان لغة الاساطير ليست شفرة



يمكن تحديد رموزها بشكل قاطع ، ولكن هل ادعيت انى اقدم نظرية علمية ؟ هذا مجرد فرض ... احتمال ... هل تستكثر ان اسميه كذلك ؟

وشعرت انى يجب ان اتصلب اكثر ، فقلت :

ـ إن الفروض او الاحتمالات التى من هذا النوع لا يمكن ان تحصى . وكلما زاد عددها قلت قيمتها . بالطبع انت تعـــلم هذا .

قال :

ـ انت تبالغ . لدينا بعض الأدلة .

فسألته لاعجزه :

ـ كم تقدر عمر هذه القارة ـ الحصن كما تقول :

اجـــاب :

ـ عشرين الف سنة تقريبا . لقد عاش الهرم الاكبر اكثر من خمسة الاف سنة ، والمرجح انه سيبقى إلى نهاية عمر الأرض . منطقتنا محظوظة من هذه الناحية ، لأن جفاف الطبيعة يسمح للآثار الانسانية بالبقاء ، حتى توشك أن تصبح جزءاً من الطبيعة نفسها .

قلت له وانا أحاوره :

ـ وراء كل كشف علمى دافع ما . يقال إن فرويد كان يعانى هو نفسه من عقدة أوديب وانا اسأل نفسى الآن : ترى ما الدافع الذى يجعلك تشغل نفسك بهذه القضية ؟ لا يغيب عن فطنتك ان تحقيق هذا الغرض أو الاحتمال ـ سمه ماشئت ـ صعب جداً . وكان فى استطاعتك ان تختار مشكلة اخرى اكثر تشجيعاً للباحث . كان بامكانك أن تدرس فترة تاريخية سبقت دراستها فعلا ، وتقارن بين بعض الاقوال وترجع إلى بعض المصادر ، وتحصل على الدكتوراه . فلماذا تنام وتصحو على التفكير فى حضارة اجدادنا هؤلاء ـ إن صح انهم وجدوا ، وانهم اجدادنا ؟

لم يجب عن تساؤلى . ولم اهتد انا إلى تفسير معقول . واخيرا ايقنت انها فكرة متسلطة لا سبيل إلى زحزحتها إلا «بفعل» ما . ثم ... كان هناك اعتقاد يشع من كيانه كله بان ثمة حقيقة غائبة ستتجلى له يوما!

« ٤ »

اخيراً جاء اليوم :

ـ لابد ان ادخل .

وكان من العبث ان اقنعه بتاجيل الفكرة فقد بدا ان هذه هى اقرب وسيلة لتحقيق صحة فرضه . أليس من الجائز ان يجد على الجدران كتابة ما ، نقوشاً ، ربما ايضاً ان يعثر على انية او ادوات او ... عظام بشرية ؟

نعم ... هذه هى أقرب طريقة لاختبار « الفرض » . لم استطع أن أقنع طارق بانه يعرض نفسه لمخاطر لا يمكن التنبؤ بها ، وحاولت ان اخفى جزعى من قضاء ليلة بمفردى ... الحق ان الأمر ، بالنسبة لى ايضاً ، لم يكن يخلو من نشوة ... تذكرت ذلك الصبى الذى كان يتسلل مع جماعة قليلة من رفاقه إلى المقابر القديمة ، التى لا يعرف احد تاريخها بالدقة ، حتى ولا عجائز القرية ، وهناك ينبش القبور ، ويقلق عظام الموتى ، طمعاً فى الحصول على كنز مخبوء ..

عندما سكنت الأصوات تماما ، وشعرت انى منقطع عن العالم ، اطفات الكشاف ، فساد ظلام حالك ، وجدت نفسي اتحسس يدي « وساقى » ووجهى ورأسى ، كانى تأكد انى لا ازال موجوداً . شعور غريب فاجانى وجعلنى اضحك من قول ذلك الفيلسوف : انا أفكر فانا موجود . فقد بدا لى انى كنت طول عمرى اعتقد انى موجود لأن الآخرين يروننى . كنت دائما انظر إلى نفسى بعيون الآخرين ، حتى عندما اعتزل ، عندما اختبىء من الناس . هم حولى دائما . الآن وقد اصبحت قطعة من الظلام ذابت كينونتى فيه ، مازلت أفكر ، ولكننى لم اعد واثقا من وجودى . وهانذا المس اطرافى مرة اخرى . يبدو اننى ساحتاج إلى فترة كى اتاقلم مع هذا الوضع . ومضت فى ذهنى فكرة غريبة . لعل المشكلة الكبرى التى يعانيها العميان ليست عدم رؤيتهم لما حولهم ، بل الاقتناع بان الاخرين يرونهم فعلا ، مـــع أنهم لا يرون الآخرين . من هنا ياتى شعورهم بالاختلاف قد يكون هذا الشعور عزلة ، قد يكون استعلاء ـ ما نسميه عقدة النقص ـ قد يكون خبثا او دهاء أو قسوة . لا لابد لى ان اضيء هذا الكشاف .

بالكاد افلحت فى منع يدى من تحريك الزر الصغير . ان اذوب فى الظلام اللامتناهى ـ هذه ايضا تجربة يجب ان امتصها ـ أو تمتصنى ـ حتى النهاية . اغمضت عينى وكففت عن تحسس أطرافى شعرت انى أصغر واصغر حتى اصبحت اصغر فى الحجم من ذرة . وإذا بهذه الذرة تكبر كانها تحولت إلى الحالة الغازية ، سبحت فى الفضاء بسرعة هائلة كانى نيزك وعن يمينى ويسارى تنطوى مساحات شاسعة متوهجة من نيران متراقصة وبقع معتمة لابد انها الكواكب . كان حلما رائعا ورهيبا تملكنى وانا فى تمام اليقظة ، صحوت منه وانا واقف فى مكانى ، ممسك بكشافى ، اتصبب عرقا . وما زلت ارتعد كلما تذكرته ، مع انى استطعت ان استرجع حالات كانت اشبه بارهاصات لهذا الحلم الكبير ، عندما كنت اغمض عينى وانقطع عن العالم ، ودائما كان ثمة وعى مادى ساخر يقول لى إن اثار الاحساسات البصرية عند إغماض العينين تكون اشبه بومضات فى الظلام ، يمكن ان يتخيلها الحس المريض نجوما وشهبا .

بعد ان هدات اضات الكشاف وادرته حولى . كنت فى شبه ممر ضيق يتسع لشخصين او ثلاثة على الاكثر . ووقع ضوء المصباح على جانب من الجدار لمحت عليه نقشا ، خفق قلبى بشدة ، اقتربت ، وقرات :

النهضة بطل الدورى

حمـــد الفرحان

١٣٧٨

إذن فما زلت عند الابواب . لعل هذا الفرحان توغل إلى هنا معتمدا على كشافه واصوات رفاقه . ولكن المؤكد انه لم يجاوز هذه النقطة ، واقدر انها لا تبعد عن فوهة الكهف باكثر من مائة متر .

أهل البلدة يتحدثون عن هذا الكهف دائما بنوع من الفخر . كلما جاءهم سائح طافوا به حول القارة ، ثم اخذوه إلى هناك . وبعد مدخل مكون من صخور غير منتظمة ، يبلغ طوله خمسة عشر مترا تقريبا يقودونه إلى فجوة صغيرة معتمة ، لا تكاد تزيد مساحتها عن حجرة متوسطة . ويقولون له بنوع من الزهو : ما رايك ؟ وإذا كان جاهلا ، فسروا له السؤال : كيف تشعر بحال الجو ؟ وإذا كان الفصل شتاء فيجب أن يقول لهم إنه ادفا كثيرا من الخارج ، وإذا كان صيفا فيجب أن يقول لهم إنه الطف كثيرا . وقد كان ذلك صحيحا إلى حد ما ، ولكنهم ـ كعادة الناس جميعا ـ يبالغون ، ولعلهم اصبحوا اكثر ميلا إلى المبالغة بعد ان عرفوا اجهزة التكييف . وإذا كان الزائر طلعة ، واراد ان يتوغل اكثر ، حذروه واشاروا إلى الظلمة المتكاثفة فى الداخل ، وربما حكوا له حكاية الفرنسيين الستة الذين قرروا ان يستكشفوا اعماق الكهف ، ولكنهم لم يستطيعوا الخروج منه . وقد اهتم طارق بهذه الحكاية ، وحاول أن يستقصى خبر الفرنسيين الستة المزعومين

لعلهم جمعوا ـ قبل الاقدام على مغامرتهم ـ بعض المعلومات التى يمكن ان تفيده ، ولكنه لم يهتد إلى شىء ، وبقى حائرا : هل القصة كلها من اختراع العامة لتحذير امثاله ، او ان لها اصلا من الواقع ؟ ولعله تذكر قصة الفرنسيين الستة حين رأى تلك الكتابة السخيفة فى أول رحلة ، ولعله خاف ان يكون اكتشافه التالى مجموعة من القمصان والشورتات والايشاربات مع كومة من العظام يرجع تاريخها إلى عشرين سنة او ثلاثين ، بدلا من عشرين او ثلاثين الفا . ولكنه لم يشر إلى هذه القصة إطلاقا فى الأوراق التى خلفها .

كان طارق فى رجوعه إلى المصادر الحية ملتزما جانب الحذر ، لأسباب مفهومة : فالسؤال عن مثل هذه الامور يمكن ان يليق بالافرنج المهووسين ، ولكن ابناء العرب لايهتمون بالكهوف والجبال إلا إذا كان لديهم معلومات عن كنز مخبوء ، او فى نيتهم ارتكاب جريمة ما . ولذلك وضع خطة عملية بسيطة للرحلة التى قرر ان يقوم بها وحده ، وبكيفية لا يمكن ان يلحظها احد .

ذهبنا إلى الكهف قبل الغروب بساعة ، وهى فترة يقل فيها المتفرجون ، ولم يكن منظرنا يوحى باية ريبة : شابان فى ملابس إفرنجية خفيفة ، يحمل كل منهما حقيبة يد متوسطة الحجم . غريبان جاءا للنزهة او للفرجة على المكان . انتحينا ركنا فى فجوة الكهف وتربعنا كمن يستريحان بعد جولة طويلة ، ناويين ان يستمتعا بعض الوقت بجوه اللطيف المشهور . واخرج طارق شطيرتين وعلبتى عصير من حقيبته ، واخذنا ناكل ونشرب على مهل ، ونتبادل بين الحين والحين كلمات قليلة لا صلة لها بما قدمنا من اجله ، بينما كان كلانا مشغولا بخواطره . كنت افكر فى سخافة الأمر كله ، وبدأت اشعر بالخوف ، اما طارق فكان وجهه جامداً ، وعيناه تنظران إلى الفراغ . انقطعت الرجل، واشتدت العتمة ، وسمعنا اصوات الزرازير فى الحقول المجاورة ، وتمنيت لو اسرع بالخروج لأرسل عينى فى النجوم والسماء والأفق ، واغسل وجهى بعطر الليل الناعم ، ولكن طارق وقف واخرج طرف الحبل من الحقيبة التى كنت اعلقها بكتفى ، وربطه حول وسطه ربطا محكما ، ثم اخرج الكشاف من حقيبته هو ، وضغط على الزر وراح يحرك دائرة الضوء حتى ابتلعها الظلام ، فسار مبتعداً فى تلك الاتجاه .

●●

قال لنا البائع وهو يشير الى اللفة الضخمة : هذه اكبر واحدة الف متر .



فرفعها طارق وكانت ثقيلة . وساله إن كانت لديه واحدة بيضاء. ؟ فقال له إن هذه اللفة الوحيدة عنده من هذا الحجم . وكانت بنفسجية . استطعنا بعد لأي ان نعثر على الطرف الاخر للحبل كى اربطه حول وسطى

وهكذا كان فى استطاعة طارق ان يتحرك داخل الكهف فى دائرة نصف قطرها كيلومتر ، وهو مطمئن الى انه يستطيع العودة كما عاد ثيسيوس من قصر التيه .

●●

كنت شديد الخوف والانقباض . نظرت الى طارق وهو يغيب عن عينى فى الظلام ، وكانى انظر الى زورق صغير يغوص فى الموج .

« ٥ »

كانت الساعة تضىء فى معصمى فقربتها من عينى وقرات الثامنة وعشر دقائق . لم يعد الظلام يزعجنى ، بل على العكس كنت اشعر بما يشبه الفزع كلما اضأت الكشاف لأنظر حولى وفوقى وأسفل منى . لا ازال فى الممر الضيق . كانت هذه الملاحظة تزيدنى اطمئنانا الى صحة افتراضى انى هنا فى حصن ولست فى كهف طبيعى . فقد رأيت بعض هذه الكهوف فى لبنان والجزائر ، والشىء الذى استرعى نظرى فيها هو تلك الخشونة الطبيعية التى تتكشف هنا وهناك عن اعجوبة من اعاجيب الجمال الهندسى : تلك التكوينات البلورية التى تتدلى من السقوف كالثريات .اما هذا المكان فلا يمكننى ان أسميه إلا نفقا . وهو بهذه الصورة عمل تكنولوجى محكم فى باب الانشاءات الدفاعية . فسح المطى يقف امامه عاجزا حتى يلج الجمل فى سم الخياط ، والجيش العرمرم لا يمكنه ان يتقدم إلا اثنين اثنين ، وببطء شديد ، بحيث يمكن ان يتصيد عند فتحة الممر ولو لم يكن لدى المدافعين من السلاح إلا الفئوس او العصى . وكان الخطر الاكبر الذى لم يبرح ذهنى هو احتمال ان يحتوى على هوة او اكثر ، كوسيلة إضافية من وسائل الدفاع . ولذلك كنت أسير ببطء متحسسا مواقع قدمى ، محنيا راسى ، متلمسا جانبى النفق بيدى . وكنت اشعر احيانا ان النفق لا يسير فى خط مستقيم وخصوصا حين كنت اضىء الكشاف واوجهه الى العمق فاجده يصطدم بالسقف او الأرض او احد الجانبين . ولم اعرف الحكمة من ذلك ، ولكن تاثيره فى كان واضحا ، وهو انى سرعان ما فقدت الشعور بالاتجاه . غير انى لم اهتم بذلك كثيراً ، فقد كان الحبل فى وسطى يؤمن عودتى متى شئت .

شعرت بتصلب فى اعضائى . فجلست ممددا ساقى ، مسنداً ظهرى الى جدار النفق ، مندهشا مما فعلت وما يجرى .

عندما كنت اتحرك ، كان تفكيرى منحصرا فى الاحساسات التى اتلقاها من الخارج . كانت خلايا المخ تعمل بطريقة تلقائية فى ترجمة هذه الاحساسات واصدار ردود الأفعال المناسبة . عندما جلست تركز إحساسى فى باطنى . سمعت دقات قلبى . تلذذت بنبض الدم فى عروقى . شعرت بترطب فمى وتفتح بلعومى وتحلب العصارة فى معدتى . اخرجت شطيرة وجعلت الوكها ببطء وتلذذ . استنشقت بقوة وشعرت بهواء عجيب الطعم والرائحة يتخلل خياشيمى . خيل الى ان الهواء سائل وانى سمكة وانى انزلق فيه بنعومة . لم يساورنى اى خوف : على العكس ، كان يملؤنى شعور بالرضى والاكتفاء ، انغماس تام فى اللحظة وفى ذاتى ، حتى خفت ان انام وانا جالس فى مكانى .

●●

بعد هذه الصفحة يصف طارق خروجه من النفق ، وهنا يبدا الشطر العجيب حقا من رحلته او من تجربته كما قال .

إن طارق نفسه لايستطيع ان يحدد لنا نصيب الحقيقة ونصيب الخيال فيما راه ، وحتى فى احاديثه معى لم يستطع ان يجزم بشىء ، مع ان الذى جمعته من اوراقه واقواله ليس مستحيلا ولا حتى خارقا للعادة ، انه لايشبه قصص الف ليلة وليلة ولايمكن تحويله الى قصص علمى ، ولكنه كان يتكلم عنه بانفعال شديد ، كما كانت كتابته مضطربة

ومهوشة ، ولذلك اجدنى مضطراً لأن اتولى عنه مهمة السرد فى هذه النقطة بالذات . ومع ان الكتابة ترهقنى إرهاقاً شديداً ـ انا الذى كنت أعد نفسى لأكون كاتباً ـ فلا اظننى قادراً على التوقف الآن ، لا من أجل « الحقيقة و التاريخ » ـ اعترف انهما فقدا اهميتهما بالنسبة الى ـ بل لأن هذه القصة الحت على بما فيه الكفاية ، ولااجد وسيلة للتخلص من القلق سوى أن احوله إليك .

● ●

ادرك طارق انه وصل الى اخر النفق عندما لاحت له فتحة كبيرة يسيل منها نور بنفسجى باهت . كان القمر فى أوائل التربيع الثالث ، وكانت ساعته تشير الى العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة ، وقدر انه قطع حتى الآن ما يقرب من ثلثمائة متر . ما زال لدية سبعمائة متر ليرى ويكتشف . وهى تعنى الكثير ما دام قد خرج من ظلمة النفق الى ما يبدو انه ساحة واسعة يمكن أن يعثر فيها على بعض اثار الحياة .

طرفت عيناه بشدة . فمع ان الضوء كان لينا وخافتا فقد سقط كالشلال على مقلتيه اللتين الفتا ظلمه النفق ، وعندما استطاع ان يجعلهما حوله ، ندت منه صرخة دهشة .

كانت امامه ساحة ممتدة غير منتظمة الشكل ، ولكنه قدر ان مساحتها تقرب من كيلومتر مربع . وكانت مؤلفة من تجاويف مختلفة السعة ، تظلها طنوف ناتئة كشعاف الجبل ، وكانها اعدت لمراقبة اى غاز يمكن ان يتسور الحصن

اما الذى راعه فهو الارض كانت مكسوة بالوان متفاوتة بين الخضرة والصفرة ، وعندما دقق النظر استطاع أن يتبين عيدان الشعير وأوراق الكروم ، وكانما اراد ان يثبت لنفسه ان ما يراه حقيقة وليس وهما ، فاندفع يقتطف عنقودا مكتنزا راح يلتهمه حبة حبة وهو مبهور منتش ، وكانه ياكل من ثمر الجنة .

لايزال يسال نفسه : احلم هذا ام حقيقه ؟ ولكنه يتفق مع نظريته كل الاتفاق . فلم يعد ثمة شك ان هذا حصن بناه البشر ! عالم قائم براسه إنه الأمر العجيب ـ بل كان يجب ان يتوقعه على الاقل ليكون منطقياً مع نفسه ـ ان ههنا بشراً ! احياء ! سلالة اولئك القوم الذين تحدث عنهم الهمدانى !

لم يعد يفكر فى نقوش او عظام نخرة ! هنا احياء ! ناس مثلنا ، يزرعون ويحصدون وياكلون ! .

ولكن كيف يصل اليهم ؟

« ٦ »

قررت ان ابقى حتى الصباح . فلينتظر سليم . فلتنتظر الدنيا كلها . فليجتمع اهل القرية بقضهم وقضيضهم عند باب الكهف . فما عاد يعنينى شىء ولا احد . ولا حتى الكشف العلمى العظيم . كلى شوق الى ان أرى هؤلاء الشجعان الذين استطاعوا ان يقولوا لا قبل الاف السنين ، بل ربما قبل بضع عشرات من الاف السنين ، وبقوا هنا خلفاً بعد خلف ـ رافضين ، ولكنهم يعيشون ! بينهم وبين مواكب الحياة التى تغدو وتروح مسافة اقل من نصف كيلومتر ـ ولا يعنيهم شىء ! لم يفلتوا فحسب من «جائر لا يرعوى» ولكنهم افلتوا ايضا من فضول المؤرخين ، واقتحام الجغرافيين ، وجشع الجشعين لا يراهم أحد من ارض ولا سماء ، ولا تطا ديارهم قدم غريبة ! هنا انقبض قلبى فجاة : ما ادرانى كيف يستقبلوننى ؟ لعلى انا اقبلهم بلا قيد ولا شرط ، ولكن هم ... ؟ اصبر واهدا يا فتى ، اليس الصبح بقريب ؟

كنت شديد الانفعال ، ومع ذلك كان يفعمنى شعور غريب بالتحقق والامتلاء . وتحت دثار لين من نور القمر البنفسجى الذى كان يسيل من الشعاف ـ كما يتحدر الماء من نبع صاف ـ نمت ، ولكنى انتبهت على شىء يلمس جبينى ، حسبته ورقة من ورق الشجر ، ولكنه كان انعم واكثر لينا . وعندما فتحت عينى كانت بجانبى مفاجاة اخرى لم استعد لها :

لعلها فوجئت فابعدت يدها عن جبينى وتراجعت قليلا ، ولاحظت انها كانت تتمتم بنغمة تشبه الغناء ، ولكن عينيها الواسعتين بقيتا شاخصتين الي .

لم يكن فزعى اقل من فزعها ، ولكن قوة لا قبل لنا بمقاومتها كانت تدفع كلا منا نحو الآخر . من الحماقة ان اسميها حباً ، إنما هى رغبة عارمة فى الاكتشاف .

كانت عيناها شديدتى السعة شديدتى الاحورار ، فى وجه مسنون الملامح شمعى البياض ، رقيق البشرة حتى انى ابصرت الدم يجرى تحته فى الشعيرات . كذلك كانت ذراعاها ـ اللتان انحسر عنهما الكمان ـ ظرفين من نور ناصع يشفان عن مثل تعاريج الرخام . من الصعب ان اصف المشاعر المبهمة المختلطة التى هاجت فى نفسى ، ولكن إحساساتى الجسمية كانت واضحة كل الوضوح : كان قلبى يدق دقاً شديداً حتى اكاد اختنق من عنف ضرباته ، وكنت احس الماً شديداً فى اطرافى وكانما اصيبت بالشلل فجاة . وكنت احدق كالماخوذ فى تلك الكائن العجيب ، ولاحظت ان كل شىء فيها باهت : بشرتها الشمعية البياض ، شعرها الكتانى الصفرة ، عيناها اللتان لم يكن لهما لون واضح ، فهما اشبه بحقل من القمح كاد يدرك ، يميل مع الريح فتختلط خضرته الشاحبة بصفرته الباهتة . لعلي لو رايت صورتها على لوحة رسام لقلت إنها جميلة ، وتمنيت فقط لو انه عمق الصفرة الباهتة ليكون لها بريق الذهب وسحره . ولكنى وانا اتامل شخصها سيطر علي إحساس عجيب بانها حية . بعد قليل تمنيت ان اعانقها ، فى شوق مستبد الى الهلاك بين ذراعيها .

ادركت ان تمتمتها المنغمة كانت رقية سحرية وانها تشجعت حين رات ان لمساتها الاولى لم تحفزنى الى إيذائها . لعلها شعرت ايضا انها الطرف الأقوى . كفت شفتاها عن التمتمة ولاحظت انهما رقيقتان جداً وباهتتان جداً . غلبنى النفور من جديد .

اشارت بيمناها الى بعيد ورفعت حاجبيها الكتانيين وجعدت جبينها ، فادركت انها تسالنى : هل جئت من هناك ؟ وحين اومات براسى عادت تسال باشارة من سبابتها : وحدك؟

اومات براسى مرة اخرى ، فزالت التجاعيد من جبينها ، ولاح على وجهها طيف ابتسامة ، واحسست فى عينيها نوع حرارة . ولاحظت انها تنظر الى وسطى ، وكنت قد نسيت امر الحبل ، فضحكت وضحكت ، واومات براسى عدة مرات (نعم ، يمكننى العودة) فالتصقت بى وعانقتنى بلا كلفة .

فهمت انها تقول : ساذهب معك .

لاباس يا فتاتى ، كل شىء ممكن ، ولكن ليس قبل ان اتمم ما جئت لاجله . حاولت ان افهمها بالاشارة انى يجب ان اعرف عالمها قبل ان اخذها الى عالمى ، فاجفلت منى فزعة وهى تشير بيديها أن اذهب ، اذهب .

ادركت أنها تحذرنى من خطر محقق . ولكن لماذا تحرص على سلامتى ، الى حد انها نزلت عن رغبتها الاولى فى الانضمام إلي ؟ هل معنى هذا انها احبتنى ؟ انا نفسى لم اعد اخافها او اشعر بانها حية . ولذلك قررت أن اعبر الجسر الاخير الذى يفصل بيننا حتى يكون تفاهمنا كاملا . وضعت يدى على صدرى وقلت :

ـ طارق .

فاومات براسها .

فتشجعت ، واشرت الى كرمة قريبة ، وقلت :

ـ كرمة .

فاومات براسها ثانية وهى تبتسم .

فجعلت اشير وانطق : ارض ، سماء ، قمر ، نجمة ، وبسمتها تزداد اتساعا ، حتى اغربت فى الضحك . وغاظنى انها لم تفلح فى ترديد كلمة واحدة ، بل عمدت الى هذا الضحك السخيف كاى تلميذة غبية . وهممت بأن اوبخها ، ولكنى لم ادر كيف افعل ، ولعلها لاحظت همي ، فكفت عن الضحك ، واكتسى وجهها سيماء الجد ، واشارت الى المكان الذى نجلس عليه ، وقالت ببطء وتمعن :



ـ صخرة .

فعانقتها وانا اكاد اطير فرحاً ، وضحكنا معاً كطفلين . ولكنها قطعت ضحكتها فجاة ووضعت يدها على فمى ، وتخشب جسمها كله .

وفى الصمت العميق ، سمعت سعلة تاتى من مكان غير بعيد ، ومالبث ان لاح شبح يستند الى إحدى فتحات الساحة ، ونادى بصوت اجش :

ـ نجمة !

هممت أن أتوارى ، ولكنها همست فى أذنى : إبق حيث انت ، إنه لا يبصر . وتاملت الشبح فاذا هو شيخ مسترسل الشعر ، ولاحظت ان ملامحه جامدة كملامح العميان ، وإن كانت اجفانه مفتوحة وحدقتاه كبيرتين . ورايت فى ضوء القمر ، الذى اخذ يسطع ويكتسب لونا فضيا ، أن شعره الأشمط المرسل على ظهره وصدره مرجل بعناية . نادى ثانية بصوت زحفت اليه رنة قلق :

ـ نجمة !

فاجابت بشىء من الضجر :

ـ قادمة يا رجل !

ومشت اليه متثاقلة . فقال وهو يضغط على كلماته ـ وشعرت فى نبراته بمزيج عجيب من الشفقة والوعيد :

ـ والله تفتنين تخرجين فى الليل هكذا حتى يصيبك مكروه !

قالت متصنعة الحنق كطفلة خبيثة :

ـ اى مكروه يا رجل ؟ تعلم انى لا اطيق البقاء فى ذلك الجحر !

قال :

ـ اليس هذا خيراً من ان تخطفك الجن ؟ والله إنهم لخاطفوك فى ليلة من هذه الليالى !

قالت بخبث وتحد :

ـ اواثق انت ؟

فتغيرت لهجته الى قسوة محضة :

ـ مع من كنت تتحدثين الساعة ؟

ارتجفت ، ورايت من الحكمة ان اتوارى رغم ما اكدته لى . ولكنها ضحكت ضحكة صافية وقالت :

ـ اجننت يا رجل ؟ مع من عساى اتحدث ؟ (وبعد لحظة صمت :) من اجد فى هذه الدنيا كلها اجمل منك ؟ (ومسحت على خديه وشعره) او اقوى (وضغطت باصابعها على كتفيه وذراعيه وزنديه) او ارق عاطفة . لولا انك تغار !

فراح يتحسسها بامعان وكانه فنان يعيد تشكيل اعضائها باصابعه وراحتيه . واختفيا متخاصرين داخل الفتحة التى كان يقف عندها .

وبقيت فى مخبئى خشية قادم جديد يبرز الى الساحة فيلمحنى فى ضوء القمر ، الذى بدا لى ـ بعدما الفت عيناى الظلام والغبش ـ باهراً فضاحاً . خبت حماستى لهؤلاء القوم الذين تمنيت ـ قبل ساعة واحدة ـ لو اترك العالم كله ورائى لابقى بينهم . بدا لي رجلها منفراً الى اقصى حد ، وكان واضحاً انه يسيطر على الفتاة سيطرة مالك مستبد ، ويتحكم فى حياتها وعواطفها تحكم السيد بالأمة ، على الرغم من انها تخادعه كلما استطاعت وتعبث به جهد ما تطيق . وحمدت الله لانى لم اخلع الحبل من وسطى فى لحظة طيش . ربما اشتد الخطر مع انسلاخ الليل ، فيجب أن افكر فى العودة . ولكنى لم أعرف بعد كل ما اردت معرفته ـ او بالاحرى : لقد عرفت اكثر مما توقعت أن أعرف ، ولكن هذا الذى عرفته فتح الباب لأسئلة لا نهاية لها ، ولا يمكن ان احيط باجوبتها فى ليلة . ووجدتنى انتظر نجمة ، فى شبه يقين من عودتها . لاشك انها ستحل لي كثيراً من هذه المشكلات التى اثارتها بظهورها . ولماذا لا اقول صراحة إنى شعرت بشوق اليها ؟ الم اجد فيها كل ما تخيلته فى ذلك الجيل القديم الرافض ، الذى ضحى بكل شىء حتى لا يقع فى العبودية؟ الم اجد فيها «المراة» بكل معانيها ، ولتكن ايضاً خادعة ومراوغة ؟

ولكنى كنت واثقاً انها لن تراوغنى انا . لابد ان تعود . إنها احرص منى على الخروج من هذا الكهف . ووجدتنى افكر : كيف اعود بها الى العالم الفسيح ؟ كيف نتجنب الصحفيين والاذاعيين والفضوليين بالوراثة ؟ كيف تتقبل حياتها الجديدة ـ حياة مليئة ، رغم كل شىء ـ بقيود من نوع مختلف ؟ كيف امسكها حتى لا تنطلق مع كل رجل اخر يظهر فى حياتها ؟ هل يمكن ان اضمن الا يقع ذلك ، و «الحب من اول نظرة» لا يخرج ـ فى اعتقادى ـ عن كونه شغفا بالمغامرة وشوقا الى المجهول ؟ وسالت نفسى : هب ان ذلك حدث فما الذى اخشاه ؟ هل اخاف مثلا ان تصبح فتاة يتداولها الرجال ويستمعون الى قصتها التى لا تشبه شيئاً مما تعلموه فى كتب التاريخ والجغرافيا ، ويضحكون كما يضحكون من هذيان امراة مخبولة ذهبت الخمر بعقلها ؟ ام ترانى أريد أن امتلكها كما امتلكها ذلك العجوز القبيح ـ انا محررها أريد أن اغدو سجانها ؟ ...

لم يخب ظنى . فقد عادت ، متهللة خفيفة الخطو فى ثوبها الأبيض الهفهاف ، كانما صاغها القمر من اشعتها ذات نزوة . همست : لقد نام .

قلت : الا تخافين ان يستيقظ مرة اخرى ؟

قالت : لا .

عادت تهمس : لا تفكر فيه الآن . لا تفكر فى شىء . هى التى قررت ذلك . غمرتنى كموجة . ضاع الزمان والمكان ، وغرقنا فى ابدية متوهجة هى ذى تنفض راسها كمهرة ، وتقبض على عضدى ـ لم اكن احسب ان فى يدها كل هذه القوة : «هيا بنا» .

خلت انى ملكتها . سالتها بحقد :

ـ هذا الرجل زوجك ؟

هزت كتفيها غير مبالية :

ـ زوجى ... ابى ...

فعدت اسالها :

ـ ابوك أم زوجك ؟

صمتت قليلا ، واربد وجهها . ثم قالت بذل :

ـ هو ابى وزوجى .

لعل اعترافها الخجل محا شناعة الجرم الذى لم تكن لها يد فيه . وكنت انصت فى هلع ، ولكنى الآن امتلأت إشفاقاً عليها . سرنا متخاصرين ، ومع ذلك فان الشك يعذبنى ...

« ٧ »

وانا ايضاً لا استطيع ان اجزم : هل كان هذا كله حقاً وواقعاً ام وهماً سيطر على خيال طارق وهو داخل الكهف ؟ ولو انى لا اتردد فى تبرئته من تهمة الكذب ، ولا أقول إن الفزع اصابه بما يعده الناس مساً من الجن عندما وجد نفسه وحيداً فى ذلك الكهف الرهيب ، ليلة بطولها . ولكننى لا املك دليلا واحداً على صدقه ، أعنى

دليلا يقينيا واحدا ، وإن اعتقد هو انه يملك هذا الدليل . هناك شيء واحد استطيع ان اشهد بصحته امام الملأ : وهو إن طارق وحيد دخل ذلك الكهف مساء الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٧ ، الموافق للثانى من يونية ١٩٧٧ ، الساعة السابعة والنصف مساء زوالى ، ولم يخرج منه إلا فجر اليوم التالى ، وإن كنت لا استطيع تحديد الوقت بالساعة والدقيقة ، لسبب سوف ابسطه بعد قليل .

ولكننى لا استطيع ان اشهد على صحة ما ادعى انه رآه داخل الكهف . فقد قرات فى نظريات التحليل النفسي عند فرويد ويونج ما افسد قدرتى على تصديق مثل هذه الرؤى ، وإن كنت اجدنى غير قادر على تكذيبها ايضا . فمن الجائز جدا ان طارق كان يعانى من عقدة اوديب . ويخيل إلي ان معظم المكتشفين والزعماء والقادة كانوا كذلك . هذه على الاقل هى نظريتى الخاصة . وسواء صحت ام لم تصح فان عقدة اوديب لا تلغى المكتشفات والمخترعات ولا تكذب احداث التاريخ ، وكذلك لا يلزم من كون طارق مصابا بعقدة اوديب انه لم ير داخل الكهف سوى اوهام عقله الباطن . وليتنى رايته لحظة خروجه من الكهف لأستطيع ان اصف حاله بدقة ، فان ذلك كان حريا ان يلقى بعض الضوء على ما رواه فى هذه الأوراق .

لقد قضيت عند باب الكهف ما يسمونه ليلة ليلاء . لم يكد يمر الهزيع الاول من الليل حتى سمعت اصوات بنات اوى تتجاوب فى الحقول المجاورة ، وعواء ذئب ياتى من بعيد . كان الناس فى قريتى يقولون إن الذئب يشم رائحة الآدمى ، وإنه ـ اكثر من ذلك ـ يعرف إن كان وحيدا او فى جماعة . وهكذا ثبتت استحالة ما منيت به نفسى من انى سوف انام عندما يحين موعد نومى المعتاد ، فبقيت يقظان وإبهامى على زر كشافى الذى لم اكن املك سلاحا غيره . نظرت الى ساعتى مرات لا احصيها ، وكنت اجدها كل مرة لم تتقدم إلا دقيقة او دقيقتين ، فلخالها واقفة وإن كان عقرب الثوانى مثابرا على حركته الدعوب . واخيرا عولت على ان انسى امر الساعة نهائيا حتى اتمكن من ضبط اعصابى . وعندما سمعت صياح الديكة الثانى عرفت ان الليل قد انتصف فتنفست الصعداء ، فقد علمتنى سنوات التدريس ان النصف الثانى من كل شيء يمر دائما بسرعة . او هكذا كنت أزعم لنفسى . ومع انى هدات قليلا فقد بقى النوم احتمالا غير وارد ، لانى حتى لو شعرت بالنعاس ـ ولم اشعر به ـ فقد كنت مصمما على ان اوقظ نفسى خوفا من عدوان الذئب . فاخذت اقطع الوقت بمحاولة ترتيب الأحداث فى ذهنى ، مقدرا انى ساجلس يوما لاكتبها . وهنا فقط فكرت فيما عساه يجرى لطارق الآن داخل الكهف . وتحسست اللفة فوجدت انها لم تنقص إلا قريبا من نصفها . وأرحت عليها يدى فوجدتها ثبتت عند هذا الحد . معنى هذا ان طارق توقف بعد ان قطع ما يقرب من نصف كيلومتر (هذه الحقيقة تتفق مع القصة التى رواها ، ولكنى اكرر انها ليست بالدليل الكافى) . بدات اشعر بالقلق . إذا كان قد اصابه مكروه فماذا اقول حين اعود وحدى الى المدرسة ؟ اليس من الجائز ان اتهم بقتله وإخفاء جثته ؟ بل هذا هو المرجح . بل إنه مؤكد ولا عقوبة له إلا ان يطيح راسى بالسيف . سمعت صياح الديكة الثالث ، وبدت غبشة خفيفة عند الفتحة الخارجية . ذهب رعب الليل وجاء رعب النهار . انهكنى الانفعال فغفوت ، وحين انتبهت كان طارق ممددا بجوارى . لم يكن يبدو نائما ولا مغشيا عليه ، ولكنه كان اشبه بميت .

لم اصدق ان مغامرتنا الصبيانية انتهت بسلام إلا حين وضعت يدى على صدره وشعرت بحركته ، حركة مضطربة نعم ، ولكن حمدا لله ! بعد ذلك كان فى وسعى ان احتمل اى شيء .

تنهدت مستريحا واستلقيت متوسدا حقيبتى ونمت اعمق نومة نمتها فى حياتى ، على الرغم من خشونة مرقدى . ولما استيقظت دهشت إذ رايت نور الشمس لم يكد يتسلل الى الركن القصي من الفجوة ، وطارق يجلس بجانبى ، ممدد الساقين ، وكانه استيقظ من فوره ، وهو يجيل فيما حوله عينين زائغتين .

امسكنى من ذراعي وهزنى بشدة وهو يسالنى :

ـ أين هى ؟

لم افهم شيئا . فضرب كفا بكف وصاح بصوت كالعويل :

ـ كنت نائما عندما خرجنا من الكهف . وانا سقطت من الاعياء فلم أشعر بشيء . ولكنها كانت معى ! كانت معى حتى باب الكهف ! أين تراها ذهبت ؟ هذا ما كنت اخشاه ! ان لا تطيق الانتظار لحظة اخرى ! ان تجن حين ترى الأفق واسعا الى هذا الحد ! ان تذهب بلبها روعة السماء حين تتجلى بدون حجاب ! ان تاخذها النشوة بمنظر الحقول فتنطلق مع لرياح الأربع! ضاعت واأسفاه !

نكس بصره كمن يقرا شيئا فى الارض ، ثم نفضه فجاة وقد تغيرت ملامح وجهه فارتسمت عليها دهشة مفعمة بخيبة الأمل :

ـ ام تراها ذعرت حين وقفت على عتبة الكهف ؟ حين اوشكت ان تطرح وراءها ماضيها كله ؟ لعلها شعرت بارواح اسلافها تناديها من تلك الفجاج المظلمة ، لعلها حنت الى لمسات الأعمى ، تبعث الرعشة فى اعضائها كانها تخلق من جديد ؟ أيكون عناؤنا كله ، وهذه الليلة التى تشيب الوليد ، قد ذهبا باطلا وقبض الريح ؟

وازدادت تعاسته وهو يردد :

ـ ليتنى استطيع ان اوفق على الاقل انى رايتها وحدثتها ! انها لم تكن مخلوقة من وهم !

فجاة التمعت عيناه كعينى مجنون ، وراح يفتش فى حقيبته ويتحسس حوله :

ـ الكشاف ! الكشاف !

ناولته كشافى وانا اشعر بالفزع ، فدفع يدى بحركة عنيفة وهو يردد :

ـ كشافى انا ! انا ابحث عن كشافى انا !

قلت له مهدئا :

ـ وما يعنيك منه الآن ؟ لعلك فقدته داخل الكهف !

فاجاب بعنف لم ادر له سببا :

ـ لا ! بكل تاكيد لم افقده ! لقد اصرت على ان تمسكه . وتعلمت كيف تشعله ونحن نقطع النفق ! كان بيدها طول الوقت ! وهاانذا لا اجده! إذن فهى حقيقة ! حقيقة !

صمت طويلا ، ثم قال وهو يهز راسه بحكمة :

ـ إن كانت قد خرجت فلن يمسكها احد ، وإن كانت قد بقيت فى الكهف فلابد ان تخرج منه يوما . معها الكشاف ، وقد تعلمت كيف تستعمله

واردف بعد هنيهة :

ـ لا أظنها تتخذه لعبة .

ثم اضاف مؤكدا :

ـ ستخرج من الكهف قبل ان تنفد كهرباؤه .

● ●

كان هذا الحديث كله يبدو لي مرعبا وغير مفهوم . ولكننى احسبنى كنت أسعد أهل الأرض حين عدنا الى شقتنا ، صباح يوم الجمعة ١٦ جمادى الآخرى سنة ١٣٩٧ ، وحين ذهبنا الى المدرسة معا فى اليوم التالى . كنت سعيدا الى درجة انى لم الاحظ التغير الخطير الذى طرا على رفيقى . بعد ايام كنا نستعد للسفر وقد ودعنا عاما دراسيا آخر وبدانا نتطلع لعطلة نقضيها بين اهلنا . ولكن طارق قرر ان يتخلف بعض الوقت . ومع انه روى لي كل ما حدث له فى تلك الليلة ، وسمح لي بان انسخ صورة من مذكراته التى اوردت هنا اجزاء منها ـ أو بالاحرى شجعنى على ذلك ـ فانه لم يصرح لي بما انتوى عمله فى تلك العطلة ، إلا قوله إنه قد لا يعود الى هذه المنطقة مرة اخرى ولذلك يود ان يتجول فى انحائها جولة اخيرة . وحين سالته ـ سؤالا قصدت به التحذير ـ هل يفكر فى العودة الى الكهف ، انكر ذلك بشدة . ولكننى مازلت اشك فى انه فعل ، وحين اكتب هذه القصة ، بعد ان مضت عليها ثلاث سنوات اتمنى ان يطلع عليها ، وعساه يكتب إلي ، حتى اطمئن إلى انه لايزال ـ كما يقولون ـ حيا يرزق او حتى لا يرزق .

د. شكرى محمد عياد

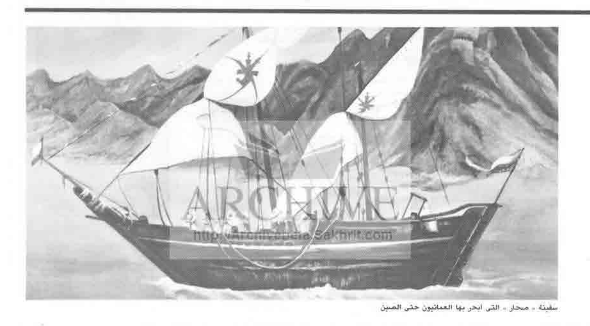
دعـــــوة العـــاشـــــق

شـعـر : حســن طلـب

أَ « صَبَابَاتُ » رُويداً
أَعُيُونَ « صَبَابَاتَ » حَنَانَيْكِ
أَسُلْطَانَ عُيونِ « صَبَابَاتَ » أَمَانَا
كُونُوا فى الصـــدِّ
كما كُنَّا فى الوَصْلِ
وخلّوا أَسرَكُمْ يُطْلِقُ أَسْرَانَا
أَحبَبْنَاكُمْ واسْتَصْفَيناكمْ أَبَداً
فأَحِبُّونَا واسْتَصْفُونَا أَحْيَانَا
قولوا : نَعشقكُمْ
أو قدْ نَعشقكمْ
قولوا صِدْقاً
أو كَذِباً قُولُوا
إنَّا لا نَطْلُبُ منكمْ بُرْهَانَا
تلفتُمْ منـّـا الكَبِدَ
وخلَّفْتمْ فى عَيْنَيْنَا الرَّمَـــدَ
ألا فليتْلِفْكُمْ معشـــوقٌ
ويخلِّفْ فى عينيكُمْ
فتصيرُونَ سواءاً فى الوجْدِ وإيَّانَا
فاذا شَرَّقْتُمْ غَرَّبَ
أو أَتْهَمْتُمْ أَنْجَدَ
أو بالْبَوْحِ هَمَمْتُمْ
.. يتَوانَى
فَتكُونُونَ ـ وِصالاً :
ما وُوصِلْتُمْ فَوَصَلْتُمْ
ونكُونُ ـ وِصَالاً : ما وُوصِلْنَا فَوَصَلْنَا
ويكونَ شهيداً فى العِشْقِ كِلانَا

نـــادية رزقـــــ

أول فنانة تسجـل
تراث الخليـج في لوحات



سفينة « صحار » التي ابحر بها العمانيون حتى الصين

فنانة خليجية النشأة .. عربية الانتماء .. اختارت الفرشاة والالوان لتجرى من خلالها تحقيقا اجتماعيا تسجل به واقع حياة الخليج قبل النفط .. والواقع المتمثل فى الصراع مع البحر ومواجهته اثناء الغوص

اختارت الفنانة الكويتية موضى الحجى هذا الطريق ايمانا منها بضرورة المحافظة على تراث هذه الفترة من التاريخ الخليجى ، وحرصا على ان يعرف النشء ماضى الأجداد قبل ان يضيع .. ولذلك استلهمت الفنانة فكرة اقامة معرض يضم صور الرواد الاوائل ، والجو الذى كانوا يعيشون فيه ، من خلال خطاب لسمو الشيخ جابر الأحمد الصباح امير الكويت الذى طالب فيه بالوفاء لأبناء الرعيل الأول الذين قامت على أكتافهم وسواعدهم الحضارة الحديثة .

البحث عن الماضى

وقد دفعها حماسها لتسجيل التراث الى البحث والتنقيب لدراسة كل ما يتعلق بالماضى ، فجمعت المعلومات ، وقابلت الشخصيات ، كما سافرت عدة مرات الى بعض بلدان الخليج مثل قطر والبحرين وعمان لدراسة انماط بناء السفن فى ذلك الوقت ، والاحاطة بالجو العام الذى كان الرواد الأوائل يعيشون فيه ، واستغرقت تلك الدراسة عامين ونصف ، لتعود عقب ذلك وتسجل ما اختزنته ذاكرتها فى لوحات فنية !

لوحات الرعيل الأول

وقد قامت الفنانة موضى الحجى بجولة خليجية لمعرضها ، فعرضت فى البحرين ، الكويت ، الامارات ، عمان ، وانتهت جولتها فى دولة قطر التى جاءت اليها بدعوة من وزارة الاعلام ، لتقيم معرضها ، الذى قام بافتتاحه سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام والأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الاعلام ..

لقد ضم المعرض ٤٤ لوحة زيتية للعديد من شخصيات الرعيل الأول مثل عبد الوهاب القطامى الذى قاد سفينة الى الهند وهو مازال دون السادسة عشرة ، ومنحته البحرية الملكية البريطانية شهادة تقدير نتيجة لجهده فى تأليف العديد من الكتب عن الطرق البحرية فى ذلك الوقت بين الخليج والهند ، واحمد الغانم الذى لقب ايامها بالطبيب لاشتهاره بعلاج مرضاه بالاعشاب !

وغير هؤلاء هناك هلال بن فجحان المطيرى وهو من اكبر تجار اللؤلؤ .

المركب القديم ، فتح الكريم ، اثناء إعدادها لاحدى الرحلات



لوحة تمثل قوة الصقر



احمد الغانم .. واحد من الرواد الاوائل



موضى الحجى مع لوحة للشيخ احمد الصباح

وضم المعرض صورا للعديد من مراكب الغوص التى كانت تبحر فى ذلك الوقت ، ومن اشهرها سفينة صحار التى بنى مثلها العمانيون سفينة مماثلة فى وقتنا الحاضر ، وابحروا بها الى الصين ليثبتوا أن المراكب الخليجية وصلت الى هناك .. وهذه السفينة لا تحتوى على مسمار واحد بل صنعت كلها بواسطة الألياف !

ذكريات البحر

وقد لاقى المعرض نجاحا كبيرا فى دولة قطر ، وكان الشىء الملفت للنظر هو اقبال العديد من كبار السن الذين رسمت التجاعيد على وجوههم قسوة الأيام ، لقد جاءوا وكأنهم يتذكرون بعضا من ملامح الماضى عندما كانوا يعتلون تلك المراكب ليواجهوا الموت القابع خلف محارات اللؤلؤ ، ومن ثنايا الموج العاتى ، وبين الرياح القاسية التى تعاند الرجال ومراكبهم !

المعرض القادم

ولا يبقى إلا أن القى الضوء على الفنانة الكويتية موضى الحجى ، فهى حاصلة على بكالوريوس فنون جميلة بعد تخصصها فى التصوير الزيتى عام ١٩٦٩ من القاهرة ، كما حصلت على دبلوم الفنون والتصميمات عام ١٩٧٥ من بريطانيا .. وقد شاركت فى معارض عربية واجنبية مثل معرضى الكويت السادس والسابع للفنانين التشكيليين العرب عامى ١٩٧٨ و ١٩٧٩ .. كما شاركت فى معرض الخليج للفنون التشكيلية بالدوحة عام ١٩٨٠ وفى معرض بالعراق عام ١٩٨١ ، وعرضت لوحاتها فى الاسابيع الثقافية بالمغرب والعراق وباريس .

والفنانة الكويتية موضى الحجى بدات اتجاهها الفنى بالأسلوب التجريدى ثم التعبيرى التاثيرى ، وهى الآن لا تتبع مدرسة فنية معينة ، بل موضوع اللوحة هو الذى يفرض الاسلوب الذى تتبعه ..

وتتميز لوحات معرض موضى الحجى بالأسلوب التعبيرى ، مع استعمال الألوان الباهتة الرقيقة التى توحى بدفء المنطقة ، وخلفيات واضحة لابراز دلالة كل صورة .

وتستعد الفنانة بعد انتهائها من تلك الجولة الخليجية لعمل معرض يضم كل شخصيات بلدان الخليج التى كان لها فضل المساهمة فى بناء ماضى وحاضر ومستقبل المنطقة !

نادية رزق

النوم الصحي

بقلم : الدكتور عز الدين فراج



النوم ضرورة لا غنى عنها ، فيه راحة للجسم وتجديد للقوى وصيانة للانسجة والاعضاء من الضعف والانحلال .

ويستطيع الانسان أن يعيش بغير طعام بضعة اسابيع ولكنه لا يعيش بغير نوم بضعة ايام ، فالنوم ضرورى لتعويض وبنيان ما تهدم .

وفى أثناء النوم تبطىء ضربات القلب ، وحركات التنفس ، وتقل كمية الدم فى المخ وتنقص حركة الأمعاء ، وتقل إفرازات الغدد ، إلا الغدد الجلدية فانها تزداد افرازا .

ففى ذلك راحة وهدوء للاجهزة . فتتمكن من استرجاع قوتها وبناء انسجتها والتخلص من السموم المتراكمة فيها .

ويؤدى عدم النوم إلى تغير الطباع وانحراف المزاج ، والاجهاد العصبى .

وتتاثر الحواس فتقل الرؤيا ويقل التمييز والادراك وتفقد العضلات توازنها (تناسقها) . وتزداد حساسية الجلد ، وتقل القدرة على التركيز والانتباه وتضعف الذاكرة ، ويقل اتقان الانسان لعمله ويحتاج لوقت اطول لتاديته وتكثر اخطاؤه .

وعمليات الترميم والتجديد فى الانسجة اسرع فى وقت النوم عنها فى اليقظة ، فخلايا الجلد مثلا تتضاعف سرعة انقسامها اثناء النوم .

والنوم ساعة الظهر يزيد كفاية المرء وانتاجه سواء كان ذهنيا او بدنيا .

إن الجسم تعتريه فترتا خمول خلال النوم : الأولى بين الساعة الواحدة والثالثة بعد الظهر ، والثانية قبل وجبة المساء بنحو ساعة . والنوم ظهرا ، يقلل من فعل موجة الخمول الاولى ، ويفيد فى مقاومة الموجة التالية التى تاتى فى المساء وقد وجد أن سرعة الانتاج لا تتحكم فيها العزيمة او الارادة وحدها وانما العقل الباطن أيضا ، فاذا أصر المرء على الاستمرار فى العمل وهو متعب ، فان عقله الباطن يضغط على « فرامل » نشاطه فيبلد الذهن ويعمل على نقص الانتاج .

والنوم ظهرا ، يمهد السبيل لنوم عميق



اثناء الليل - بعكس ما يظن كثيرون فقد دلت البحوث التى اجريت فى هذا الصدد على ان نوم الظهر لا يحول دون النوم الهادىء ليلا إذا كانت مدته لا تزيد عن الساعة بل ان بعض الاخصائيين الآن يعدون النوم علاجا مفيدا للارق ، لان المرء حين يسترخى مرة اثناء النهار ، يصبح من السهل عليه أن يسترخى بسرعة ساعة النوم ليلا .

نوم العافية

ولنستمتع بنوم صحى هادىء ينبغى مراعاة الأمور الآتية :

اولا : ينبغى تناول العشاء قبل النوم بوقت كاف .

ثانيا : تنظيم مواعيد النوم ليصبح النوم عادة بمجرد الذهاب للفراش . ولا يمكن تكوين هذه العادة اذا ذهب الانسان إلى فراشه فى اوقات مختلفة .

ثالثا : الامتناع عن تناول الشاى والقهوة قبيل النوم ، مع تجنب الافراط فيها

رابعا : الامتناع عن استعمال العقاقير المنومة حتى ولو كان المقدار ضئيلا ، إلا إذا نصح بها الطبيب ، مع استعمالها لمـــدة محدودة من الزمن إذ ان الاستعانة بالعقاقير المنومة يجعلها عادة لا يمكن العدول عنها ، وفى ذلك كل الضرر .

خامسا : إظلام غرفة النوم فالضوء يفسد النوم ويقلق النائم .

سادسا : يفضل النوم على الجانب الأيمن لانه يسهل عمل القلب ويمنع ضغط الكبد على المعدة . وليس من المعتاد ان يبقى النائم السليم البنية فى وضع واحد .

سابعا : يجب ان ينال كل فرد قسطا كافيا من النوم يتناسب مع سنه .

يحتاج الفرد البالغ الى نوم ثمان ساعات يوميا وتطول هذه الفترة عند الصغار . ويمكن فى هذا الصدد الاستعانة بالجدول التالى :

العمـــــــر	مدة النوم الكافية
فى السنة الأولى	١٨ - ٢٠ ساعة
٣ - ٤	١٤ ساعة
٤ - ٨	١٢ ساعة
٨ - ١٢	١١ ساعة
١٢ - ١٤	١٠ ساعات
١٤ - ١٨	٩ ساعات
١٨ - ٨٠	٨ ساعات

النوم على الجانب الأيمن

يدعونا نبى الاسلام إلى النوم على الجانب الايمن .. وقال الصحابى الجليل البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« اذا اتيت مضجعك فتوضا وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل اللهم اسلمت وجهى اليك وفوضت امرى اليك إلى اخر الحديث الشريف » .

هذا ما نادى به رسولنا الكريم من اربعة عشر قرنا من الزمان ينادى به العلم الآن .. وكانه لم يات بجديد ، واليك ما يثبت ذلك علميا ، ينام الانسان على اربعة اوضاع :

فالوضع الاول : وهو النوم على البطن ، وفيه يشعر الانسان بعد فترة بضيق التنفس ، لعدم استطاعته التمدد والانكماش .

الوضع الثانى : وهو النوم على الظهر يسبب زيادة التنفس فى الفم ، لأن الهواء يمر على الشعيرات الدموية فيه فتدفئه والمتنفسون من انوفهم اقل تعرضا فى الشتاء للاصابة بالزكام من المتنفسين من افواههم .

والنصيحة لمن يتنفس من فمه ان يدهنوا لثة الاسنان الأمامية العلوية منها والسفلية بالفازلين حتى لا تتعرض اللثة للجفاف .. وعموما النوم على الظهر يعوق مجرى التنفس ، فيكثر اصحابه من الشخير والغطيط المزعج .

والوضع الثالث : حيث يكون النوم على الجانب الأيسر وضع غير مقبول .. لماذا ؟ لان القلب فى الجانب الايسر وهذا يجعل الكبد وهو اثقل الاعضاء يضغط عليه ، ويجعل الرئة اليمنى الكبيرة تضغط على القلب وتقلل من نشاطه .

والوضع الرابع : هو النوم على الجانب الايمن وهو الوضع العلمى الصحيح بعد ان ثبت عدم وجود عيوب الاوضـــــاع السابقة .

وما لجا اليه العلم والطب الآن هو الذى نادى به نبينا الكريم من اربعة عشر قرنا من الزمان .

والنوم الهادىء يريح الاعصاب . ومتى ارتاحت الاعصاب وهدات كان هذا من العوامل الرئيسية لصحة النفس وسلامة الاعصاب من الأمراض العصبية .

واذا كانت وسائل الضجة الحديثـــة كالســـيارات والميكروفونات والـــراديو والتليفزيون لم تعرف فى عصر النبى الكريم ، فقد جاء الاسلام بالأسس العامة التى تصلح لكل زمان والتى تبين ان من يحدث الضجة او يزعج غيره .. انسان قد ضاعت عنده مبادىء التعاطف مع الناس والمراعاة لمشاعر غيره .

ويشترط فى غرفة النوم ان تكون واسعة نسبيا ، وان يتخللها الشمس والهواء النقى ، مع خلوها من الشقوق والحشرات وعدم ازدحامها باثاث وفير . هذا مع وجوب اختيارها فى موضع هادىء لا ضوضاء فيه ولا تتصاعد منه روائح اما فراش هذه الغرف فيجب ان ينظف على الدوام مع تعريضها للشمس والهواء مدة كافية لتطهيرها .

هذا مع جعل « ملة السرير » ثابتة ، فلا تهبط الحشية « المرتبة » تحت ثقل الجسم فيتخرس مما يعوق الدورة الدموية ويضر بالعمود الفقرى .

والواقع ان اللين الزائد مضر للجسم ، فهو يعطيه اوضاعا كثيرا ما تكون غير طبيعية الشكل . وكذلك الفراش الجامد ، إنه غير مريح . وخير الأمور الوسط دائما .

وعلاج لين سريرك اللين ، يكون بان تضع تحت المرتبة ، الواحا من الخشب ثم جرب النوم اياما ، لترى ما اثر ذلك فى حمل جسمك . بهذا كثيرا ينصح اغلب الاطباء .

والمخدة اللينة ، الزائدة اللين تضر ، يجب ان تكون المخدة لا واطئة جدا فتضر ، ولا عالية جدا فتضر . إنها يجب ان تملأ الفراغ الذى بين راسك والفراش ، وانت نائم على جنبك . اى تكون بارتفاع كتفك عندما تنام على جنبك .

ويجب أن تكون الاغطية كافية وتغطى النائم من القدم إلى الرقبة وان تكون البطاطين خفيفة ومن الصوف .

ويجب ان الا يقل عرض الفراش للشخص الواحد عن متر ، ويفضل نوم كل شخص فى فراش مستقل .

أجرى الحوار : نادر أصفهاني



الفنان وليد حجار



هل قامت أوربا بالسطو على الفن العربي الإسلامي ؟

برج « جيتو » الاسلوب الاسلامى فيه ظاهر وليس بحاجة للتاكيد



●● وليد حجار ، فنان قدم لوحات رائعة فى مجال الوجوه الانسانية ، ومعالجة الحرف العربى ، والزخرف الاسلامى ، وهو كاتب رواية.صدرت له حتى الآن روايتان كبيرتان « السقوط إلى أعلى » و « مسافر بلا حقائب » ، وهو ناقد فنى ، استطاع عبر برنامجه التليفزيونى « روائع الفن » الذى يقدم منذ سنوات أربع ، أن يقدم وجهات نظر جديدة كل الجده فى مجال النقد الفنى ، اضافة إلى انه استطاع أن يعرف بالاتجاهات العالمية للفن التشكيلى من خلال الأسماء الأكثر قيمة وشهرة . والقى ايضا الضوء بقوة على الفن الاسلامى ، وعرف باعمال كانت شبه مجهولة من الغالبية العظمى لمتابعى الفن

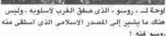
الموضوع الذى يثيره وليد حجار اكثر من غيره هو السرقات التي قام بها الفنانون الغربيون من الفن الاسلامى ونسبوه إلى الحضارة الاوروبية ، واهتم بكشف العداء المبطن المسموم من قبل المستشرقين لكل ما هو عربي واسلامي ؟ !!

وليد حجار متميز بافكاره العلمية البعيدة عن اى تعصب ، يتميز بثقافة موسوعية تتيح له ان يناقش الآراء التى تطرح عليه بشموليه واضحة .

حول أرائه الهامة فى مجال الفن التشكيلي ... كان لنا معه هذا الحوار :

● استاذ وليد حجار ... إن موسوعة « اللاروس » الفرنسية تعرف النقد على انه شرح ، واطلاق حكم على العمل الفنى أو الادبى ... ما هو رائدك حين تناولت هذه الأعمال ..؟ لا سيما وإن ما تقوله من نقد يقدم وجهة نظر لم نالفها فيما نقرأ من نقد





لوحة لـ « روسو » الذى صفق الغرب لاسلوبه ، وليس هناك ما يشير إلى المصدر الاسلامي الذى استقى منه روسو فنه !



من روائع الفن الاسلامى الهندى الذى نقل عنه كثير من الفنانين الغربيين !



لوحة تشكيلية رائعة من الفن الاسلامى الذى سرقه الغربيون ونسبوه إلى الحضارة الاوربية



اسلوب الفن الاسلامى داخل اشهر كنيسة فى فلورنسا

غربى . واخص بالذكر اهتمامك بتفنيد المزاعم المالوفة حول سمو درجة الابداع فى الفن الغربى وتخلفها النسبى لدى باقى الشعوب .

قال : إن فى التراث الاسلامى أعمالا فائقة الروعة الفنية .. أعمال يكاد لم يبق فى الغرب من يشكك فى قيمة الابداع فيها ! لكن فى الشرق مثقفين لا يملكون موهبة الاكتشاف ! تعلموا ان الغرب هو كعبة جميع الفنون ، فباتوا يكرهون هذا الأسلوب التشكيلى الغريب على ثقافتهم الهجينة .. يكرهونه دونما تحيز واع ، يرون فى الأسلوب المسطح فى الرسم الشرقى سطحية فى الاحساس الفنى ، وفى أهمال الحركة الطبيعية للاجسام ، نقصا فى الدرامية التشريحية للحركة . هؤلاء لا يزالون يحملون أفكار الغرب فى القرن التاسع عشر فهم مع الغرب فى ثقافتهم ، لكنهم متأخرون عن ثقافة الغرب المتطور اليوم بمائة عام !!

ما من ناقد ابتكر أصول النقد من بنات افكاره ، او وضع بمفرده اسسا مطلقة من مفاهيم الجمال ... إن جميع ما يقال ، او ما يقاس به اى عمل ابداعى ، من مفاهيم انما هو حلقة تضاف إلى سلسلة حلقات مترابطة مع ما حولها ، وما قبلها مما قيل ، او ما سن من قواعد الذوق والجمال ! والمرء حين يقول : ما أجمل هذا او ما اقبح ذاك ، انما يردد ما تفاعل فى نفسه ، مما فرض عليه من ثقافة ، او ثقافات ، لم يكن له شان فى اختيار اوائلها ! وفى حال بيئة كبيئتنا ، ثقافة لا شان لتاريخنا او حضارتنا بها !

سعيدة هى المجتمعات النابضة بالتفاعل ، الذى من خصوصيته ان يساعد على التحرر من قيود الذوق المتعارف عليه لا سيما حين تكون هذه القيود تشريعات وقيما لا تمت لبيئتها بصلة ! مفاهيم هى فى شرقنا العربى اليوم ، خلاصة ثلاثة قرون من الأهمال ، وقرنين اخرين من الاستعمار الغربى الثقافى ، مباشرا كان هذا الاستعمار او غير مباشر .

حرب الفن والجمال

وهنا قلت له : إن ما تقوله يتوافق مع ما كتبه ادوار سعيد حول تحيز المستشرقين الواعي الغربي ، وكرههم المبطن المسموم لكل ما هو عربي واسلامى ، فهل شمل هذا التحيز الجوانب الفنية كذلك - ؟ ..

قال : إن اوروبا اللاتينية ... فى محاولتها لضرب اخر معقل من معاقل بيزنطيه والاندلس ، فى القرن الخامس عشر ، وضعت لفنانيها قيودا فنية جمالية صارمة ، قيودا مدروسة هادفة ... فرضت عليهم التطلع ، بل والاقتباس المباشر من الفن الاغريقى الرومانى ، للتخلص مما كانت القسطنطينية ثم صقلية ، قد ادخلتهما على الفن الغربى من تاثير الحضارات الشرقية والاسلامية المجاورة ! كانت حربا لدودا مع الشرق ! ظاهرها ميدان الفن والجمال ، وباطنها خوف الغرب مما يختفى وراء قيم الجمال الشرقية من جذور روحية وفلسفية ! الم يكن شاعر الغرب الكبير بترارك، قد نادى :

« ايها الايطاليون متى تتخلصون من عقدة ان لا فن او ابداع الا فيما هو عربى ، او من اصل عربى - ؟! » .

ان النهضة الاوروبية قامت على اشلاء حضارة العرب والاسلام فى الاندلس ! وشاء القدر ان يزامن عصر النهضة ، دك اخر حصون العرب الحضارية ، على يد المغول وسقوط غرناطة ، اخر كنوز الرقى والثقافة فى الاندلس ، على يد التعصب والهمجية !

ليس هنالك فى الغرب من يذكر بوضوح

هل قامت أوربا بالسطو على الفن العربي الإسلامي؟

ما سرقته اوربا من تراثنا ، لقد غنمت اوربا من الاندلس ارثا حضاريا فنيا ، وادبيا ، وفلسفيا ، هضمته في بطء ، وتمثلته ، ثم راحت تفاخر الكون بغنيمتها ... مدعية انه من ابداعها ... بعد ان اطلقت على سرقاتها تسميات غربية (...) .

● إذن هل لك ان تذكر لنا امثلة على ذلك ؟ .

ـ نعم .. فمعظم النقـــاد الغربيين يجمعون على ان اجمل ما ابدعته اوربا بعد عصر النهضة هو الفن القوطي .

إن الفن القوطي الذي تفاخر به اوربا والذي كاد يسيطر على اسلوب بناء جميع كنائسها وكاتدرائياتها على مدى ثلاثة قرون ليس الا امتدادا مباشرا للفن العــربي الاسلامي الذي اقتبست اوربا اسلوب بنائه وزخرفته من بعض جوانب الفن العربي الاسلامي في الاندلس ، بعد ان اضافت العلو الشاهق . إن اوربا ، حين اخذت الفلسفة من المسلمين ، جاهدت في اظهار المصادر الفلسفية الاغريقية الاولى التي استفادت منها الفلسفة الاسلامية ، ذلك بهدف نفي ما للاعلام من فضل على الفلسفة ، فلماذا لا يذكر الغرب اليوم نسب الفن القوطي الى جذوره الاسلامية الواضحة ؟ والجواب على ذلك قد يبدو بسيطا في ظاهره ، لكنه مذهل في مدى عمق معناه . إنه بكل بساطة يعني ان اوربا لو جردت من فنها القوطي ، لما بقي لها من فن معماري يذكر ، تفاخر به ؛ اي ان خمسمائة عــام من الحضـــارة الصناعية لم تسفر في النهاية الا عن قبح وبرودة ناطحات السحاب التي لا روح او فن فيها ، والتي تمخضت عنها الحضارة الغربيـــة في امريكا .

مازالت الجذور

● إن المرء يفهم ان اوربا الناهضة في القرن الخامس عشر ، ارادت لنفسها حضارة متكاملة غربية لا علاقة لهـــا بالشرق الاسلامي او البيزنطي المسيحي ، الـــذي ناصبته العداء ، (ولا يخفى على احد انها اضطرت خلال احدى الحملات الصليبية لاحتلال وهدم مدينة القسطنطينيـــة المسيحية التي كان سكانها قد سئموا همجية الاوربيين ، كذلك إن تلك صقلية المسيحية انحازت الى المسلمين في بعض الحروب ضد الحملات الصليبية) ، لكن ، لماذا تغيرت معالم الفن الرمزية في اوربا ؟ وكيف ابتعدت عن الرمز ، واتخذت شكلها الحسي المعروف الذي نشاهده في اللوحات الكلاسيكية ؟ .

قال : ان الفن الغربي قـــد استقى من " الميثولوجيا " الاغريقية ، اي الاساطير السالفة فلا غرابة ان سيطرت قيم هذا الفن في اوروبا عصر النهضة ، على ابداعها ، فتسارع فيها نمو " فن الشكل " ، او ما نلقبه اليوم " بالفن التشكيلي ، منذ مراحله الكلاسيكية ، وعبر مدارسه الواقعيـــة ، والانطباعية والتجريدية .

إن جميع الحضارات تناولت جميـــع المخلوقات في فنها ... نحتت ، او رسمت اشكالها بصورة رمزية ، لكل من هذه الحضارات اسلوبه وطابعه الفني المبدع ... إن السم في الفن الغربي يكمن في جذوره ... وبنيانه ، إنه فن يود لنفسه ان يكون ساميا كاملا ، ولا يعرف من طريق للكمال سوى الصورة الطبيعية للانسان ، التي يظنها فوق صفات البشر (....) هنا تكمن عقدة الفن الغربي ، لذلك ركز الفن الغربي جهوده على صورة الانســان ... فما تزعزعت هذه العقيدة ، حتى اهتز بنيان الفن الغربي ، وراح الفنان الغربي يهيم في البحث عن قيم مجردة شخصية ، لا تعكس سوى بلبلته الفكرية والروحية .

لقد فاضت عبقرية الصنعة عند فناني اوربا على مضمون فنهم الضحل ، فغطت وهنه بالجمال الخارجي ، وسترت فحواه بالصنعة المتقنة ، إلى ان تحررت اوربا من هذه القيود ، قيود الشكل المبالغ فيه للانسان ، لكنها كانت ، حتى القرن التاسع عشر قد فرضت هذه القيم على معظم سكان الارض ، على انها القيم الاقوى ثباتا ، والاكثر حضارة ، لانها قيم اوربا ، الاقوى عسكريا ، والاكثر تقدما صناعيا .

لقد كانت اوربا الشمالية قد اكتشفت الصلب .... وهل كان لها أن تفعل ذلك لولا ان الحديد والفحم يفيضان من مناجمها ، لقد سيطرت بصناعاتها على معظم بقاع الارض ، وفرضت على سكانها ، إلى جانب الافيون والاحساس بالمهانة والضعف ، فرضت نظم مؤسساتها ، وجميع مفاهيمها الاجتماعية والاقتصادية والابداعية .

لاشك ان ما نحن بصدده الآن هو الفن ، وليس محاضرة عن الاستعمار ... لكن هذا الاستعمار السياسي إن زال ، او كاد ان ينحسر عن معظم بقاع عالمنا ، فان جذوره الثقافية مازالت في ارضنا ، تهيمن على ما لا حصر له من تصرفاتنا الاجتماعيـــة ، وتسيطر تماما ، باسم الحداثة على مفاهيمنا الجمالية والابداعية ... والا فلماذا ينظر شذرا إلى اللباس الشرقي ؟ والفن الشرقي ؟ كانهما من مظاهر التخلف ولا يقبل العديد من مثقفينا الا قواعد الاناقة ، واطر مفاهيم الفن الغربي ، المغرقة في المرحلية ، والغارقة في المادية الحسية والمباشرة .

ثم عادت جيوش اوربا الى بلادها ... ونسيت ان تاخذ افكارها معها !

اللوحات المنقولة

وسكت الفنان وليد الحجار قليلا ، ثم استمر في الاجابة على سؤالي السابق قائلا :

لكن اوربا قد تخلت عن هذه الاطر المحددة في الفن ، وليس من يعايش ازمتها الحضارية من لا يعرف مدى الضياع الذي تجرى لاهثة فيه ، تبحث لنفسها عن سبل ابداعية حديثة الاصالة ، فلا تجد ... انها



فن تجريدي لا يعكس سوى حالة الفوضى الفنية ، وتباع منه الملايين اليوم ، وليس هناك من يجرؤ على القول بانحدار مضمونه الفني والروحي

ازمة اوربا الروحية والحضارية . ازمة تقدم صناعي اعمى ، خرب في الكون اضعاف ما اصلح ...

اما الغريب في الامر ، فهو ان يعيش بعضنا ازمة لا علاقة لنا بها ، ولا تفاعل روحي لنا مع مقوماتها المادية البحته ! وان تضيع القيم التراثية عند الكثيرين ، فيصبح الجرى واللهاث ، وحالة الضياع عندهم صنوا ومرادفا للابداع الفني !! كان الفن ليس فنا ان لم يجار فن التائهين في معارض « نيويورك » و « باريس » .

لسنا ننبه الفنان الفرد ، بقدر ما نحن نخاطب ذوق المثقف ، او الناقد الذي يشجع او يقيد فعالية الفنان ، والذوق العام بافكاره . لئن كان بعض الفنانين ، في معاناتهم الفردية يجارون الحركة الفنية الغربية املا في خطوة او سعيا وراء غزو اسواق النقد الفني الغربي ... او طمعا في الربح المادي ، فهذا شانهم ! اما ان ينظر المثقف العربي شـــذرا إلى الفن الشرقي (....) لان اوربا ، في حماة جهلها وفرديتها لم تكن قد تنبهت بعد الى ما في هذا الفن من الابداع الفني ، لان المثقف تتلمذ على يد المستشرقين والارساليات الغربية الذين ما زالوا إلى اليوم يكنون الحقد الاسود لكل ما هو اسلامي او عربي . نقول .... اما ان يصبح المثقفون اداة طبيعية طيعة لهذه القيم والتصانيف الواهية ، رغم حسن نواياهم ورغم ان معظم هؤلاء لم تطا اقدامهم عتبة المعاهد الغربية . فان هذا لامر محير ، مخجل مشين !!

لقد تعلم الذوق العام عندنا ، عبر اجيال طويلة من السيطرة الثقافية الغربية ، ان لا مفهوم يصلح للشكل او الحركة في الفن ، الا المفهوم الطبيعي الغربي ، فقلدنا اوربا في كره الأسلوب الرمزي الاسيوي الاسلامي الهندي منه والفارسي . وتعلم المثقف منا ، ان ينظر إلى هذا الفن من منظار غربي ، فيرى في بعد هذا الاسلوب عن الواقع الملموس ضعفا في المقدرة الفنية ، او قصورا في دراسة الحركة الطبيعية .

وفجاة !! تعرف الفنانون الغربيون على روائع الفن الاسلامي ، الاسيوي منه والعربي ، وراحوا يستقون من اسلوبه الرمزي ، ومن حركته التلقائية المدركة ، وينهلون من معنى الوانه الصافيـــــــة الحارة !!

لقد صفق مثقفو الغرب في النهاية لامثال هؤلاء المجددين ، امثال « غوغان » و « روسو » و « ماتيي » وكثيرون غيرهم ، فصفق المثقفون عندنا لهم ، اسوق بحركة سوق اسهم الثقافة الغربية !!

لقد تعلم مثقفونا التصفيق للنفحة الاسيوية الاسلامية في الفن الغربي الجديد ، ورغم ذلك ، فهم مازالوا يعرضون عن فننا الأصيل !! فننا الاسلامي الذي استقى منه كل من « روسو » و « مانيس » هذه الاعمال .

ان لوحات « روسو » تكاد تكون صفحات منقولة عن الفن الاسلامي الهندي !!

التراث يغذي الحداثة

وكان لابد ان اساله عندئذ :

افهم من جوابك انك ترى ان الحركة الفنية المعاصرة عندنا ، تسير في اتجاه خاطيء لمجاراتها لما يجرى في أوربا من مذاهب ومدارس فنية !! وان على الفنان العربي والمسلم ان يقتصر على التراث الشرقي كمحرض على الخلق الفني ... تماما كما نهج الفنانون الغربيون في عصر النهضةحين استقوا من تراث الاغريق الذي صنف بانه غربي لوجود اليونان ضمن حدود القارة الأوروبية .؟

وقال لي : نحن لا ندعو لعصبية او اقليمية ثقافية أو ابداعية ، فالحــــدود السياسية والثقافية اليوم لا يمكن لها ان تقف دون تفاعل الاتجاهات الفنية المختلفة في العالم ... ان اوربا ، حين بدات نهضتها وارادت لهذه النهضة ان تكون غربية خالصة ... وضعت الفن الاغريقي ، اى المقاييس الاغريقية للانسان الخارق ... نصب اعينها ... وظلت تستقي منه ، بشكل واع مباشر ، حتى افلست هذه المقاييس وانهارت في بداية القرن العشرين . فلماذا نحمل نحن مفاهيم تخلى اصحابها عنها منذ قرن من الزمن .؟ ! لماذا لا نرى ذلك في الصين واليابان . ومثل اليابان جلي واضح في مدى تعلق الشعوب الاصيلة بتراثها الفني والثقافي .؟ وبرهان ساطع على ان التراث الروحي الأصيل لا يتنافى مع الحداثة ، بل يغذيها ، ويدعمها في اعطائها اسسا عريقة تميزها عن الحداثة الغربية الصناعية الصرف .

وهكذا تم الحوار مع الفنان وليد الحجار الذي فجر فيه عدة قضايا فنية هامة تستحق منا المناقشة :

نادر اصفهاني ـ دمشق



المرأة فى سيناء تتقن كافة الفنون اليدوية الشعبية التى من اهمها صناعة الاكلمة والسجاد المتميز بالالوان الزاهية



سيناء

أرض الأنبياء

التى عبرتها جيوش صلاح الدين والظاهر بيبرس !

بقلم : كمال سعد

كان لسيناء اهمية خاصة لدى المصريين منذ فجر التاريخ ، وكانت جزءا لا يتجزا من جسد مصر ، وفى اوقات كثيرة كانت مدينة غزة نفسها قلعة امامية لحماية امن مصر .

وقد اطلق على وادى العريش فى التوراة اسم وادى مصر ، وعندما وصل عمرو بن العاص بجيوشه ـ بعد فتح سوريا ـ إلى رفح اعتبر نفسه فى ارض مصر ..

وكانت سيناء دائما مصدرا لثروة مصر المعدنية الهامة منذ ايام الاسر المتعاقبة فى مصر القديمة .. وكانت بمثابة مفتاح مصر الشرقى ، فقد عبرتها قوافل التجار وموجات الهجرة العربية القديمة والحديثة ، وجيوش الاسكندر وهى فى طريقها إلى مصر ، وجيوش صلاح الدين اثناء حملتها لطرد الصليبيين من الشام واسترداد بيت المقدس ، وجيوش السلطان قطز والظاهر بيبرس لصد جيوش التتار ، وايضا جيش نابليون ، وجيش الجنرال اللنبى الذى كان مكلفا ـ من قبل انجلترا ـ بتصفية النفوذ التركى فى البلاد العربية اثناء الحرب العالمية الاولى !

اهم الآثار

وقد عرف الاقدمون سيناء باسم «توشيت» اى الأرض الجدباء ، واختلفوا حول تسميتها ، فقال بعضهم ان اسم سيناء اشتق من اسم جبل ، وقال اخرون ان سيناء تعنى الحجارة ، غير ان اغلب المؤرخين اكدوا ان سيناء او «سينين» كما جاء ذكرها فى القرآن الكريم ، ترجع الى «سين» الذى كان يعبده الساميون قبل نزول الأديان السماوية !

وكما نعرف ، كان لسيناء اتصال وثيق بمصر القديمة قبل التاريخ ، عبرتها ايزيس باحثة عن جثمان زوجها اوزوريس ونقب فيها الفراعنة العظام بحثا عن الذهب والنحاس والفيروز وسموها ارض الفيروز ، واقاموا بها الحصون لصد الغارات على حدودها ، ومن اثارهم الباقية حتى اليوم فى شبه الجزيرة ، العيون الكبريتية السبع التى تسمى حمام فرعون والتى يندر وجود مثلها فى هذه الطبيعة الخلابة ، وايضا هيكل (سرابيت الخادم) الذى نجد به كهفا لسيدة سيناء (حتحور) وبه رسم للملك سنفرو الذى عاش فى عام ٢٧٢٠ قبل الميلاد ، وفى وادى المغارة حيث مناجم الفيروز نجد ان الفراعنة سجلوا بعض اعمالهم التى من بينها رسما للملك (سمرخت) من الأسرة الاولى فى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وهذا بخلاف وادى المكتب الذى يعتبر من الاودية العجيبة حقا ، حيث تعتبر جوانبه سجلا للهجات واللغات القديمة المختلفة كالنبطية والاغريقية وغيرها ..

ارض الديانات

وقد جاء ذكر سيناء فى مواضع عدة من القرآن الكريم ، وفى سورة الطور جاء ذكر منطقة الطور بجنوب سيناء ، وفى سورة الاعراف ذكرت عيون موسى وتحدثت الآية عن جبل الطور فى سيناء ..

ولسيناء اهمية دينية لكافة الاديان ،



غابات النخيل فى سيناء من المشاهد التى تظل محفورة فى أعماق الذاكرة

المسجد الفاطمى بجوار دير سانت كاترين



شرم الشيخ .. يتميز ميناؤها بمياهه العميقة جداً

فهى التى اجتازها أبو الأنبياء ابراهيم مع زوجته سارة وهو فى طريقه من ارض كنعان الى مصر ، واجتازها سيدنا يوسف بعد ان التقطه من الجب بعض السيارة وباعوه الى عزيز مصر ، وفيها وقف سيدنا موسى على قمة عالية من جبل الطور ليكلم ربه

وهى ـ كذلك ـ الأرض التى عبرتها السيدة مريم مع ابنها عيسى عليه السلام قاصدة مصر ، هرباً من بطش الرومان

وكانت هذه الأرض الطيبة ملاذاً للمسيحيين الأوائل من وحشية اضطهاد الرومان ، ففر بعضهم اليها ووجدوا فى هدوئها مجالا للتامل وفسحة للتفكير وصفاء النفس ..

ومازال دير سانت كاترين الذى تم تشييده من اجل ذكرى الشهيدة كاترين التى عذبت وماتت بالاسكندرية فى القرن الثالث الميلادى يعتبر مقصداً لكل سياح العالم ، فبداخله تحف تقدر بمليونين من الجنيهات وبه مكتبة نفيسة تحوى الاف المخطوطات والمجلدات باللغة اليونانية والسريانية والعربية والحبشية وغيرها ، والوصول الى هذا الدير يمر عبر طريق طويل يبعد ٢٠٤ كيلو متر عن السويس ، لنصل الى (فيران) حيث نجد الخصب واحات سيناء ، إذ ينبثق منها نبع يجرى بين الحدائق والاشجار والنخيل ويحف بها جبل المناجاة ، والى جوار الدير نجد مسجد يقف فى إخوة وتسامح فى نفس المكان ، وهذا المسجد يحوى اثرين هامين احدهما كرسى خشبى نقش على جوانبه بالخط الكوفى ، والاخر منبر فاطمى الطراز ، وكلا الاثرين ينسب الى الامير (انوشتيكين الامرى) احد اتباع المنصور سابع خلفاء الدولة الفاطمية ، وإن كان الجامع نفسه بنى فى عهد الحاكم بامر الله (٣٦٨ ـ ٤١١ هـ) من واقع المخطوط المحفوظ فى دير سانت كاترين !

نهاية مشروع

وقد كانت كل اراضى سيناء امتداداً جغرافياً وبشرياً لمديرية الشرقية ، الى ان خاضت مصر أول حرب هجومية عليها بعد ١٣ سنة من افتتاح قناة السويس ، وانتهت الحرب باحتلال بريطانيا لمصر فى عام ١٨٨٢ ، واصبح سكان سيناء منذ ذلك التاريخ يخضعون لارادة المخابرات البريطانية حتى عام ١٩٠٦ .

وفى ظل تبعية سيناء مباشرة للمخابرات البريطانية ، جاءت اليها فى عـام ١٩٠٢ لجنة « تيودور هرتزل » فى مهمة لمعاينة السـاحل الشمالى فى سيناء عقب إذن من اللورد كرومر الحاكم البريطانى فى مصر ، وذلك لاكتشاف امكانيـــة إقامـــة عـدة مستعمرات فى سيناء لتجميع الشعب اليهودى على ارضها ، بهدف اقامة وطن قومى لهم .. ولكن امكانية اقامة تلك المستعمرات لم تتم ، فقد تنبه لها المصريون ، وقاوموها مقاومة شديدة .. وقد ذكر هرتزل فى مذكراته تحت عنوان «نهاية مشروع» كيف ان اللورد كرومر ابلغ «جولد شميث» مندوبه الشخصى معارضة الحكومة المصرية للأهداف التى تقدم بها ، وبذلك انهارت خطة إقامة هذه المستعمرات فى سيناء ، وتراجع الانجليز فى ذلك الوقت واعلنوا انهم لن يسمحوا لليهود باية مشروعات اقامة أو استيطان فى الأراضى المصرية !

مؤامرة العزلة

وعقب ذلك بدات انجلترا تخطط لسياسة جديدة لها فى المنطقة ، فنقلت التبعية الى مصلحة اقسام الحدود التى كانت تخضع لاشرافها ، وبذلك عزلت مدن سيناء عن مصر ، ووجدت تبريراً لذلك العزل بقولها ان النظام الجديد ما هو إلا محاولة لتامين سلامة الحدود ومحاربة عمليات التهريب !

وكانت مدن سيناء طوال الفترة السابقة ـ وحتى عام ١٩٤٦ ـ تخضع لاشراف محافظ سيناء الانجليزى ، إلا انهم اضطروا وتحت ازدياد غضب الأهالى وثورتهم على ذلك النظام الى ان يسمحوا لوكيل المحافظة بأن يكون مصرياً واعطوا ذلك المنصب للمصريين بصفة دائمة مع وضع قيود تجعل من المنصب حبراً على ورق ، وتجعل للسياسة البريطانية النفوذ الاقوى فى سيناء كلها

ومنذ ذلك الحين فرضوا العزلة على شبه جزيرة سيناء التى تبلغ مساحتها ٢٦ الف ميل مربع ، وتقع بين ذراعى البحر الأحمر ، وتربط وادى النيل بغرب

لسيا ، وتحدها قناة السويس من الغرب والحدود الفلسطينية من الشرق ..

ولم تكن عملية عزل سيناء عن بقية مناطق مصر من قبيل الصدفة ، فقد ادت مؤامرة فرض العزلة الى مرور اهالى وادى النيل بسلسلة من الاجراءات المعقدة إذا ما ارادوا زيارة اية مناطق فى سيناء ، وادى هذا بدوره الى شعور اهالى المنطقة بالغربة والحرمان من اية مشروعات اقتصادية !

اهالى سيناء

ومضت سياسة عزل سيناء بخطة محكمة ، ادت الى تدهور احوال مدن سيناء ومعاناتها من الاهمال وسوء الخدمات بصورة مستمرة ، إلا انه فى السنوات الاخيرة التى سبقت يونيو عام ١٩٦٧ بدأ اتجاه جاد لضرورة القيام بطفرة عمرانية واصلاحية تتناسب مع اهمية سيناء التى تنتج ثمانين فى المائة من اجمالى بترول مصر كله ، بخلاف ثروات المنجنيز والحديد والفوسفات والاحجار الكريمة والرمال البيضاء ومصايد الاسماك والبساتين ، وايضا بخلاف مكانتها السياحية ودورها الدفاعى فى حماية مصر كبوابة شرقية !

وكان اهالى سيناء من اكثر المنادين بانهاء عزلة سيناء ، كما كان لهم دور ايجابى عظيم اثناء فترات اشتداد مقاومة الاحتلال الانجليزى فى القناة .. ثم هل ننسى دورهم البطولى عندما قاوموا قـــوات الاحتـــلال اثناء عــــدوانى عـــام ١٩٥٦ وعـــام ١٩٦٧ !

لقد قام اهالى سيناء باضرابات عديدة عقب نكسة عام ١٩٦٧ ، عبروا فيها عن تصميمهم على التحرير ، وانضم الكثيرون منهم الى الجمعيات السرية ومنظمات المقاومة التى قامت بعدة عمليات ناجحة فى سيناء اثناء حرب الاستنزاف وسقط منهم فى تلك العمليات شهداء كثيرون ..

وعندما تعود مخيلتى الى الوراء ، فاننى اتذكر ذلك اللقاء الذى تم بينى وبين اهالى سيناء الذين اجبرهم المحتل على الرحيل .. كان ذلك اللقاء فى عام ١٩٧٢ ، ووقتها عدت لاقول :

– إنهم فى القـــرى التى هاجـــــروا اليها واستوطنوا فيها بصورة مؤقتة ، لاتبـــارح مخيلتهم لحظة واحدة رمال سيناء .. ونسمات سيناء .. وعادات سيناء ..

إن ارض الاباء والاجداد تعيش فى وجدانهم .. ولهذا فهم يعيشون على صبر ومضض انتظارا ليوم خلاصها .. يوم ان تتحطم احلام العسكريين والمفكرين الاسرائيليين وعباراتهم التى تطالب باستغلال كل فرصة والبحث عن اى ذريعة لعدم التزحزح من شبه جزيرة سيناء اذا ما ارادوا ان تتحول اسرائيل الى دولة هامة (!!) .

وكان المهاجرون فى قرى مديرية التحرير لا يقيمون وزنا لتصريحات العدو .. ويرون ان اسرائيل تسعى الى المستحيل .. وقد رايت صدى افعال العدو على وجدانهم من خلال اندفاعهم للانخراط فى اى منظمة او اى معسكرات تدريب تفتح امامهم الابواب .. كما اننى كثيرا ما رايتهم يسجلون عبارات – تطالب بالجهاد فى سبيل الله لاسترداد الارض – على الحيطان وعلى ابواب المنازل .. وايضا كثيرا ما رايت فى ساحات بيوتهم اشعارا تحمل معانى الامل والمقاومة والاستبسال وعدم الركون الى اليأس

وكان من ابرز الاشعار التى ملأت قرى المهجرين وحفظها الاهالى عن ظهر قلب ، هى اشعار محمود سالم الذى يعيش فى معسكر عثمان بن عفان ، والذى ابعدته السلطات الاسرائيلية من سيناء بعد قضائه خمسة اشهر فى سجونها ..

وفى تلك الاشعار كان يتحدث عن الارض .. وعن فلول العدو وقواته التى تزرع الموت فى كل مكان .. وعن اصرار العرب على المقاومة ووضـــــع حـــد لنوبة الغرور التى سيطرت على عقول صقور الحرب فاعمتهم :

طرد السكان

وكان من بين من التقيت بهم وقتئذ محمود اليمانى شيخ قبيلة اليمانى فى سيناء الذى حدثنى باعتزاز وفخر عن تاريخ الآباء ووطنيتهم التى قهرت الاستعمار وجعلته لا يجد مكانا للفتنة او الخيانة بين صفوفهم .. فعندما ذهب إلى سيناء فى عام ١٨٨٢ ، الجاسوس الانجليزى « هنرى بالمر » منتحلا اسم « الشـــيخ عبد الله » وبصحبته ثلاثة مرافقين احدهم يهودى اسمه « يخور حسون » ، ومعه ٢٠ الف جنيه من الذهب لتوزيعها على شيوخ القبائل حتى لا يساندوا الثائر عرابى ، فان الشيخ المزيف لم يعد من الجنوب ، وقتله سكان سيناء حتى يتاكد الانجليز ان البدوى لا يشترى وانهم لن يخونوا عرابى باى حال من الاحوال !

وانفعل الشيخ محمود وقتها وهو يقول : وقد حارب اهالي سيناء ضد الاستعمار في معارك كثيرة .. ولهذا فانهم لن يياسوا ولن يتركوا سيناء فريسة سهلة فى قبضة المحتل، لن يتركوا الارض التى كانت طريق الرسالات الدينية إلى مصر ، والتي كانت المصح الديني وملجا المتبتلين في الاديرة والمعابد .. لن يتركوها ابد أفريسة لاسرائيل وخاصة انهم يدركون ان سيناء هي درع مصر وقلبها الفولاذي .. والدليل على ذلك ان القوات الاسرائيلية قامت بناء على اوامر من وزير الدفاع الاسرائيلي بطرد عدة آلاف من البدو من الاراضي التي كانوا يقيمون فيها بالقرب من رفح على الحدود بين سيناء وغزة ، واجتمع ديان برؤساء البدو واقترح عليهم دفع التعويضات وتوطينهم في مناطق اخرى إلا انهم رفضوا التعويض ورفضوا ايضا الاقتراح !

كانت تلك هي الصورة التي سجلتها في سبتمبر عام ١٩٧٢ ، عقب لقائي بمجموعة كبيرة من مهجري سيناء ... وهي صورة اكدت الايام مدى ما فيها من صدق واصرار على خوض المعركة واسترداد الارض ..

فعندما بدات حرب اكتوبر ، اسرع اهلها يشاركون الابطال في القضاء على الجيوب الاسرائيلية الباقية التي عانوا من قسوة جنودها .. فقد كان جنود الاحتلال لاقلب لهم .. ولا تفرقة عندهم بين الطفل والمراة والشـــيخ . وفي البداية واثناء اعلان الاهالي للتمرد والعصيان المدني ، كان جنود العدو يبثون الارهاب في القلوب .. مرة عن طريق تجميع بعض الاهالي امام الحوائط وحصدهم كما يفعل النازي .. ومرة اخرى عن طريق لهو جنود اسرائيل وتدريبهم على اطلاق الرصاص على رؤوس المواطنين العزل من السلاح !

مدن سيناء

وقبل عام ١٩٦٧ كنت قد زرت مدن سيناء الهامة في مناسبات كثيرة ، وكنت دائما اتوق إلى العودة اليها ما بين كل حين وآخر ..

فلطالما عشت اياما في مدينة العريش التى تعتبر من اهم مدن سيناء وتقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وكانت تسمى هذه المدينة في الزمن القديم مدينة مقطوعي الانوف ، واستعمرها نابليون لعام واحد ، ويقال ان الذي انشأها هو الملك الحبشى « اكتيسانز » اثناء غزو الحبشة لسيناء !

ولطالما ذهبت إلى مدينة الطور في موسم الحج وقبل سفر الحجاج ، ورغم ان هذه المدينة فقدت



مازالت العادات الاجتماعية القديمة سائدة بين غالبية سكان سيناء

بورها الهام بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح ، فقد عادت اهميتها مع اكتشافات البترول في خليج السويس !

وزرت مدينة نخل العاصمة القديمة لسيناء قبل الحرب العالمية الأولى والتي بناها السلطان الغوري ، وعشت اياما في المدينة الحدودية رفح التي تفصل بين مصر وفلسطين .. وخلال وصولي لهذه المدن وغيرها كثيرا ما كنت اتمتع بقطع طرق سيناء المتعددة شمالا ووسطا وجنوبا !

غير انني دائما افضل رؤية مدينة القنطرة شرق باستمرار ، فهي احدث مدن سيناء ، واكثر المدن التي استوعبت تفاصيل نشاتها ووجدت فيها ما يثير الذهن والعاطفة على حد سواء ..

إن مدينة القنطرة شرق ، التي تبعد عن مدينة الاسماعيلية بحوالي ٣٣ كيلومترا وعن مدينة بورسعيد بحوالي ٤٥ كيلومترا ، بدا ظهورها ـ هي والقنطرة غرب ـ مع التقاء البحر الابيض والبحر الاحمر في يوم ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩ ، وهو اليوم الذي بدات فيه احتفالات قناة السويس التي انفق عليها مليون و ٤٠٠ الف جنيه ، فى حين بلغت تكاليف حفر القناة نفسها ما يقرب من ١٧ مليون جنيه .

ويذكر التاريخ ان هذه المدينة انطلقت حولها اشاعة فى ليلة افتتاح قناة السويس .. كانت الاشاعة تقول ان احتفالات القناة لن تتم ، فهناك صخرة هائلة سدت القناة بالقرب من مدينة القنطرة ، وجعلت من المستحيل على الموكب ان يواصل السير فى قناة السويس !

ولم تتوقف الاشاعة عند هذا الحد ، بل انطلقت لتؤكد ان الامبراطورة « اوجينى » عادت بمركبها « الايجل » اى النسر إلى بلدها فرنسا ، وان الامبراطور جوزيف عاهل النمسا ذهب إلى تريستا ، وان الامير فردريك ويلهلم ولى عهد بروسيا والأمير هنرى شقيق ملك هولندا وعقيلته والأمير عبد القادر الجزائرى فى طريق العودة إلى بلادهم ، وان كل ضيوف الخديوى اسماعيل وعددهم ٨ آلاف مدعو سيتركون القصر والذهبيات الواقفة فى البحيرات والـ ١٣٠٠ خيمة التى اعدت خصيصا لتلك المناسبة ، بعد ان اتضح لهم أن الصخرة الكبيرة قد تسببت فى تاجيل الاحتفال لاجل غير مسمى !

ولان المثل يقول « لا يوجد دخان بلا نار » فقد كان للاشاعة مصدر وسبب .. اما مصدرها فقد كان « فرديناند ديلسبس » صاحب فكرة المشروع .. اما السبب فيتلخص فى الاوامر التى اصدرها قبل ليلة الافتتاح والتى طالبت الخبراء باجراء مقاييس على مجرى القناة للتاكد من خلوه من اى عائق !

وعندما بدات عملية الاختبار الاخيرة لمجرى القناة ، صادفتهم صخرة ازالوها فى الحال ، ثم قامت سفينتان حربيتان بالسير فى المجرى على سبيل التجربة والاطمئنان .. ولكن ما إن وصلت احداهما واسمها « لطيف » إلى مجرى القناة عند القنطرة حتى جنحت وسدته .

وعلى الفور تم احضار الفى جنـــدى من بورسعيد ، استطاعوا ان يجنبوا السفينة بحذاء الساحل الشرقى للقناة ، وليصل الموكب بعد ذلك إلى منطقة القنطرة واضعا نهاية للاشاعة التى ملات كل مكان !

واثناء الحرب العالمية الأولى تحولت مدينـــة القنطرة شرق إلى قاعدة حربية للانجليز ، واصبحت منطقة عسكرية من الدرجة الأولى ، وامتدت مساحتها ثمانية أميال داخل الصحراء ، ونشطت تجاريا وحضاريا ، ولكن بانتهاء الحرب عادت إلى عزلتها الأولى بصورة كاملة ، واصبح أهلها يعانون من الكساد والنشاط المتوقف تقريبا !

أهمية شرم الشيخ

وإذا كانت مدينة القنطرة شرق قد مرت بظروف قاسية مثل بقية مدن سيناء ، فان منطقة شرم الشيخ وما يجاورها من مضايق رات ظروفا اصعب ، فمنذ عام ١٩٦٧ وقادة اسرائيل كانوا يصرخون فى كل مناسبة بان وجودهم فى شرم الشيخ ومضايق تيران وصنافير مسالة حياة اوموت ، فقد حاولوا ايهام العالم بان الارض التى يحتلونها على سواحل سيناء بما فيها شرم الشيخ تمثل حماية للأمن والاقتصاد العابر فوق مياه البحر الأحمر ، ولكن الحرب الرابعة اسقطت تلك الادعاءات

وللتعرف على جغرافية وطبيعة منطقة شرم الشيخ وما يجاورها من مضايق فانه لابد من وقفة موجزة نتطلع فيها إلى الساحل الشرقى لشبه جزيرة سيناء ، ذلك الساحل الممتد من « راس محمد » إلى طول خليج العقبة ، ونحاول أن نبتعد ثمانية اميال من راس محمد ، لنجتاز فى مدخل الخليج ميناء شرم الشيخ ، وهو ميناء صغير ، المياه إلى جواره عميقة جدا ، وتحف بالمياه نفسها جبال صخرية ترتفع إلى ما بين ثلاثة وخمسة الاف قدم ، ولا توجد به مياه صالحة للشرب غير مياه الآبار ..

اما جزيرة تيران فتبعد اربعة اميال عن سيناء وتكاد تغلق مدخل خليج العقبة جغرافيا ويسمونها « حارس خليج العقبة » وهى عبارة عن صخور ممتدة فى قاع البحر ، يتراوح طولها بين سبعة وثمانية اميال ولا يزيد عرضها على خمسة اميال ، واقصى ارتفاع لصخورها يصل إلى ١٦٧٠ قدما ، ولهذا فقد ظل ارتفاع هذه الصخور يرشد السفن إلى الجزيرة وقت دخولها وخروجها من خليج العقبة ! .

وعلى بعد ميلين شرق جزيرة تيران تقع جزيرة صخرية اسمها « صنافير » وعلى بعد سبعة اميال من امتدادها تقع جزيرة شوشة ذات الصخور الصفراء والحمراء ، ثم جزيرة « يرقان » التى يخيل لنا انها أكثر من جزيرة صغيرة ، بينما هى فى حقيقة الأمر صخور منفصلة بعضها عن البعض !

وعندما احتلت اسرائيل منطقة شرم الشيخ فى عام ١٩٥٦ قالت انها وضعت يدها على احد المكانين اللذين تبدا منهما مشروعاتها فى المنطقة ، ولكن المجتمع الدولى لم يتقبل هذا الكلام واصدرت الجمعية العامة فى الأمم المتحدة قرارا يقضي بانسحاب اسرائيل من كل الاراضى التى احتلتها بالتواطؤ مع فرنسا وانجلترا .

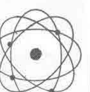
ولكن اسرائيل عادت إلى عدوانها فى عام ١٩٦٧ واحتلال سيناء بما فيها شرم الشيخ والمضايق ، وذهبت تصريحات حكامها بعدئذ إلى حد القول : « اننا لو تركنا سيناء فلن نتخلى مطلقا عن المدخل الاستراتيجى لخليج العقبة » .. وفى سبيل تاكيد هذه السياسة اسرعت تقيم المستعمرات فى شرم الشيخ ، وكانت كلما أقامت مشروعا ولو رمزيا فى المنطقة اقامت حوله ضجة دعائية وكانها تريد ان تقنع العالم بان وجودها فى تلك المنطقة قد اصبح امرا لا نقاش فيه ولا جدال ، فهى تقيم المستعمرات ، وتزرع فى قلبها المواطنين الاسرائيليين

إلا أن الحرب الرابعة اسقطت كل ادعاءات اسرائيل حول شرم الشيخ وما يجاورها من مضايق !

● ● ●

وهكذا نرى ان الحديث عن سيناء بما فيها من مدن ومعادن وبترول وآثار « ورجال عرفهم التاريخ ، يحتاج إلى أكثر من وقفة ، لانها ارض الانبياء ، ومعبر القادة العظام ، والصخرة التى تحطمت عليها كل احلام الغزاة .

كمال سعد



العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

الضمادة الكهربية

لكي يلتئم الجرح فى عشرين دقيقة بدلا من يومين بمكنك استخدام الضمادة الكهربية وهى عبارة عن جهاز كهربى يستخدم الموجات اللاسلكية فى تضميد الجروح .

إذ لاحظ الباحثون ان بعض ترددات هذه الموجات تدفع خلايا الجسم الى تكوين مادة « الكولاجين » وهى مادة بروتينية تدخل فى تكوين الانسجة الضامة .

ولاستخدام هذه الضمادة المبتكرة تثبت اقطاب رقيقة على جانبى الجرح بحيث تتصل هذه الاقطاب بمصدر للموجات ذات الترددات العالية .

●●●

المقعد المبرمج



● لقد غزا الميكروكمبيوتر العديد من مجالات الحياة اليومية ومن ثم فلا مجال للدهشة إذا ما زود مقعد المكتب بميكروكمبيوتر صغير . فهذا المقعد الامريكى الصنع صمم لتوفير اكبر قدر من الراحة والشروط الصحية لمن يضطرهم عملهم الى قضاء ساعات طويلة جالسين على المقاعد . ولتحقيق ذلك ثبت تحت ذراع المقعد دائرة الكترونية لرصد افضل وضع يناسب الجالس مثل زاوية الجلوس وارتفاع وميل الظهر .

وتتصل هذه الدائرة الالكترونية بجهاز هيدروليكى غير مرئى يمثل قلب هذا المقعد الصحى حيث يعمل على تغيير زاوية المقعد تبعا لجلسة المدير بحد اقصى اربع درجات .

وتعمل هذه الحركة المستمرة بالرغم من انها غير محسوسة على تفادى الضغوط المتراكمة نتيجة للاستمرار فى وضع الجلوس مدة طويلة وما ينجم عنه من احساس بالارهاق وضعف الدورة الدموية وفقدان العضلات لمرونتها بالاضافة الى الام الظهر المزمنة .

ولقد اثبتت التجارب التى اجراها متخصصون فى مجال الفسيولوجى فى جامعة كوبنهاجن صلاحية هذا المقعد . إذ يعتقد هؤلاء الباحثون ان افضل وضع للجسم اثناء الجلوس هو ان يتحرك .

ويتراوح ثمن هذا المقعد العجيب ما بين ٨٠٠ دولار و ١٢٠٠ دولار .

●●

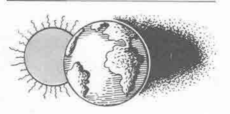
محطة اتوبيس الكترونية

● قد يمثل الميكروباص وسيلة انتقال المستقبل فى مدن الولايات المتحدة والعديد من الدول الاوروبية ولكنها ليست ميكروباصات عادية فهى تستخدم نظام اتصال الكترونى بين الراكب وسائق الحافلة إذ ليس لها خط سير محدد سلفا وانما تحكمها نقطة بداية ومحطة وصول فى اخر الخط المحدد لها .

ومن ثم فلكى يتم ابلاغ السائق بان هناك راكبا ينتظره فى احدى المحطات القائمة فى منطقة تخصصه يوجد جهاز الكترونى يضع فيه الراكب بطاقة مغناطيسية بحيث يرسل الجهاز إشارة لاسلكية لسائقى الميكروباصات تخبرهم بمكان وجود الراكب والجهة التى يريد الوصول اليها . وبناء على هذه الاشارة تصل اليه اقرب سيارة للمحطة التى ارسل منها اشارته بشرط ان تكون متجهة الى نفس الوجهة التى يريدها .



الطاقة من قلب الصخور



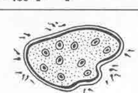
● يواصل العلماء البحث عن مصادر جديدة للطاقة وفى الوقت الذى يذهب البعض بعيدا فى الفضاء فى محاولة لتسخير الطاقة الشمسية يعود البعض الاخر الى الارض للحصول على الطاقة الحرارية الكافية فى باطنها . فبعد استخدام المياه الجوفية للحصول على طاقة كافية لتدفئة المنازل فى المناطق الباردة توصل العلماء الى طريقة ابسط واضمن للحصول على الطاقة .

فمن المعروف انه كلما تعمقنا فى باطن الارض كلما ارتفعت درجة الحرارة . فعلى عمق عشرات الامتار تزيد الحرارة بمعدل درجة مئوية لكل ثلاثين مترا وذلك بسبب الحرارة الداخلية للب الارض . لكن الجديد هو محاولة الاستفادة من هذه الحرارة الكامنة فى الاحجار النارية مثل الجرانيت .

ولتحقيق ذلك يتم مد شبكة من الانابيب تمر فيها سوائل بين انفاق ضيقة محفورة فى صخور الجرانيت بحيث تنقل السوائل حرارة الصخر الى سطح الارض لاستخدامها فى الأغراض المختلفة .

ويجرى حاليا الباحثون الفرنسيون أولى تجاربهم فى هذا المجال وذلك ضمن مشروع متكامل يعتمد على الطاقة المستمدة من القشرة الارضية .

صيد الميكروبات



● يقدم اليابانيون جهازا جديدا يساعد على تشخيص الأمراض الباطنية المرتبطة بالجهاز الهضمى بدقة بالغة . فهو يتكون من كيس من السليكون حجمه لا يتعدى ربع السيجارة وهو مفتوح عند احد طرفيه . ويحتوى هذا الكيس على مادة مشعة لتساعد الأطباء على توجيه الجهاز وتتبع مساره .

وعندما يصل الى الامعاء يبدأ فى جمع الميكروبات والبكتيريا الموجودة فيها حيث يتم تحليلها بعد عودته من رحلته داخل الجهاز الهضمى .

● ● ●

تليفون بدون أسلاك

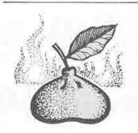
● تليفون المستقبل سيكون بدون اسلاك فهو سيعتمد على موجات لاسلكية خاصة وعلى الموجات تحت الحمراء ومن ثم يمكنك حمل تليفونك اينما ذهبت والاتصال واستقبال اية مكالمات على رقم تليفونك العادى .

كما سوف يزود تليفون المستقبل بشاشة تلفزيونية تستطيع من خلالها رؤية محدثك ولكن هذا الاتصال المرئى يحتاج الى بعض المعدات : لوحة ازرار لتكوين الرقم المطلوب والتحكم فى العمليات المختلفة مثل فتح الخط والبدء فى الارسال والاستقبال المصور او قطع ارسال الصورة مع الاحتفاظ بالاتصال الهاتفى العادى .

كما تشمل هذه المعدات وحدة طرفية مزودة بشاشة تلفزيونية تستقبل الصور الملونة بالاضافة الى كاميرا فيديو وجهاز للتحكم وربط كل هذه العناصر معا .

● ● ●

وقود من قشر اليوسفندى



● صممت إحدي شركات السيارات اليابانية محركا يعمل بزيت مستخرج من قشر ثمار اليوسفندى . وكانت نتائج التجارب التى اجريت على هذا المحرك مرضية للغاية .

ولقد استخدم فى هذه التجارب نوعان من الوقود ، النوع الاول مستخرج بالكامل من قشر اليوسفندى اليابانى ، اما النوع الثانى فهو خليط من الوقود البترولى وزيت اليوسفندى ، وقام هذا الوقود النباتى بتشغيل محرك سيارة صغيرة او موتوسيكل ودراجة بخارية .

إلا أن انتاج ما يساوى لترا من البنزين يحتاج الى عشرة الاف ثمرة يوسفندى !

● ● ●

جهاز للتعامل مع جميع الصور !

● إنه جهاز لتحويل الصور السلبية العادية الى صور حية يمكن استقبالها على شاشة تلفزيونية وارسالها فى الوقت نفسه إلى اجهزة استقبال خارجية .

إذ تمسح الأشعة شريط الصورة السلبية لترسلها على الفور على شاشة تلفزيونية فى دائرة مغلقة . كما يستطيع الجهاز ارسال نفس الصورة وفى نفس اللحظة الى اجهزة استقبال اخرى خارج المبنى .

وبامكان الجهاز التعامل مع جميع انواع الصور : أبيض وأسود وصور ملونة وصور التقطت بواسطة الأشعة تحت الحمراء او صور رادارية . كما يتعامل مع كل مقاسات الافلام ابتداء من ١٦ مليمترا الى ٢٤٢ مليمترا .

ولعل اهم ميزات هذا الجهاز انه بمجرد اسقاط الصورة على الشاشة يستطيع تكبير اى جزء منها ثلاثين مرة وتقريب اى قسم من هذا الجزء المكبر لاظهار تفاصيله . بالاضافة الى ان الجهاز بامكانه ارسال اشارات وتحقيقات مصورة ورسوم بيانية وخرائط .

الأشعة المفترى عليها

● إن اشعة الليزر التى وصفت ظلما بانها اشعة الموت نظرا لطاقتها الضخمة وامكانية استخدامها فى الاسلحة التدميرية والتى اوحت بعدد كبير من الافكار لكتاب الخيال العلمى فى مجال الحروب الفضائية . هذه الأشعة المفترى عليها قدمت وتقدم خدمات جليلة للطب والجراحة فبعد نجاح هذه الأشعة فى اجراء ادق العمليات الجراحية فى العين بدأ اطباء الأمراض الجلدية يستخدمونها فى علاج بعض الأمراض المستعصية التى تظهر فى القدمين مثل عين السمكة والصدفية .

ويمتاز العلاج بهذه الأشعة الضوئية القوية بانه علاج جذرى إذ لا تعود هذه الأمراض للظهور مرة اخرى بالاضافة الى انها لا تسبب اى الم وليست لها اى اثار جانبية على عكس الاشعة السينية .

● ● ● ●



رؤوف توفيق

جوائز السينما من يستحقها .. وكيف؟



الممثلة الامريكية « ميريل ستريب » بطلة فيلم « زوجة الملازم الفرنسي »

من اهم الاحداث السينمائية العالمية .. جوائز مسابقة « الاوسكار » الامريكية .. ومهرجان « كان » السينمائي الدولي .

ومع بداية كل عام .. تبدأ التكهنات الفنية ، والترشيحات ، للافلام الجديرة بدخول سباق الاوسكار .. وما ان تعلن نتيجة هذا السباق مع اخر شهر مارس من كل عام .. حتى تتدفق التحليلات والضجة الاعلامية لمناقشة هذه الافلام ، وهل تستحق بالفعل « شرف الاوسكار » ؟!!

ولا تنتهي هذه الضجة .. الا بحلول موعد مهرجان « كان » السينمائي في منتصف مايو .. لتبدأ الانظار الفنية تتجه إلى حصيلة أعظم ما انتجته السينما العالمية ، خلال عام وهي تدخل سباقا كبيرا ومثيرا مدته أسبوعان .. ثم تعلن النتيجة بعد ذلك ، لتفجر من جديد مزيدا من التساؤلات والتحليلات ! .

وهكذا .. تعيش السينما العالمية .. على مدى نصف عام تقريبا .. بين مفاجآت نتائج الاوسكار .. ومفاجآت عروض مهرجان كان .

اغرب المفاجآت

وربما كانت أغرب مفاجآت جوائز الاوسكار لهذا العام .. في حصول فيلم « عربات النار » على جائزة احسن فيلم (!!) .. بالرغم من ان نصيبه من الترشيحات كان اقل بكثير من نصيب ثلاثة افلام اخرى هي : فيلم « حمر » اخراج وارن بيتي ، وكان مرشحا لاثنتي عشرة جائزة (اكبر نصيب من الترشيحات) .. وفيلم « على البحيرة الذهبية » وكان مرشحا لعشر جوائز .. وفيلم « غزاة القوس المفقود » وكان مرشحا لثمان جوائز .. بينما فيلم « عربات النار » رشح لسبع جوائز .. يليه فيلم « مدينة اتلانتيك » ورشح لخمس جوائز .. وايضا فيلم « زوجة الملازم الفرنسي » فقد رشح لخمس جوائز .

والمعروف ان ترشيحات الجوائز تكون في العناصر الفنية للفيلم .. من اخراج .. وتمثيل وسيناريو وتصوير وموسيقى .. الخ

أي ان الحساب « المنطقي » يقول لنا .. إن الفيلم الذي رشحت عناصره الفنية لاكبر عدد من الجوائز .. هو بالقطع احسن فيلم ..

ولكن حسابات المهرجانات والمسابقات شيء اخر !!



هنري فوندا يتوسط ابنته جين فوندا وزوجته في الفيلم كاترين هيبورن

فهناك عوامل اخرى تتدخل .. لتجعل « المنطق » يتراجع ، ليأتي في المرتبة الثانية بينما تتصدر الاعتبارات السياسية والضغوط الاقتصادية والتي تمثل مصالح مؤسسات ومنظمات كبرى .. !







هنرى فوندا .. وجائزة احسن ممثل



جين فوندا .. ابنته فى الواقع وفى الفيلم الفائز



▲ بيرت لانكستر فى فيلم مدينة « اتلانتيك » .

▼ الممثل أو الشيطان .. لقطة من فيلم « ميفيستو »

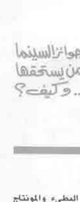


وفيلم « عربات النار » ـ كما تناولته بالتحليل والمناقشة فى عدد سبتمبر ٨١ من الدوحة ـ فيلم يدافع عن العنصرية اليهودية .. ويقوم اساسا على تمجيد اليهود ، والاشادة بكفاحهم ، لتعويض عقدة الاضطهاد التى يعانون منها

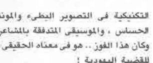
.. وهكذا يقدم الفيلم ـ بكل الصراحة والوضوح ـ ذلك الشاب الذى يلتحق بجامعة كمبريدج الانجليزية ، والذى يشعر بالنقص لانه يهودى .. فيجند نفسه لانتزاع البطولات فى مسابقات العدو .. وهو يفعل هذا كنوع من التحدى واثبات الوجود .. وهو لا يخفى هدفه .. بل يعلنه فى عبارات صريحة جاءت فى حوار الفيلم .. فهو يقول « اننى أدافع عن نفسى لكونى يهودى » .. « اننى احمل المستقبل معى » .. وهناك هذا الأستاذ بالجامعة والذى يبدى تعاطفه مع هذا الشاب ، فيعلق بكل الاعجاب « ان اليهود هم شعب الله المختار » !

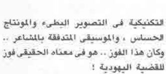
ويصل الفيلم الى نهايته .. وهذا الشاب ينتزع البطولة لانجلترا فى اولمبياد عام ٢٤ بباريس .. ويقدم الانجليزى « هيو هدسون » مشاهد هذا الفوز فى لقطات مثيرة واخاذة ، مستخدما كل البراعة





جوائز السينما من يستحقها .. وكيف؟







الممثلة كاترين هيبورن .. وبجوارها المخرج « مارك رايدل » اثناء تصوير فيلم البحيرة الذهبية

التكنيكية فى التصوير البطىء والمونتاج الحساس ، والموسيقى المتدفقة بالمشاعر .. وكان هذا الفوز .. هو فى معناه الحقيقى فوز للقضية اليهودية !

ولاشك ان حصول هذا الفيلم على اهم جائزة فى مسابقة الاوسكار .. وهى جائزة احسن فيلم .. هو تدعيم لنفس المغزى ، وتأكيد للانتصار اليهودى !

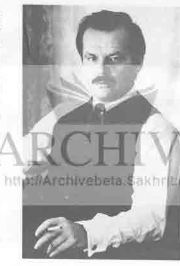
وقد نستطيع ان نفسر فوز هذا الفيلم بهذه الجائزة الهامة .. على انه نوع من المغازلة وارضاء القوى اليهودية المسيطرة على صناعة الاعلام والفن فى أمريكا .. ولكن مهما اختلفت التفسيرات .. الا اننا لا نستطيع ان نقول .. إن الجائزة كانت لوجه الفن فقط !!

واعتقد ان الجائزة الوحيدة التى يستحقها ـ بالفعل ـ ذلك الفيلم .. هى جائزة الموسيقى والتى الفها ووزعها الموسيقار اليونانى «فانجليس باباثاناسيو»

وقد فاز فيلم عربات النار ايضا بجائزة السيناريو « كولين وبلاند » .. وجائزة الملابس « ميلينا كانونيرى » .

فن السينما الحقيقى

اما إذا اردنا ان نتحدث عن فن السينما الحقيقى ـ بدون تدخلات او ضغوط سياسية او اقتصادية ـ فاننا نجد امامنا فيلم « حمر » للمخرج « وارن بيتى » الذى يقدم على ثلاث ساعات ونصف جزءاً من حياة « جون ريد » الصحفى الامريكى صاحب الكتاب الشهير « عشرة أيام هزت العالم » الذى تناول فيه احداث الثورة الروسية .. وينتقل الفيلم بين مجتمع المثقفين والكتاب فى امريكا .. ووقائع الثورة فى روسيا .. وهذا الجو الزاخر بالاحداث والشخصيات والافكار والعلاقات العاطفية .



جاك نيكولسون كما يبدو فى لقطة من فيلم « حمر

وقد فاز الفيلم بجائزة احسن اخراج .. وتصوير .. واحسن ممثلة فى دور ثان ..

ويحقق الممثل المخرج « وارن بيتى » الامنية التى طالما سعى إليها .. فقد رشح من قبل لاوسكار عام ٧٩ .. عندما تقدم بفيلمه (السماء يمكنها الانتظار) الذى شارك فى اخراجه مع « باك هنرى » ولكنه لم يحصل على الجائزة .. فكرر المحاولة بهذا الانتاج الضخم (بلغت تكاليف الفيلم ٣٥ مليون دولار) وتحمل مسئولية الاخراج بمفرده لاول مرة .. ودخل فى مناقشة مع نجوم الاخراج السينمائى .. الفرنسى « لوى مال » مخرج فيلم « مدينة اتلانتيك » الذى تناول موضوع تورط عجوز طيب القلب (لعب الدور بيرت لانكستر) مع عصابة لتهريب وتجارة الهيروين .. والمخرج الامريكى « ستيفن سبيلبرج » الذى حطم الارقام القياسية فى الايرادات فى تاريخ السينما الامريكية بفيلمه « غزاة القوس المفقود » .. والمخرج الأمريكى « مارك ريدل » الذى قدم معزوفة شاعرية عن عالم العجائز فى فيلمه « على البحيرة الذهبية » .

وهكذا يتفوق واحد من اشهر ممثلى امريكا على محترفى الاخراج .. ويحصل على جائزة الاخراج .. ولكنه يتعثر فى الحصول على جائزة احسن ممثل والتى تذهب إلى « هنرى فوندا » .

أسماء لها تقدير خاص

وعند اسم « هنرى فوندا » نتوقف قليلا .. لنتامل هذه اللحظة الانسانية المؤثرة ، عندما يسعى الفنان طوال عمره ، للحصول على تقدير « الاوسكار » .. ومع الأيام الأخيرة من حياته .. تاتى له هذه الجائزة .. فلا يقدر على النهوض من فراش المرض ، للوقوف تحت الاضواء الباهرة لتسلم الجائزة !! .

وربما لهذا السبب الانسانى .. كانت الأصداء المدوية لفوز « هنرى فوندا » بجائزة احسن ممثل .. و « كاترين هيبورن » بجائزة احسن ممثلة عن دوريهما معا فى فيلم « على البحيرة الذهبية » .

وسبب هذا الفرح ، الذى يبدو واضحا فى التغطية الاعلامية لحياة كل من هذين الممثلين الكبيرين ، ان جائزة الاوسكار هنا تذهب لمن يستحقها بالفعل !



جوائز السينما من يستحقها .. وكيف؟

عودة العجائز للأضواء

والمثير تماما ان النجاح الجماهيرى لفيلم « على البحيرة الذهبية » اعاد حسابات شركات الانتاج السينمائى .. وبداوا يقتنعون تماما بان جماهير المشاهدين تجد حنينا خاصا فى مشاهدة افلام يلعب ادوارها كبار الفنانين سنا .. إنهم هنـــا يستعيدون بعض ذكرياتهم .. وايضا يجدون انفسهم فى موضـــوعات تمس مستقبلهم عندما يتقدم بهم السن !!

واكدت احصائيات صـــناعة السينما الامريكية .. ان ٤٣٪ من الامريكيين الذين تعودوا ان يذهبوا إلى السينما .. هم الآن فوق سن الـ ٢٩ عاما .. وهكذا نتوقع ان نشاهد موجة من الافلام التى تنـــاقش موضوعاتها مشاكل ومشاعر كبار السن .

ومن الاخبار السينمائية المؤكدة ان الممثل الامريكى والراقص الشهير « فريد استير » ــ ٨٣ عاما ــ سيعود للشاشة فى نهاية هذا العام !

احسن فيلم اجنبى

ومن المفاجات الطيبة فى جوائز الاوسكار لهذا العام .. فوز الفيلم المجرى « ميفيستو » بجائزة احسن فيلم اجنبى .

ورغم ان هذا الفيلم . كان ينافسه الفيلم البولندى الشهير « رجل من حديد » للمخرج « اندريه فايدا » .. والذى يطرح من خلاله الجذور الحقيقية لنشاة نقابة التضامن العمالية فى بولندا .. وظهور « فاليسيا » (راجع مقال السينما فى عدد يناير ٨٢ من الدوحة) .. وايضا كان ينافسه الفيلم الايطالى « الاخوة الثلاثة » للمخـــرج « فرانشيسكو روزى » والذى يناقش الوضع الحالى فى ايطاليا ، من اضرابات وعنف وارهاب ، داخل اطار قصة انسانية مليئة بالمشاعر والحب (راجع نفس مقال السينما المشار إليه) .. الا ان فوز الفيلم المجـــرى « ميفيستو » هو انتصار جديد للســـينما الجادة .

فالفيلم يقدم دراسة عن الشيطان فى عصرنا الحالى .. من خلال صعود ممثل مغمور الى ان يصبح اهم ممثل فى المانيا الهتلرية .. وكل الاساليب الجهنمية التى اتبعها هذا الممثل لكى يكون قريبا من السلطة ! واسم الفيلم ماخوذ من شخصية الشيطان فى مسرحية « فاوست » لجوته .. وهى المسرحية التى برع ذلك الممثل فى تادية دوره فيها .. حتى اصبح هو نفسه ذلك الشيطان !



ماذا فعل ذلك الممثل ؟

والفيلم يضعنا فى فترة ظهور وجبروت هتلر فى المانيا .. دون ان يتورط الفيلم فى تكرار مشاهد النازية والحرب .. بل اكتفى بان يقدم انعكاس النازية على المثقفين وكواليس الفن .. وما كان يدور وراء الابواب المغلقة .

وبرع المخرج المجرى « ستيفان زابو » فى تعميق هذا الاحساس بالفساد السياسى من خلال رحلة هـــذا الممثـــل للارتبـــاط بالسلطة .

فهذا الممثل كما قدمه الفيلم .. بدا كممثل مغمور فى فرقة مسرح هامبورج .. ولان طموحه بلا حدود .. فقد وجد ان الطريق للنجاح من الممكن ان يكون بزواجه من ابنة هذا الاستاذ اللامع الذى له ارتباطات بالجناح اليسارى فى المانيا .. وفعلا تحقق له ما تمناه .. فقد قفز لان يكون عضوا بالمسرح القومى فى برلين مع بداية الثلاثينات .. وانتقل من قوة إلى قوة .. واصبح الضيف المرحب به فى اماكن متنوعة ابتداء من الجناح اليسارى إلى غـــرف الارستقراطية .. وعندما بدات الحشود النازية .. اكتشف انه فى مفترق الطرق



لقطات من فيلم « عربات النار » الفائز بجائزة احسن فيلم





وعليه ان يقرر اما ان يتبع عائلة والد زوجته وغالبا سيكون مصيرهم الطرد خارج المانيا .. او ان يقبل بوضعه الراهن ، وان يتحول الى ممثل غير محبوب نظرا لارتباطاته اليسارية فى السنوات السابقة .. ومرة اخرى تاتى له المساعدة من امراة .. والمراة هنا هى عشيقة الجنرال .. وواحدة من الشخصيات الرئيسية فى النظام النازى ولها اهتمامات خاصة بالمسرح .. ويتقرب منها .. ويبذل كل جهده ليلعب دوره فى مسرحية فاوست امام الجنرال (تعمد المخرج ان يكتفى بهذا اللقب كناية عن هتلر .. وتعمد ايضا الا يظهره بوجهه ابدا .. وإنما نشعر بوجوده من خلال استقبال الاخرين له) .. ويتحقق للممثل ما سعى إليه .. ويلعب الدور أمام الجنرال .. ويصافحه الجنرال باعجاب شديد .. مطلقا عليه وصف « رجل من دماء المانية حقيقيه » !

ويشعر الممثل انه بدا الطريق الصحيح للاقتراب من السلطة .. فيقرر الانفصال عن زوجته .. والابتعاد عن الراقصة السوداء التى شاركته رحلته الفنية .. وان يضع كل هدفه فى ان يستفيد من السلطة ويستخدم علاقته بالجنرال فى تدعيم مركزه .. ويصبح اكثر قوة .. واكثر وحدة .. حتى تاتى نهايته البشعة !

وقصة الفيلم ماخوذة عن رواية كتبها « كلاوس مان » بنفس العنوان .. وشارك المخرج « استيفان زابو » فى كتابة السيناريو مع « بيتر دوباى » .

ومن الواضح تماما فى المعالجة السينمائية .. ان النموذج الذى يركز عليه الفيلم .. رغم انه فى زمن ومكان محدد .. الا انه يوحى بأساليب الوصولية والتكالب على الارتماء فى احضان السلطه .. طمعا فى الامان والحماية والنجاح .. وهو اسلوب شائع على مر العصور ..

الفنان والسلطة

حتى ان الممثل النمساوى الاصل « كلاوس ماريا براندايور » الذى لعب بطولة الفيلم .. علق فى حوار صحفى حول مفهومه للشخصية التى جسدها .. فقال « إن المحور الاساسى فى الفيلم .. هو العلاقة بين الفن والسلطة .. بين الفن والسياسة .. وهى مسالة معقدة وحساسة عبر كل الازمنة .. لان الفنان يحمل مسئولية نفسه وفنه .. ومن اجل ان يكون قادرا على العمل .. فهو يحتاج لمساعدة .. ويحتاج للنقود .. وفى الازمنة القديمة تعود الفنان ان يحصل على هذا من رعاة الفن .. وفى هذه الايام انتقلت الرعاية الى السلطة .. ويبقى السؤال : ما هو الثمن المطلوب ان يدفعه الفنان مقابل هذا .. ؟ وما هى التنازلات التى يجب ان يتحملها » ؟!

وعن نفس القضية .. علق المخرج « استيفان زابو » حول فلسفته من الفيلم .. قال .. « هذا الفيلم .. قصة انسان لديه كفاءة ممتازة .. ولكنه يعيد ترتيبها واستغلالها من اجل ان يحصل على لحظة امان . إن قضيته اليومية ان يجعل الاخرين يقبلونه ، لانه لا يستطيع ان يعيش بدونهم .. انه يمثل طول الوقت ولكل الناس .. ويمضى فى تمثيله بكل المشاعر .. عقله يقظ دائما .. يعرف ان ما يفعله الان هو خيانة وغدر ولكنه يحول هذه الخيانة الى اسلوب فى الحياة .. إنه لا يثق فى نفسه .. قلق دائما بشان الامان .. إنه شخصية سيئة .. كاى نظام سيىء .. وكاى مجتمع سيىء .. واعتقد بلا تردد ان التفكير فى هذه الشخصية وفضحها سيضيء لنا الطريق .. وسيجعلنا نفكر فيما حولنا » .

* * *



الممثل الذى استحق جائزة احسن مخرج « وارن بيتى »

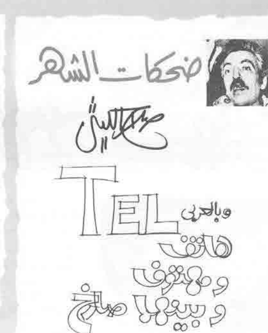


لقطة من فيلم « غزاة القوس المفقود »

إننى لا استطيع ان اجد نهاية لهذا المقال .. ابلغ من هذه الكلمات للمخرج المجرى .. وحتى لو طبقنا هذه الرؤية على بعض ما اسفرت عنه جوائز الاوسكار .. لادركنا حقيقة هذا الخلل فى هذه المسابقة .. او اى مسابقة اخرى !!

ولننتقل الى مهرجان « كان » السينمائى .. والى الاعداد القادمة .

رءوف توفيق





(ما يطلبه المستمعون)

ـ .. وتحب تسمع ايه ..
ـ .. اسمع ... الكلام .. !!



سيده ـ طالبة الصحة ... والستر ... هيه رقمهم كم ... ؟ !



« اعطال التليفونات »

جراهام بيل مخترع الهواتف ـ يمكن انا فاكر .. لما اخترعته كان يتكلم .. !!



(خناقات الاسر)

ـ قل للجيران اللى بيزعقوا يزعقوا قوى .. لأن الصوت غير واضح .. !!



سعد باشا قال ما فيش فايده .. لأن الفايده .. ربـا وحرام .. !!



ـ .. آسف .. طلبت « النمرة » ... خطأ .. ! !





ـ .. تفضل .. هاتف لسعادتك .. !!

● ليست كرة القدم مجرد رياضة ولكنها سياسة وثقافة وعادات حضارية متنوعة تربط بين الشعوب ● ● قالوا زمان اخترعت الصين : البارود وكرة القـــدم
● ● ● وافق الانجليز على نصف الحقيقة السابقة ورفضوا النصف الثانى لأنهم ـ وحدهم ـ الذين اخترعوا كرة القدم



١٩٨٢ عـــام كـأس العـــالم لكـــرة القـــــدم

قصّة الكرة مع الناس على مرّ الزمان

بقـلم : عــادل شــريف

في الفترة من ١٣ يونيو حتى ١١ يوليو القادمين .. ستستضيف اربع عشرة مدينة اسبانية «ثاني اعظم مهرجان رياضي في كوكب الارض» .. وهو بطولة كاس العالم لكرة القدم ..

وكرة القدم هي اللعبة التي جن بها بنو البشر .. في معظم انحاء العالم الواسع الارجاء .. بل كل الدنيا بعد ان سقطت آخر معاقل «مناهضة كرة القدم» في الولايات المتحدة واليابان !

وبمناسبة هذا العيد الرياضي الكبير البهيج .. هيا معا نستكشف قصة «الكرة» مع سكان الكرة الأرضية .. وكيف تطور استخدامها .. وكيف اصبحت كرة القدم اللعبة الشعبية الأولى في العالم .. وكيف اصبح نجومها اكثر شعبية وثراء من نجوم الفنون والآداب والعلوم ؟!

يقول رأى ان سر حب الانسان من قديم الزمان «للكرة» هو كونها مستديرة .. كالشمس !! بينما تقول فقشة تداعب هذا الرأى .. ان الكرة مستديرة .. كالكرة الارضية التى يسكنها الانسان منذ مطلع الزمان .. ومن ثم جاء ذلك الحب وتلك العلاقة العميقة ! والشىء الثابت الأكيد هو ان الانسان .. سواء كان طفلا صغيرا .. او رجلا كبيرا .. يحب ان يلهو بالاشياء «المستديرة» لانها تجرى وتستجيب .. وترتد ! ونقش الانسان القديم هذه العلاقة القديمة على الحجر .. وكانما ليؤكدها للاجيال التالية .

وفى مصر الفرعونية ـ مهد الحضارة البشرية ـ نقش المصريون القدماء على جدران مقبرتى الامير «خيتى» والامير «باكت» .. رسوما بالالوان لنسوة يلعبن بكرات مستديرة !

واكد علماء الآثار ان هذه النقوش تعود الى عام ٢٠٤٠ .. قبل الميلاد !

واكدوا ايضا ان بلدة «تانيس» الفرعونية (فى شمال شرق الدلتا المصرية) كانت تشتهر بصنع الكرات الجيدة .. وبل اكد بعض المؤرخين المحدثين ان اسم تلك المدينة .. هو الاسم الذى اطلقته اوروبا فى العصور الوسطى على لعبة «التنس» ! ولكن الشىء الذى اجمعوا عليه .. انه رغم انتشار استخدام الكرات فى اللهو واللعب والمرح والترويح .. فان استخدام الأقدام فى ركل الكرات .. كما هو معروف فى كرة القدم الحديثة .. لم يكن معروفا فى سالف الزمان !

الامبراطور .. والكرة !

وقد مرت لعبة كرة القدم الحديثة بسلسلة طويلة من التطورات .. مع مر الايام وكر الاعوام .. منذ وضع «هوانج ـ تى» امبراطور الصين فى سنة ٢٥٠٠ ق.م . قوانين لعبة اسمها «تسو ـ تشو» . وتعنى كلمة تسو «ركل الكرة بالقدم» .. بينما تعنى كلمة تشو «الكرة المصنوعة من الجلد .. والمحشوة بشعر النساء» !

ومن هنا كانت البداية .. بداية حكاية احب لعبة الى قلوب سكان كوكب الارض .. لعبة كرة القدم .. صاحبة الشعبية الاولى فى مجال الالعاب الرياضية .. فى كل الكرة الارضية !

وغارت اليابان جارة الصين .. فمارس اليابانيون لعبة كروية شبيهة بالتسو ـ تشو

جماهير الكرة .. اصبحت اليوم فى كل مكان .. تتابع احداث كافة المباريات وتحفظ اسماء اشهر اللاعبين

اسمها «كيمارى» .

ويقول نص بقلم المؤرخ الصينى القديم «لى جو» يتيه به متحف الأجناس البشرية فى «ميونيخ» .. إن اول مباريات فى لعبة الكرة .. جرت بين الصين واليابان .. وقد اقيمت فى عام ١٠٠ قبل الميلاد !!!

ولم تكن تلك المباريات .. إرهاصة لما جاء بعد ذلك من مباريات دولية تحتدم فيها المنافسة الى حد قيام الحروب .. كما حدث فعلا بين السلفادور وهندوراس فى عام ١٩٦٩ .. بينما كانت ممارسة الكيمارى اليابانية .. تقوم على الاحترام والود والتبجيل وتقديس التقاليد القديمة المهذبة المرعية !

وعن المصريين القدماء نقل الفينيقيون سكان بر الشام القدماء (سواحل سوريا ولبنان وفلسطين الى بلاد الاغريق (اليونان القديمة) العاب الكرة .. فانتشرت فى اليونان لعبة اسمها «ابيسكيروس» .. وعندما ابتلعت الامبراطورية الرومانية فى مرحلة توسعها بلاد الاغريق .. اخذ الرومان عن الاغريق تلك اللعبة وطوروها لتصبح «الهارپاستوم» الرومانية .. التى عشقها يوليوس قيصر عشقا مبرحا .. وكان يراهن عليها .. وبل «انتزع» من صديقه سيسيليوس خمسين «تالينا» وهو عملة روما القديمة .. فى احدى رهاناتهما القديمة !

وانقسم شعراء وفنانو روما حول «الهارپاستوم» .. فسخر منها وعارضها فيرجيل وهوراس .. بينما اشاد بها اوفيم وإن نصح النساء بعدم ممارستها .. لخشونتها وعنفها .. وعدم مناسبتها .. لحواء الرقيقة !

ونقل الرومان لعبتهم الى كل انحاء امبراطوريتهم .. بل عبروا بها المانش ونقلوها الى . بريطانيا !

مهد كرة القدم !

تقول عبارة تاريخية شهيرة «لقد اخترعت الصين .. البارود ، وكرة القدم» .

ولكن للانجليز رايا مخالفا فى هذه العبارة الشهيرة فهم يوافقون على نصفها الاول .. وينكرون نصفها الثانى !! ببساطة لانهم يؤكدون انهم هم الذين اخترعوا كرة القدم ! وجددوا .. وطوروا .. ونشروا .. وقننوا .. كرة القدم !! وهذا صحيح !

صحيح برغم ان مدينة سيتى اليوغوسلافية على ساحل دالماشيا .. تفخر بتمثال من القرن الثانى الميلادى لشاب يمسك بكرة مسدسة الاضلاع !

وصحيح .. رغم ان الايطاليين يقيمون مهرجانا سنويا كرويا فى اشهر شوارع مدينة فلورنسا وهو «بيازا ديللا سينيورا» تكريما للعبتهم التى مارسوها فى العصور الوسطى وكان اسمها «الكالشيو» الشبيهة بكرة القدم .. العصرية !

فللتاريخ كانت ممارسة لعبة الكرة فى الصين واليابان والمكسيك وبورما . بل فى بريطانيا ذاتها .. ممارسة بلا قيود ولا قوانين موحدة معممة .. وكانت ممارستها فيها الكثير من الفوضى والعنف .. الى حد ان الاسكتلنديين لعبوا برؤوس القتلى الانجليز بعد معركة بين الشعبين قبل قيام الوحدة بينهما !! كما لعب الانجليز برؤوس غزاتهم الفايكنج القادمين من اسكندنافيا !!

ومن فرط الخسائر فى شوارع بريطانيا بسبب ممارسة كرة القدم .. اصدر عدد كبير من ملوك وملكات انجلترا اوامر ملكية تحرم ممارسة هذه اللعبة .. وكان عقاب من يقبض عليه متلبسا بممارستها .. يتراوح بين الجلد .. والسجن .. والشنق !

وكان ملوك انجلترا يناشدون الناس الاهتمام بالرماية بالسهام بدلا من ممارسة كرة القدم . وكيف لا تسود الفوضى .. وعدد افراد الفريق كان بلا حدود .. ويصل احيانا الى خمسمائة «مشاغب» ! وكانت المباريات «معارك» وحشية

١٩٨٢ عام كأس العالم لكرة القدم

يجوز فيها كل شيء .. واى شيء .. لانها كانت لعبة «حرة» .. بلا لوائح او قوانين او حكام او مرمى او شباك للمرمى او فترة لعب محددة بوقت .

وورد فى وثيقة تاريخية فى عام ١٨٢٩ هذه المعلومة «بعد مباراة كرة قدم فى داربى شاير .. أضحى من الصعب .. احصاء عدد الفكوك المحطمة والرؤوس المشجوجة .. والسترات الممزقة ..» !

ترويض النمرة !

وقبيل منتصف القرن التاسع عشر .. بدات فى انجلترا حملات تستهدف ترويض كرة القدم واستئناسها ، وتخليصها من الوحشية والعنف وقد ظهر ذلك الاتجاه فى جامعات وكليات انجلترا الشهيرة ومدارسها العريقة .. واستهدفت الحملة المستنيرة تخليص اللعبة من اثار اخطر منافساتها وهى لعبة «الرجبى» .. وقانون الرجبى يسمح بلمس الكرة باليد وحملها والجرى بها .. وممارسة العنف .. بينما كان عشاق كرة القدم يريدون ممارسة لعبتهم بالاقدام والرؤوس .. فحسب ! واستغرقت عملية الانفصال والاستقلال حوالى نصف قرن من الزمان .. وهى العملية التى حسمها طالب مرح فى جامعة اوكسفورد عام ١٨٦٣ اسمه تشارلز براون .. فقد ساله رفاقه يوما :

ـ هل ستلعب يا تشارلز معنا اليوم لعبة «الرجر» ؟!

وفى تلقائية داعبهم تشالز قائلا :

ـ لا .. سامارس اليوم لعبة «السوكر» .

و «الرجر» هى لعبة الرجبى بالعامية .. اما «السوكر» .. فهى كرة القدم المعروفة فى الفصحى الانجليزية بـ «الفوتبول» !

وبدات حركة «ترويض النمرة المتوحشة» بفضل جهود المربى الانجليزى الشهير توماس ارنولد ناظر مدرسة رجبى فى عام ١٨٢٨ الذى طالب فى حملته بنبذ العنف وغرس الحب .. وتوحيد قوانين كرة القدم .. فقد اوصلت الفوضى الحال الى وضع مضحك . فقد كانت لكل مدرسة ومنطقة .. قوانينها الكروية .. الخاصة ! فعلى سبيل المثال كانت فرق بعض الجامعات والمدارس تقضى بتغيير الفريقين المتنافسين لنصف ملعبها بعد إحراز كل هدف ! وكانت رميات التماس ترمى .. بيد واحدة ! وكان طول وعرض الملعب .. حسب المساحة المتاحة .. وكان الحكم مجرد مستشار يجلس فى المدرجات !

وقامت جامعة كيمبريدج بخطوة ثورية .. عندما اصدرت لجنة فى عام ١٨٤٦ «اول» مجموعة قوانين «مكتوبة» لكرة القدم .. فى محاولة لتوحيد قوانين اللعبة التى جن بها الانجليز .. وخاصة العمال الذين تصاعد عددهم بسبب النهضة الصناعية ..

وفى عام ١٨٦٢ اصدر ادوارد تريبنج ناظر مدرسة «ايبنجهام» مجموعة قوانين من عشرة بنود اسموها «اكثر الالعاب بساطة» .

اول اتحاد كروى !

وفى يوم الاثنين ٢٦ اكتوبر ١٨٦٣ شهدت احدى قاعات حانة «فريمسون ارمز» بشارع جريت كوين (ومايزال موجودا فى قلب لندن حتى الان) اجتماعا تاريخيا .. وافق فيه ممثلو الجامعات والمدارس والاندية الرياضية على تكوين «اول» اتحاد رسمى لكرة القدم تجاوبا مع شعبية اللعبة المتصاعدة .. ليرعى اللعبة وينميها وينشرها .. ويوحد قانونها ويعممه فى داخل بريطانيا .. وخارجها !

وكان اطرف البنود الجديدة التى اعتمدها الاتحاد الوليد .. منع ركل سيقان المنافسين واسقاطهم على الارض عن عمد .. كما يحدث فى لعبة الرجبى !

وقاد حملة توحيد قانون كرة القدم وتعميمه الشقيقان جيمس وتشارلز الكوك ، فى حماسة هائلة ، وبلا كلل او ملل .

وعمل تشالز سكرتيرا لاتحاد الكرة الانجليزى لمدة ربع قرن من الزمان «من عام ١٨٧٠ حتى عام ١٨٩٥» .. ودخل التاريخ من اوسع ابوابه عندما اقترح اقامة «اول» بطولة كرة قدم .. فى تاريخ لعبة كرة القدم .. وهى بطولة كاس انجلترا .. التى بدات فعلا فى عام ١٨٧١ .. واقيم «اول» نهائى لمسابقة الكاس فى ١٦ مارس ١٨٧٢ .. وحضر ذلك النهائى الفان من عشاق كرة القدم .. دفع كل واحد منهم .. شلنا واحدا .. ليدخل ملعب «اوفال ليننجتون» فى لندن .. اما نهائى كاس العالم ١٩٨٢ فى مدريد فستنقله الاقمار الصناعية الى نصف سكان كوكب الارض !

لعبة عالمية !

ومن الجزر البريطانية خرجت اللعبة الجديدة بعد تقليم اظافرها وترويضها .. و .. وغزت الدنيا كلها ! فغريزة حب التقليد من ابرز غرائز الانسان .. وكان الناس يقلدون افراد الجاليات والحاميات الانجليزية .. ورجال الاعمال والبحارة الانجليز الذين كانوا يمارسون كرة القدم فى اى مكان يقصدونه .. فى كوكب الارض !

وكانت الامبراطورية البريطانية واسعة الاطراف ولا تغرب عنها الشمس .. وموجودة فى قارات العالم الخمس .. واخذت الناس تقلد ما يفعله الانجليز فى كل ارجاء الدنيا بقطعة من الجلد يملاها الهواء !

وهكذا عرفت الدنيا كرة القدم بعد تطويرها وتقنينها ! ومازال بعض اندية امريكا اللاتينية تحمل اسماء انجليزية منذ ذلك التاريخ حتى الان !

وساعد على انتشار اللعبة .. انها لعبة بسيطة .. كل ما تحتاجه قطعة من الارض الفضاء .. وقطعة من الجلد يملاها الهواء .. واناس لديهم وقت فراغ ، ويبغون اللهو واللعب والترويح ! فهى لعبة «رخيصة التكاليف» .

واتسع مجال النشاط الكروى المحلى .. ونظم الانجليز اول مسابقة لدورى كرة القدم فى الثامن من سبتمبر عام ١٨٨٨ .. ومن ثم ظهرت هموم «النقط» و «التعصب» للاندية . وبعد ذلك جاءت مرحلة من اهم مراحل تطوير اللعبة .. وهى الاعتراف بالاحتراف فى عام ١٨٨٥ .. واصبحت ممارسة كرة القدم وظيفة ومهنة وحرفة ! وتحول المحترف الى نجم محبوب يفوق نجوم الادب والفن .. شهرة وثراء ! وواكب النشاط المحلى انطلاقة اوسع افاقا .. وهى البطولات الدولية التى بدات بمباراة بين اسكتلندا وانجلترا فى عام ١٨٧٢ بمدينة جلاسجو ..

ومع تصاعد النشاط الدولى استمر تطوير وتعديل قانون اللعبة .. من اجل الافضل والاحسن .. الى حد ان بيليه «ملك كرة القدم» اسماها فيما بعد «اللعبة الجميلة» !

ثم جاءت المرحلة الاهم .. وهى مرحلة تكوين هيئة دولية تشرف على اللعبة فى العالم كله ، بعد ان انتشرت حمى كرة القدم فى معظم انحاء العالم الواسع الارجاء .. وبعد ان كونت دول كثيرة اتحادات قومية لكرة القدم للاشراف على

اللعبة .. ورعايتها محليا .

وفى يوم ٢١ مايو عام ١٩٠٤ شهد «الفيفا» النور فى «مدينة النور» !

و «الفيفا» هو الاتحاد الدولى لكرة القدم .. و «مدينة النور» هى العاصمة الفرنسية .. باريس طبعا !

وقبل تكوين «الفيفا» بعامين قدم الكونت البلجيكى فان در ستراتين يوتوى «أول» اقتراح بتنظيم «بطولة عالمية» لكرة القدم .. وسانده فيما بعد المليونير الهولندى كورنيليوس هيرشمان الذى أصبح فيما بعد سكرتيرا عاما للفيفا .. وكذلك الفرنسى هنرى جيران رئيس الاتحاد العام الرياضى الفرنسى .

ومع الفكرة الخلاقة المبتكرة الوليدة .. جاءت المعارضة الشديدة العنيدة .. وعلى رأسها انجلترا «مهد كرة القدم» : لأن ابرز صفات الانجليز هو «الشك فى كل ما يجرى خارج الجزر البريطانية .. وتقبله فى حذر وتحفظ شديدين» !

فقد غار الانجليز من مبادرة «الاجانب» الى تكوين الفيفا «فرنسا وبلجيكا والدنمرك والسويد وهولندا واسبانيا وسويسرا» .. وغاروا من مجرد تفكير «الاجانب» فى تنظيم بطولة عالمية

والغريب أن الانجليز لم يشتركوا فى بطولة كاس العالم إلا فى عام ١٩٥٠ .. اى بعد بدء البطولة .. بعشرين عاما !

وللدلالة على شعبية اللعبة .. فقد تصاعد عدد الدول الأعضاء فى «الفيفا» من سبع دول فى عام ١٩٠٤ الى مائة وست واربعين دولة فى عام ١٩٧٧ !

وانطلاقا من هذه الشعبية المتصاعدة النمو .. ودعما للألعاب الأوليمبية الحديثة التى احياها البارون الفرنسى بيير دى كوبيرتان عام ١٨٩٦ .. اضافوا كرة القدم الى البرنامج الرياضى الاوليمبى منذ دورة لندن الأوليمبية عام ١٩٠٨ .

ولكن فلسفة الألعاب الأوليمبية تقوم على انه ليس للرياضة سوى حبيب واحد فقط .. وهو اللاعب «الهاوى» وليس «المحترف» !

وكان معنى ذلك حرمان «المحترفين» من الاشتراك فى الألعاب الأوليمبية رغم انهم ابرع من «الهواة» وأمهر .. ولهم شعبية اكثر ! وكان ذلك الحرمان من امضى أسلحة المحامى الفرنسى النحيل النبيل جول ريميه فى كفاحه المرير والطويل .. من اجل تنظيم بطولة كاس العالم لكرة القدم ، التى لا تفرق بين الهواة والمحترفين .. والمفتوحة للفئتين .. اى للجميع !

ورغم ان جول ريميه كان رئيسا للاتحاد الفرنسى لكرة القدم و «للفيفا» ايضا «منذ عام ١٩٢٠» فقد سار على طريق من الأشواك من اجل تحقيق حلمه الكبير .. تنظيم بطولة كاس العالم لكرة القدم !

صدفة .. عجيبة !

وعلى بطولة كاس العالم لكرة القدم يطلقون «ثانى اعظم مهرجان رياضى بعد الألعاب الأوليمبية .. فى كوكب الأرض» ! من اجل الحصول على موافقة «الفيفا» لبدء تنظيم هذا العيد الرياضى الكبير .. داخ جول ريميه السبع دوخات على مدى عشرة اعوام برغم تاييد صديقه الوفى هنرى ديلونى (سكرتير عام الاتحاد الفرنسى لكرة القدم) .

ولكن .. «من سار على الدرب وصل» ! وواصل جول ريميه ورفيق عمره مداومة الطرق بقوة واصرار حتى انهارت ما وضعته المعارضة من صعاب وأسوار ! وهكذا جاء النصر بعد الصبر .. بعد عشر سنوات من الكفاح والجهاد من اجل الحصول على موافقة «الفيفا» لبدء بطولة كاس العالم !

ولكن بعد الموافقة ظهر مطب طريف : اين هى الدولة التى توافق على استضافة اولى بطولات كاس العالم ؟! ورشحت عوامل كثيرة .. دولة صغيرة اسمها «اوروجواى» :

● فتكريما لعيد استقلالها المئوى عن اسبانيا فى عام ١٩٣٠ م .

● وتكريما لفوزها بمسابقة كرة القدم الأوليمبية «اى بطولة العالم للهواة» مرتين متتاليتين فى عامى ١٩٢٤ ، ١٩٢٨ .. وقع الاختيار على اوروجواى لتنظم اولى بطولات كاس العالم .

ولكن اوروبا كانت تغار من امريكا اللاتينية .. تلك القوة الكروية الصاعدة الواعدة .. المتوعدة !

واعتذرت كثير من الدول (وخاصة الاوروبية) عن عدم تلبية دعوة اوروجواى ـ وبالتالى عدم الاشتراك فى أولى بطولات كاس العالم ـ بسبب بعد المسافة وما تستغرقه رحلة السفينة من وقت وتعب .. وارتفاع نفقات ارسال الفرق القومية الكروية الى اوروجواى .. البعيدة !

وواجه جول ريميه مهمة صعبة .. وهى مهمة اقناع اوروجواى الصغيرة المتواضعة الموارد .. بتحمل نفقات سفر واقامة «كل» الضيوف !

وكانت الأيام تمر .. وموعد اولى بطولات كاس العالم يقترب .. وعدد الضيوف يتقلص .. وتبريرات الانسحاب أو عدم الاستجابة يتزايد !

واشتدى ازمة تنفرجى !

ففى احدى مقاصف جنيف الشهيرة كان جول ريميه يضع يده على خده وقد راح فى تفكير عميق ، ونسي تناول قهوته حتى بردت .. عندما ربت على كتفه صديق قديم .. وهو الدبلوماسى الأوروجوالي الدكتور «انريك بيرو» الذى كان فى زيارة خاطفة لجنيف ، والذى كان مثل جول ريميه .. يعشق كرة القدم عشقا مبرحا !

وقص جول على صديقه قصة عقبة التمويل التى تجعل تحقيق حلمهما المشترك أمرا شبه مستحيل ! ووعد انريك صديقه ببذل كل مساعيه الجيدة لدى مسئولى اتحاد اوروجواى لكرة القدم لاقناعهم بتحمل نفقات سفر واقامة الفرق المستضافة . واوفى انريك بوعده ونجح فى مهمته الصعبة بدبلوماسيته البارعة ولباقته الماهرة . وفى «كرم عربى حاتمى» ، وجهت اوروجواى الصغيرة ذات الموارد القليلة ..

الدعوة الى جميع الفرق القومية الكروية فى قارات العالم الخمس للاشتراك فى اولى بطولات كاس العالم الذهبية .

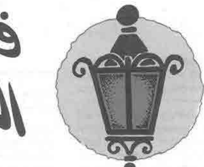
ومع ذلك لم تستجب للدعوة سوى إحدى عشرة دولة .

الجزائر والكويت

وبدات القافلة مسيرتها .. واحتلت بطولة كاس العالم لكرة القدم مكانة سامية فى دنيا الرياضة ، الى حد أن عدد الدول التى اشتركت فى تصفيات بطولة كاس العالم عام ١٩٨٢ وصل الى مائة وستة دول ! ووصلت منهما دولتان عربيتان الى الأدوار النهائية التى يبلغ ٢٤ دولة وهما الجزائر والكويت .. وهذه هى اول مرة فى تاريخ كاس العالم تصل فيه دولتان عربيتان الى الأدوار النهائية للبطولة . وكانت مصر فى بطولة ١٩٣٤ هى اول بلد عربى يدخل النهائيات وحققت المغرب نفس الانجاز فى بطولة ١٩٧٠ .. وكذلك تونس فى بطولة ١٩٧٨ .

وهذه هى اول مرة ايضا يصل فيها عدد الدول المشتركة فى النهائيات الى ٢٤ دولة بدلا من ١٦ دولة حسب التقاليد القديمة .. ولذلك فان اسبانيا مضيفة بطولة ١٩٨٢ .. ستواجه مهمة شاقة وصعبة .. ويكفى ان عدد مباريات النهائيات ارتفع من ٣٨ مباراة الى ٥٢ مباراة .. ستقام على ١٧ ملعبا فى ١٤ مدينة .. وان عدد رجال مهنة البحث عن المتاعب ـ أى الاعلام ! ـ سيرتفع فى اسبانيا الى رقم قياسى بلا مثيل .. وهو سبعة الاف وخمسمائة اعلامى واعلامية ! ليقوموا بتغطية احداث «اللعبة الجميلة» و «ابسط الألعاب» .. وإن كانت كرة القدم مستديرة .. وذات نتائج مثيرة .. واحيانا مريرة! فهكذا جُنت الدنيا .. بقطعة من الجلد يملأها الهواء !

«عادل شريف»



قنديل قافلة الليل..

إلى صلاح عبدالصبور

شعر: د. أنس داود

أريد مكانا على البحر
تهدأ فيه الرياح ، وتغفو العواصف
لأرسم طيفك فوق المساء
وأوقظ جرحك :
كيف انفلت خفيفاً
ذهبت بعيداً
وخلفت دفء العواطف
وألف صديق يضمك فى حبة القلب ،
يفديك ..
لو يفتدى الشاعر العذب ،
من كان أحنى من الظل ،
أندى من الطل ،
أرهف من نسمات الخريف
ومازال ينبض بين الجوانح
كيف اكتملت مثالا فريداً
وكيف تصالح فيك التواضع والكبرياء
وكيف التقى وهج العبقرى بتلك العذوبة ،
كيف تمازج فى ضوء عينيك
حزن النفوس الكبار ، مراح الطفولة ،
عفوية البسطاء
أأنت ؟
ـ أكاد أكذب ظنى فى لحظات اللقاء
وأنت كمروحة الياسمين
تخبىء همك بين الضلوع ،
وتأسو جراح رفاقك .. عبر السنين
أأنت ؟
الصديق الوفى ؟
أم الشاعر الفذ ؟
أم رقرقات الحنين ؟
أم أنت بهذا الزمان الغريب
تمثل معنى « البراءة »
يصغر حولك كل الرجال ، وتكبر فيك « البساطة »
يغدو « النقاء » طبيعة قلبك ، أسلوب يومك
منح العبير ، ومنح الضياء
إذن أنت « حقل » من الياسمين
إذن أنت « قنديل » قافلة الليل ،
« واحة » جيل من المتعبين
فكيف تخوض الهجير بدونك
نهزم زحف الرمال
ونهزم عقم الرجال
وكيف نراها بدونك
« قاهرة » الصيف
أو أمسيات الشتاء
« بدونك »
ما أتعس القلب حين يقول : « بدونك »
ليس هنالك معنى للفظ « صديق »
بدونك ، لفظ « إخاء » ولفظ « عطاء » ..
ولفظ « البراءة » و « الحب » و « النبل »
و « الكبرياء » ..

* * *

أريد مكانا على البحر
تهدأ فيه الرياح ،
وتغفو العواصف
لأرسم طيفك فوق المساء

دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

منشئها ومحررها
صلاح الدين المقريزي

مقتطفات مما كان يقرؤه
منذ ١٠٠ عام جد أبيك

عزيزي القارىء ..

يكاد هذا العدد من « دوحة الماضي » يكون عددا خاصا بالأسرة ، وهو يطرح قضايا قديمة ، ولكنها جديدة ، تاريخية لكنها معاصره ..

فمنذ قرن كامل كانت قضية تثقيف المرأة مطروحة ، وكانوا يعلمون ان القضية ليست مجرد التعليم ، فالثقافة شيء مختلف عن معرفة القراءة والكتـــابة وحفظ بعض النصوص ، وهي قضية تطرحها قارئة سورية مجهولة في رسالة مفتوحة كتبتها لصديقة لها ونشرتها المقتطف !

منذ قرن كامل كانت الدوريات الثقافية تهتم بديكور المنزل ، وتعتبره دليلا على شخصية صاحبه ، وتطرح افكارها حول تنسيقه وترتيبه ..

« المحرر »

العدد العاشر - يونيو/حزيران ١٩٨٢

دوحة الماضي

اعترافات فتاة متقفة منذ قرن

تعلمت الفرنساوية والانكليزيـــة ولكنى لم اقرا بهما بل تزينت البنـات المتعلمات لا تزدن عن اجهل « بنات العصر فى علمهن باحـــــوالـه وسياساته »

« جاءتنا الرسالة الآتية وهى رســالة بعثتها صبية من الصبايا المهذبات لرفيقة لها اثناء المباحث التى جرت فى مسالة المراة على ما يظهر فادرجناها لبيان فضل صاحبتها المجهولة عندنا ولتعلم فوائد البحث ويرى أهل سورية ان بناتهم لسن دون ابنائهم فى طيب الجبلة وسمو الهمة والانفة من عار الجهل والكسل .

حضرة صديقتى المخلصة ..

« ... اعرض انك ولابد قد اطلعت على ما جاء فى هذه الايام من البحث والمحاورة فى موضوع يتعلق بى وبك وبمن كان مثلنا اكثر مما يتعلق بغيرنا وهو النساء وارتقاؤهن فى الهيئة الاجتماعية والمراتب العقلية ومنزلتهن فى العيال وفائدتهن فى الجيل الحاضر . وقد بلغك ولا ريب ما قيل فينا من انا نغتذى بالبان المعارف ولا ننمو ونروى بماء الاداب ولا ننضر وانا ولو مهما تيسرت لنا الوسائط وتوفرت اسباب التهذيب نبقى دون الرجال إما لاهمال منا او لنقص فى جبلتنا الى غير ذلك ممـــا انفتحت عليه عيون ابناء البلاد فى هذا الزمان وحان للوطن ان يدعونا اليه على ما يزعمون او كما ينبغى ان يكون . هذا واعترف لك ايتها الصديقة المخلصة انى كثيرا ما رددت مثل هذه الاقوال فى ذهنى ووددت لو فتحت لي عوائد هذا الجيل باب المناقشة فاناقش عن بنات جنسى جهاراً واحثهن على العلم والأدب والتمدن والتهذيب ولو كنت دون ذلك قوة واقتدارا . على انى لما رايت ما نحن عليه من القصور وما تهافتنا اليه من دنايا الامور كالملبس والزينة بدلا من التحلى بجواهر التمدن العلم والادب عدلت عن المجاهرة فى المحاورة ووجهت قلمى نحو رفيقاتى من بنات جنسى اكاتبهن ويكاتبننى لنرى ان كنا نلام عدلا فنصلح ما نلام عليه ونتبع من الفضائل ما نلهم اليه .

لا يخفاك ايتها الودودة ان وسائطنا فى العلم والتهذيب لا تقل عن وسائط اخوتنا الرجال ولكنك تقرين معى اننا لا نحصل منها ما يحصلون من الفوائد ولا نسعى كما يسعون لمد المعرفة من فرد إلى فرد حتى تزداد قوة على قوة فى ارتقاء سلم الكمالات ولطالما سمعنا من اخوتنا الذين يعاشرون ذوي الطبقات العليا فى العلم والادب واللطف والتهذيب فى الهيئة الاجتماعية انهم لا يلذون بمعشرنا ولا يثقون فى انفسهم بالاعتماد علينا كما يعتمد احدهم على الآخر . هذا وانت تعلمين ان اخوتى يحبوننى محبة فائقة ويقدمون لى من الاعتبار ما لا يحق لى مطالبتهم ولكنى اشعر من نفسي انى لا اعيش ضمن الدائرة التى يعيشون هم فيها سواء كان فى الافكار او فى الحاسات . وذلك يشق على جدا ولكنى لا افتكر فيه الا واجد انى انا الملامة اذ لم اجد كما يجب لابلـــغ درجتهم واعاشرهم كاننى واحدة منهم مع انى قد قضيت فى المدارس ما قضوا هم من الزمان وكلفت والدى من النفقة والمشقة على تهذيبى ما كلفهما كل منهم . ولعل حبك يحملك على تبرئتى من الكسل والقصور لانك كثيرا ما تمدحين اجتهادى فاقـــول نعم انى عشت تدرس ما تعلمني بنات جنسي بزمنه فاحسنت التكلم باللغة الفرنساوية واللغة الانكليزية ولكني اقتصرت على ذلك ولم امد يدى لالتقاط جوهرة من الجواهر العديدة المدفونة عني فى كنزى تينك اللغتين . وكلانا نقر انا نجهل اكثر العلوم ان لم نقل كلها وانا فى البحث عن مسائل هذا العصر والوقوف على حوادث هذه الأيام من عملية وسياسية وغيرها لا نزيد رغبة واجتهاداً عن اجهل بنات هذا العصر واقلهن تهذيباً واننا لا نعي الا اقل القليل من المعارف العامة التى هى فى احاديث الهيئة الاجتماعية كالملح والافاويه فى الطعام . ولذلك تريننا اذا حضرنا محفلا لا نتكلم الا بملابس هذه وزينة تلك واعمالها بالابرة والصنارة وما شاكل فان لم يفتح لنا باب للحديث فيها او فيمـا شابهها نلزم الصمت ونقضى الوقت فى التثاوب وفرك العيون حتى يمل الحاضرون والحاضرات من مجالستنا ويودوا لو تمكنوا من مفارقتنا .

انت تعرفين ان ... الافرنجية لا تزيد عنا سنا ولا تيسرت لها اسباب العلم اكثر مما تيسرت لنا ولا هى ابرع منا (ان لم اقل إنها دوننا) فيمـا تعلمناه معا فى المدرسة ومع ذلك فقد حضرنا كلانا معا فى محفل منذ مدة فاذهلتنى كما اعجبت من حضر بما جاءت به من الفكاهات العديدة التى يلتذ العقل بها وتطرب النفس من سماعها وكنت انا صامتة اكثر الوقت اتعجب من ان ... التى كانت فى الصف تستقي من معارفي اضحت فى الهيئة الاجتماعية تسقيني من معارفها . واحييت الليلة من خجلي افتكر فى اسباب تاخرى وتقدمها فكنت تارة اقول كما كنت اسمع البعض يقولون اننا نحن السوريين جيل قديم من الناس وقد بلغنا حدنا من النمو فاذا نما الفرد منا الى درجة معلومة توقف بالطبع عندها ولم يعد فيه قوة النماء . وتارة اقول ان رجالنــــــا لا يحسنون الالتفات الينا فلا يجعلون لنا مندوحة للتقدم ، وتارة اقول اننا نحن نلتهى بصغائر الامور عن عظائمها حتى تبينت اخيرا ان وقتى الذى كان ينبغى على ان اقضيه على استقاء المعارف من بحر اللغة الفرنساوية واللغة الانكليزية قضيته على العمل بالكروشة والاقتداء بزينة هند والتعود بعوائد وردة والاستماع لهذر نور

حتى كاد الميل الذى تربى فى للدرس وتثقيف العقل يموت مني وجرثومته تضمر وتبيد . ولذلك بكرت فى الصباح وقصدت ... المار ذكرها وسالتها عما تفعل فى ساعات البطالة فأرتني كتبا عديدة فى فنون مختلفة وجرائد وتاليف للتسلية بكل ما يفيد العقل ويكمل الانسان ويلذ للسامع والقارىء معا . فعزمت من ساعتى على ان انفض عني غبار الكسل واخصص جانبا من اوقاتى بالمطالعة والتمعن فى ما تعلمت مبادئه والتوسع فى مباحثه لتثقيف عقلي وتهذيب اخلاقى وان اخصص جانباً اخر منها بالكتابة لرفيقاتى والحث لهن على ان يشاركنني فى هذا الامر وان اعين والدتى فى البيت فى امور كثيرة قد اعتدنا ان ننظر اليها بعين الاحتقار ونعتدها مما يحط بنا ويختص بمن هن دوننـــا والحال انها من اعظم ما يطلب منــــا اعتبارا وفائدة . وسأكتب لكم فى تحرير اخر عن امور كثيرة عرضت لى خلافا لما كنت انتظر بعدما عزمت على ما عزمت واما الآن فالواجبات تقتضي ان اختم تحريرى هذا ، وقبل ذلك اذكرك بالجمعية التى سبقنا اليها اعنى بها جمعية باكورة سورية وبالخطب التى نشرتها منذ بضعة اشهر . الم تجدي فيها كلاما يعبر عما يهيج فى فؤادك من العواطف او لا تظنين انه يجب علينا الانضمام اليها والسعى فى تكثير عدد اعضائها بترغيب رفيقاتنا فى الدخول فيها . ان مكتوبى هذا يختلف عما جرت لى

العادة ان ابعث به اليك فلا تستغربي واعلمي ان لك عندي منزلة رفيعة من الاعتبار لما اعهده فيك من الهمة وجودة الرأي وحسن السعي فارجوك ان تتاملي ما كتبته اليك وتؤازريني بمساعدتك لتخدم بنات جيلنا ولو بالقليل الذي عندنا واقبلي مني التحيات الخ ... وطال بقاؤك لأختك ..

الضرر في تعليم الصغار

كل عضو من أعضاء الجسد إذ اتعب كثيرا قبل ان يبلغ حده من النمو يتشوه . فالطفل الصغير إذا اجبر على الوقوف قبل ان يقوى فقار ظهره وتشتد عظام ساقيه يحدودب ظهره وتتقوس ساقاه وتختل بنيته كلها . والدماغ كغيره من اعضاء الجسد فاذا اجهد الصغار بالعلم حدث فيه شيء من الخلل واختلت بنيتهم كلها لذلك يجب ان لا يجبر الصغار على الاشغال العقلية الشاقة ولا يحرضون بالمسابقة والجوائز على الدرس فوق طاقتهم كما يجب ان لا يجبر الاطفال على الوقوف والمشي .

ديكور

الاعتبار الأول ليس للمال

الناس يتفاوتون في القيم بتفاوتهم في الهمم، والبيوت تتفاوت في البهجة بتفاوتها في الترتيب فكم من غني لا قيمة له ولا اعتبار لضعف همته وكم من فقير له المنزلة الاولى في عيون الناس لعلو همته . وكم من بيت انفقت عليه قناطير مقنطرة من الاموال ولا ترتيب في بنائه ولا ذوق في اثاثه . وكم من كوخ لا يسع غير سكانه والعين لا تشبع من النظر إليه وإلى ما فيه لحسن ترتيبه ونظافته .

الوان الكراسي والموائد وما يوافقها من الوان الاثاث

كل ذي ذوق سليم يشعر من نفسه ان بعض الالوان يوافق بعضا ويخالف بعضا فالاحمر مثلا يوافق الاخضر ولا يوافق الأزرق ، والازرق الفاتح يستحسن على الشخص الاشقر ولا يستحسن على الأسمر وهلم جرا . ومهما كان اثاث البيت فاخرا ولباس الانسان ثمينا فلا يروقان للنظر ما لم تراع فيهما شروط موافقة الالـــوان ومضادتها . فاذا كان خشب الكراسي والموائد من الاحمر يوافقها من الوسائد والاغطية الأخضر على انواعه ولا يوافقها الأحمر الفاتح ولا القرمزي لأن الاحمر متمم الأخضر فتظهر حدود كل منهما وذلك من شروط الجمال في الاثاث . واذا كان خشبها اصفر كخشب الليمون والسنديان يوافقها الأزرق الفاتح والبنفسجي الفاتح . وما قيل في الوسائد والاغطية يقال في البسط والطنافس ايضا .

الوان الستارات (البردايات)

احسن لون الأخضر الفاتح لانه يوافق لون الكراسي والموائد التي تكون غالبا من الموكني ويوافق ايضا براويز الصور التي تكون غالبا مذهبةوهيئة الناس سواء كانوا صفر الالوان أو كانت الوانهم مشربة بحمرة . أما الاحمر والبنفسجي فلا يناسبان لون البشرة . والبرتقالي وكل الالوان البسيطة تتعب البصر .

اختلاف الوان الاثاث باختلاف الغرف

في البيت الرحب غرفة للقعود واخرى للاكل واخرى للمكتبة وما بقي من الغرف فللمنامة وقد يكون فيه قاعة كبيرة يستقبل فيها الكبار والذين زيارتهم عزيزة . ويجب ان يختار لكل واحد من هذه الغرف من الفرش والاثاث والتزويق ما يناسبها لونا . فغرفة الاكل يكون لون اثاثها معتما مثل لون خشب الجوز الذي تصنع كراسيها منه والقاعة يكون لون اثاثها زاهيا بهيجا واكثر اشراقا من لون الحيطان والسقف . وغرفة المقعد يكون لون اثاثها بين غرفة المائدة والقاعة . والمكتبة يكون لون اثاثها مما يدل على المهابة والوقار ويجتنب فيها كل الالوان الفاتحة البهيجة . وغرف المنامة تكون الوان اثاثها بهيجة زاهية . وما قيل في هذه الغرف لا يقتصر على الاثاث بل يطلق ايضا على الحيطان والسقف اذا كانت مدهونة .

قلما تجد إنسانا في عينتاب لا يحسن القراءة والكتابة

من وكيلنا في عينتاب :

جناب الخ ... من جملة مدارس عينتاب المدرسة الكلية المركزية انشاها المرسل الاميركاني القس ترويردج وتم بناؤها سنة ١٨٧٨ في ارض مربعة طولها نحو مئتي ذراع وقد بلغت نفقة بنائها ستة الاف ليرا منها مئة ليرا هدية من جانب قرانظر افندي الارمني ومئة وستون الف غرش من الطائفة الانجيلية هنا . وهي ثلثه اقسام علمي وطبي واستعدادي وعدد تلامذتها خمسة وثمانون تلميذا منها اربعون اجانب والباقون وطنيون . وعدد اساتيذها ومعلميها اثنا عشر . ويدرس في القسم العلمي الطبيعيات والرياضيات والعقليات والادبيات والتاريخ والانكليزية والتركية والارمنية . والمنتظر ان يدرس فيها ايضا العربية واليونانية والفرنسية .

ثم يعقب ذلك فصل طويل في نظام المدرسة ودروسها اضربنا عن ذكره لمشابهته لنظام المدرسة الكلية السورية في اكثر الأمور .

ومنها مدرسة عالية للبنات تحت إدارة مسس برت عدد معلماتها ست منهن اربع امريكيات واثنتان وطنيات وعدد تلميذاتها ٥٨ ويعلم فيها الارمنية والتركية بالحرف العربي والانكليزي والحساب والجغرافية والتاريخ العمومي والموسيقى والخياطة على انواعها . ولا تقبل فيها تلميذة عمرها تحت عشر سنوات وقد ابتاعوا ارضا لهذه المدرسة بقصد ان يجعلوها مدرسة كلية عن قريب . واذا تم لهم ذلك انشاوا مطبعة لطبع الكتب ايضا . ومنها مدرسة لليتامى عدد تلاميذها ٤٤ تلميذا تحت ادارة البارون هاروتين ملاجيان . ومنها ست مدارس اخرى بسيطة . قال بعض اهالي عينتاب كنت اذا اتاني تحرير قبل ثلاثين سنة اطوف على ٦٠ او ٧٠ بيتا حتى اجد من يقراه لي واما الان فقلما امر بانسان لا يحسن القراءة والكتابة .

كتبي .. أولادي ..

بقلم : حسني شحادة

عالم الكتب عالم متسع اتساع العالم ، بارضه ومائه وسمائه ، لأنه عالم المعرفة المتجدد ، مادامت هناك حياة .

فى كتاب «الكتب والناس والامكنة» يقول مؤلفه «جلبرت هايت» عبارة لاازال اذكرها : «إن قراءة الكتب لذة ومتعة ، ولكن الأكثر إمتاعا ، الحديث عنها» .

صحبتي مع الكتب كانت منذ نيف وعشرين عاما ، فكانت صحبة انقلبت الى الفة ، فمحبة فعشق ، وعاشق الكتب اسمى وارفع من كل العاشقين ، فلا يكاد يتسلى عن حبه ، حتى يدفعه الشوق الى حب جديد ، حد قول الشاعر :

وذو الشـــوق القديـــم ، وإن تســـلى
مشـــوق حيـــن يلقـــى العاشـــقينا

وقد يتوب صاحب العادة عن عادته ، ويقلع عنها لغير ما رجعة ، إلا عاشق الكتب ، فان طول العهد ، يزيده تعلقا بها وإصرارا عليها ، ذلك ، لأن الكتـــاب مفتـــاح المعرفـــة ، والمعرفـــة كنز الحياة ، وينبوع السعادة فيها ، وكلما زاد الانسان شوقا اليـــها ، احبها ، وشغل فى البحث عنها ، وسعى لادراكها ، اصبحت حياته اعمق معنى ، واوسع مدى ، واعظم اثرا ، واجل قدرا .

إن الكتب عنـــدى مثـــــل أولادى ... اكبـــاد تمشى على الارض

● ●

لم يكن الانسان – فى اى وقت مضى – مسلحاً بمعطيات ثقافية افضل مما هو عليه اليوم ، فوسائل الثقافة كثيرة وكبيرة . من سمعية وبصرية ، ومطبوعات ، ولكن بالرغم من كل هذا ، يبقى الكتاب ، مادة المطالعة الرئيسية ، لماذا ؟

لأن الكتاب هو عصارة العقل البشرى ، ونتيجة الجهد الانسانى ، وثمرة النضج الفكري وخاصة تجارب الانسانية فى تاريخها الطويل ، منذ غابر الأزمان ، وحتى مدى حياة الانسان .

الكتاب يضم بين دفتيه ، تاريخ الماضى ، ومعالم الحضارات السابقة ، ومشعل الطريق للحضارات الاتية . فهو يحتوى امال البشرية والامها ، ومآثر انتصاراتها ، وأسباب هزائمها ، إنه الابداع الذى يبنى عليه صرح المستقبل ، ثقافة وحضارة .



لا يقوم سلطان الكتاب ، على كمية المعلومات التى يضمها بين دفتيه ، بل يقوم على الامكانية التى يقدمها لنا ، طريقا للبحث الدائم عن المعرفة . وعلى هذا ، فان القيمة الاصيلة لاى وسيلة من وسائل الثقافة ، لا تقاس بكمية المعارف التى تقدمها للفكر ، بل تقوم – قبل كل شىء – على نوعية التعمق الشخصى ، وعلى مجال البحث الذى تمنحه هذه الأداة للفرد ، قراءة ، وبحثا ، وتحصيلا ، فالتثقيف هو محصلة الجهد الشخصي ، والابداع هو استخلاص نتائج ذات قيمة للانسانية .

ويحضرنى فى هذا المجال ، مقولة البروفسور «هيرشبرج» صاحب تجربة التثقيف الذاتى ، عندما اتم كتابه الشهير «الثقافة العامة» : «هذا كتابى الفته ، وإن ما عملته ، يستطيع كل شخص ان يعمله ، لذلك فانكم قادرون على عمل خير منه وأحدث» .

● ●

عصرنا هذا ، عصر إلغاء المسافات ، فى الزمان والمكان ، والجمود عند اسلوب حياة معين ، بعيدا عن الكتب التى تحمل افكار التقدم ، وأساليب التطوير والتجديد ، تجعل المجتمع راكدا ، ولا يقف المتعلمون فيه حيث هم – عند حد معين من المعلومات – بل إن المعلومات والمعارف التى يحتفظون بها ، تتبخر تباعاً ، او يفوتها الزمن ويتعداها ، ليسود المجتمع تخلف وتأخر ، ينعدم فيه الابداع ، وينقرض فيه التقدم . ولذلك قالوا :

«إن مجتمعا قليل الكتب ونادر الكتاب والقراء مجتمع يستحق الرحمة ، حيث تضعف القوى العقلية عند افراده ، وتنفك الروابط الفكرية بين بنيه ، فيسيرون بخطى سريعة نحو التأخر والزوال ، اما المجتمع الذى يقرا ويكون للكتاب عنده اعتبار ، ويتبادل افراده الافكار والآراء ، هو مجتمع قادر على الحياة والتطور والتقدم والابداع» .